عبد العزيز بن عبدالله

الهبط عبر العصور
القصر الكبير عاصمة الهبط
العرائش أعرق مرسى مغربية في المحيط الأطلسي

2008

عبد العزيز بنعبدالله

الهبط عبر العصور
القصر الكبير عاصمة الهبط
العرائش أعرق مرسى مغربية
في المحيط الأطلسي

1429هـ / 2008م

الكتـــاب : الهبط عبر العصور
القصر الكبير عاصمة الهبط
العرائش أعرق مرسى مغربية في الخيط الأطلسي

المـؤلـف : عبد العزيز بنعبدالله

النـاشـر : مؤسسة القصر الكبير للتنمية.

الطبـع : مطبعة الأمنية – الرباط

الهاتف : 039 48 72 37 – الفاكس : 27 04 20 037

الإيـداع القانوني : 2008 MO 1328

ردمـك : 9981-9778-3-7

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

مدينة القصر الكبير هي أول حاضرة بالمغرب لا تزال قامة المعالم وهي عاصمة الهبط التي شملت طوال ألف عام قبائل ومدنا وقرى تمتد من (وزان) إلى تطوان عبر اثنتين وخمسين قبيلة من (جبالة) وحدها وقد اندرجت على طول الأجيال ضمن الحواضر الملكية إذا أخذنا بالاعتبار دور رجالاتها شرقا وغربا في مختلف ميادين المعرفة لا تواكبها في ذلك إلا فاس ومراكش وتطوان إذ لا تكاد تجد بين علماء المشرق مغربيا لا ينتسب إلى هذه الحواضر الثلاث، وفي نفس الوقت إلى كل من مدينتي سلا والقصر الكبير وقد أشرنا ضمن الأعلام إلى عشرات من هؤلاء بلغ بعضهم درجة الاجتهاد كعبد الله الورياغلي الذي كان يقرئ المذاهب الأربعة وجاهد في ثغور الهبط ضد المغيرين على جيوبها وكالشيخ حسونة بن عمر القصري الذي كتب الحافظ مرتضى الزبيدي شارح القاموس ثبتا (فهرسة) باسمه كأحد أشياخه ومنهم أيضا الشيخ محمد بن أبي بكر بن رشيد الشافعي صاحب (الوتريات) الذي انطلق من القصر الكبير للانتقال بين بغداد ودمشق ومصر والأندلس ليعود إلى تونس حيث توفي (عام 663هـ).

وقد شهد علماء فاس عاصمة الفكر الإفريقي ومقر جامعة القرويين- بالضلاعة والموسوعية لبعض علماء القصر الكبير أمثال الشيخ عبد الرحمن بن علي سقين الذي قال فيه أبو النعيم رضوان الجنوى. "لم أر مثله في فنه" كما شهد لهم بذلك علماء من حواضر مغربية أخرى كالشيخين أبي شعيب الدكالي وزير العدل بالرباط والعلامة أحمد الرهوني وزير العدل بتطوان إذ كانا يشدان الرحلة إلى الشيخ (علي المجول) للأخذ عنه بالقصر الكبير وقد كان لهذا الأخير "علوم امتاز بها لم يسأله عنها أحد – كما كان يقول وهنالك علوم كعلم القراءات والتجويد انتقل للرواية عن زعيم القصر فيها المقرئ السيد الطيب بوفنار الشيخ علي بن طاهر الوتري كما سبق أن أخذ الشيخ سيدي أحمد التجاني عن بعض المتقنين لذلك من علماء المنطقة (بغية المستفيد - سيدي العربي بن السايح ص 149 - دار الجيل بيروت).

ويكفي فخرا للقصر الكبير إنجابه واحتضانه لآل فاس الفهري الذين انتقلوا من الأندلس منذ القرن الرابع الهجري للنهل من منابع العلم الأصيلة في ديار الهبط ولسنا في حاجة إلى التنويه برجالات هذه الأسرة القصرية الماجدة التي برز من عيونها الفياضة أئمة منهم الشيخ العلامة عبد الرحمن الفاسي الموسوم بالعارف والذي حلاه المقري بجنيد وقته كما وصفه بالإمارة، في فهم الكتاب والسنة الشيخ أحمد بن علي البوسعيدي السوسي في كتابه "بذل المناصحة (ج أ ص 267)، وأكد الإفراني في (الصفوة ص 89) إمامته في علمي الرواية والدراية ومن أبرز هؤلاء الأئمة عالمان هما شيخ الإسلام في الشمال الإفريقي عبد القادر الفاسي الذي انتهت إليه رياسة الحديث (كما في مطلع الإشراق للكتاني)، وكان ولده الإمام عبد الرحمن الفاسي ينعت بسيوطي وقته وهو الضليع في شتى العلوم والفنون، وكذلك الإمام أحمد بن أبي المحاسن الذي وصفه أخوه العلامة العربي الفاسي صاحب "المرآة" بأنه "المنفرد بعلم الحديث الذي لا يجارى ولا يبارى والمطلع على مذاهب الفلاسفة في الإلاهيات وكانت حاضرة القصر الكبير مهبطا مرموقا لرواد العلم في كل عصر فقد نقل العلامة أحمد بن عجيبة في فهرسته "أن الفقيه محمد السوسي السملالي" عالم القصر الكبير اقترح عليه التوجه إلى القصر عندما لاحظ قريحته ولوعته في العلم" لأن القصر الكبير كان منبع العلم ومنتدى المعرفة.

وهكذا تتجلى المكانة الاجتماعية والعلمية والروحية لهذه الحاضرة المغربية الفذة في بروز رجالاتها ومختلف أصناف سكانها في شتى المعالم العمرانية حتى في أصغرها وهو ميدان السهر على صحة أبنائها من كل الطبقات فإذا كانت حواضر كمراكش وفاس وسلا وتطوان قد تفردت بإقامة إطار لمارستانات في ربوعها فإن القصر الكبير له بيمارستانه الذي وصفه لنا المؤرخ المغربي الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) في كتابه (وصف إفريقيا ج 2 ص 191).

فكيف تظل حاضرة كالقصر الكبير وهي التي لها هذا الرصيد الفكري والعلمي والعمراني - مغمورة - بين مدن وحواضر انطلق عدد منها من المجهول.

عبد العزيز بنعبد الله

الرباط دجنبر 2006

"وقصر الهبط يبتدئ من حدود سهل أزغار إلى حدود الريف وهو يشتمل على مدن كبيرة وقرى كثيرة من جملتها تطوان وطنجة وشفشاون وسبتة ووزان والقصر الكبير"، كتاب النعيم المقيم ج ا ص 9 للعلامة محمد بن محمد المرير التطواني قاضي القصر الكبير عام 1929 م.

وقد ورد السيدان عبد الرحمن وأخوه أحمد ابنا أبي بكر ابن الجد، من مالقة عام 880هـ بسبب الفتنة التي شبت بها، إلى فاس.

وبعد ذلك انتقل يوسف بن عبد الرحمن (وهو جد أبي المحاسن الفاسي) إلى القصر الكبير قصد التجارة، وكان القصر الكبير مقصودا للتجارة وسوقا تُجلب إليه بضائع العدوتين وسلعها، إذ كان ثغرا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى تحط به رحال التجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من أصيلة وطنجة والقصر الصغير وسبتة، ولأنه كان محل عناية سلطان المغرب إذ ذاك الشيخ بن ابن زكرياء الوطاسي، فكان القصر قاعدة بلاد الهبط.

نقلا عن كتاب "عناية أولي المجد في ذكر آل الفاسي ابن الجد" للسلطان المولى سليمان

مخطوط تحت رقم 765 بمؤسسة علال الفاسي

تقديم

قبل الشروع في هذا التقديم المتواضع الذي يشرفني ويشرف مؤسسة القصر، وكذا مدينتي القصر والعرائش، لابد من الإشارة إلى بعض النقط التالية :

* نعبر عن سرورنا لهذا الفعل اللافت من طرف مؤسسة القصر الكبير للتنمية التي ستقوم بنشر هذا المؤلف "المعلمة" والذي جاء بفائض قيمة جديدة، والذي أحالته المؤسسة علي لكتابته وإخراجه وفك رموزه، والذي ساعدنا في إنجازه كل من الأساتذة عبد العزيز بطحة، والأستاذ محمد الصبراوي، والأستاذ خالد الشراطي.

ورغم ما لاقيناه من بعض الصعوبات، فإننا كنا وسنبقى سعداء لإخراج هذه المعلمة الصغيرة حول بلاد الهبط، بما فيها مدينتا القصرالكبير والعرائش من جهة، وتاريخ المغرب من جهة أخرى على مدى ألف سنة.

* وتسهيلا للقارئ قمنا بفصل المراجع المدرجة في النصوص ووضعها أسفل الصفحات، وترتيبها حسب كل موضوع.

* حافظنا على ترتيب الأستاذ الذي قسمه إلى قسمين كبيرين هما: قسم خصصه لمدينة القصر الكبير، وقسم آخر لمدينة العرائش ومرساها، وأدمج مواضيع أخرى همت تاريخ المغرب في كل من القسمين المشار إليهما أعلاه.

* يعتبر مؤلف الأستاذ والباحث الموسوعي عبد العزيز بنعبد الله حول بلاد الهبط عبر العصور مصدرا ومرجعا هاما محليا وجهويا ووطنيا ودوليا، لكونه موثقا توثيقا جيدا ومحكما، فهو عبارة عن معلمة مغربية صغيرة، لم يقتصرفيهاعلى تاريخ بلاد الهبط وتاريخ مدينة القصر الكبير وأعلامها ومعالمها ودورها في التاريخ المغربي، وكذا تاريخ مدينة العرائش وأعلامها ومرساها، بل ضم مواضيع همت تاريخ المغرب داخليا وخارجيا خلال مدة ألف سنة. لذلك فهو مرجع في التاريخ المغربي من النواحي : السياسية، والعسكرية، والفنية، والفكرية، والجهادية في "معركة وادي المخازن"، والاحتلال البرتغالي، والزوايا،

والقضاء والملكية، والفقه المالكي، والاحتفال بالمولد النبوي، والفلاحة، والسكان، والصناعة، ودور السكة، والزراعة، والسدود، والأسطول وقطعه في العرائش، والعملة، والنظامين النقدي والجبائي، والعلاقات الخارجية، ولهذا نعتقد أنه من الصعب علينا تقريب القارئ لكل هذه المواضيع في صفحات معدودة، الشيئ الذي يدفعنا إلى تلمس العذر أولا من الأستاذ إذا مررنا مر الكرام على بعض المواضيع، وثانيا للقارئ الكريم الذي نعتقد أن التقديم بالنسبة إليه سيكون عبارة عن مدخل وإشارات لما يتضمنه الكتاب المعلمة، مشيرين إلى أن تقديمنا سينصب على تقريب محتوى المؤلف للقارئ من خلال إشارات بسيطة لما ذكره الأستاذ في المواضيع التي تضمنها المؤلف وهي على الشكل التالي :

I - عن القصر الكبير عبرالتاريخ نقول :

أبرزالأستاذ العمق التاريخي للمنطقة والذي يرجع إلى تأسيس أول حاضرة في بلاد الهبط هي مدينة ليكسوس في سنة 1101 ق.م، كما تعرض إلى الوجود القرطاجي والروماني، وإلى رحلة القرطاجيين مع مغاربة من المنطقة إلى البرازيل، بدليل وجود نصوص بونيقية هناك تعود إلى سنة 125 ق.م. وبذلك يكون سكان هذه المنطقة أول من اكتشف القارة الأمريكية. كما أكد رومانية القصر الكبير بل أنشد فيها قصيدة جاء فيها :

"نوفوم"(4) ثانية الحواضر ارفلي ... في العز بين توائم الأقمار
اختارك الرومان حاضرة الهنا ... نزاحة عن لكسس وقفار
مهد الحضارة جنة الدنيا التي ... عرفت ب"هسبريد" في الأمصار
جرت ذيول الفخر في خيلائها ... فغدت "وليلي" طمرة الأغمار
بذت عواصم "تنجس" و"تمودة" ... وتموسيدا أنعم بها من دار
يا بلدة اكرم بها من بلدة ... يا موطن الأطهار والأخيار
اليمن نبع فيضه واليسر ثَـرَّ ... ت عينه والسيل خير نضار
الخير أنت شعاره والنبل أنـ ... ـت دثاره والبيت خير مزار
فيك الأجنة راضعات للتقى ... فيك الجنان لواقح الأزهار

وأشار إلى جذور الإنسان في المنطقة، وإلى الفتح الإسلامي وقيام الإمارات الإدريسة ببلاد الهبط.

2 – وعن صراع موصول طوال الف عام نقول :

تحدث الأستاذ عن مسار المدينة مبرزا تأسيسها، وتعدد أسمائها، وأهميتها الاستراتيجية والسياسية الاقتصادية، وارتباطها بالأندلس، ومرور رواد الفكر في المغرب العربي والأندلس بها عبر مختلف العصور، كما تحدث عن الأدارسة وإماراتهم ومراكزهم ببلاد الهبط، وإنزال المنصور الموحدي للقبائل العربية به، ومنهم قبائل الخلط قرب القصر الكبير، وبين كيف أصبحت القصر في عهد المرينيين، خصوصا بعد تعيين الأمير الشقايلولي عليها قائلاً:

(وكان لرواد المعرفة دور مهم في بلورة الفكر الثقافي ببلاد الهبط عامة والقصر الكبير خاصة، مما أتاح الفرصة لانبثاق علماء أفذاذ ربما بذ بعضهم أقطاب الفكر في باقي المغرب، وقد أشرنا إلى تراجم بعضهم ممن تتلمذ لهم كبار علماء فاس ومراكش، وربما أسس بعضهم دارا للثقافة أضاء إشعاعها على مجموع الإقليم. فقد ورد في ترجمة الشيخ أحمد بن يرمق أنه كانت له دار متصلة بكتاب سيدي علي بن العربي الجنياري يدرس بها الإناث عن طريق الشرط، كما كانت له مدرسة عتيقة يدرس فيها العلوم الإسلامية بأهل سريف).. (وقد أصبحت القصر منذ ذلك مقصد التجار وسوقا لبضائع العدوتين وثغرا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى وقاعدة لبلاد الهبط... ويتجلى من العلماء الذين كان القصر مسقط رؤوسهم أو مهبطا لهم أن رواد الفكر من المغرب العربي والأندلس خاصة، ومن الشرق عامة انتجعوا رحابه في مختلف العصور).

وتطرق إلى احتلال البرتغاليين لبعض الثغور، مبرزا المعارك الجهادية في منطقة القصر الكبير، مثل (معركة المليحة) قرب العرائش، ومعركة وادي المخازن قرب القصر الكبير، ثم تعرض إلى أهمية المدينة في الصراعات بين أبناء المنصور السعدي بعد وفاته وفي هذا يقول :

(ولكن ما كاد عصر أحمد المنصور ينقرض حتى دب الخلاف بين أبنائه حول أريكة العرش فانخفضت شوكتهم وتمزقت دولتهم، ففي "سطح بني وارتين" قرب القصر الكبير التحم أميران وفر إليه عبد الله بن الشيخ المامون وأبو فارس بن المنصور).

وتعرض إلى قيام الدولة العلوية وأسباب ظهورها، وظهور القوات السياسية مثل: الخضر غيلان، وأسرة النقسيس بتطوان، وتدخل الأتراك، إضافة إلى تعرضه إلى بعض الأزمات التي عرفها المغرب والمنطقة مثل مرض الطاعون سنة 1089هـ وما نتج عنه، وتأسيس جيش عبيد البخاري الذي انطلق من ضواحي القصر الكبير على يد محمد

اعليلش، مشيرا إلى اغتيال العلامة عبد السلام بن حمدون جسوس الذي عارض التمليك، وفي هذا يقول :

(وقد خرج اعليلش من فاس عام 1114هـ دون أن يحصل من الفقهاء على تأييد تمليك الحراطين وكانت ناحية القصر الكبير منطلقا لإحصاء عبيد قبائل الهبط الذين تم تمليكهم).

كما تحدث عن الصراعات التي وقعت بين أبناء المولى إسماعيل ودور القصر الكبير في ذلك، حيث وقعت (معركة المتره) سنة 1743م بين جيش المولى عبد الله بن إسماعيل، وجيش الباشا أحمد الريفي المساند للمستضيئ بن المولى إسماعيل، كما تعرض إلى (وقعة زعبول) وما أصاب القصر من هذا الطاغية سنة 1162هـ حيث انتهكت فيه الحرمات ونهبت فيه الكتب، وأبرز علاقة القصر الكبير بالرباط لوجود دار هناك تحمل اسم دار القصري، وكذا علاقة القصر بفاس، فالتواصل بين المدينتين كان موجودا سواء أثناء الرخاء أو أثناء الأزمات، مثل أيام فتنة فاس سنة 1150هـ حيث يقول الأستاذ :

(وفي عام 1150هـ وقعت الفتنة في فاس، فلجأ جل أهلها إلى تطاون وطنجة والعرائش والقصر الكبير ووزان بسبب ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع..).

كما أبرز قيمة القصر الكبير لدى السلاطين عبر العصور، مشيرا إلى المولى عبد الرحمان بن هشام الذي حث أبناءه على الإقامة بالقصر قائلا :

(وقد حض المولى عبد الرحمن بن هشام أولاده الأربعة عند توجههم إلى الحج عام 1274هـ/1857م على المرور بالقصر الكبير والإقامة بجوار سيدي علي بوغالب، كما فعل إخوانهم من قبل فإن المقام بالقصر - كما قال - خير من المقام في طنجة...).

وأشار إلى تردد المولى سليمان والإقامته به سنة 1228هـ، ولم يغفل حياة اليهود الآمنة في القصر رغم الفتن، وختم بالإشار إلى معاهدة 1904 التي نتج عنها احتلال المغرب واحتلال القصر سنة 1911.

3 - وعن القبائل والمعالم نقول:

عرف بعدة مواقع بالقصر وبدائرته.

4 – وعن أعلام القصر الكبير نقول :

قام الأستاذ بجرد عدة أعلام ممن ولدوا بالقصر أو حلوا به، متتبعا إياهم من الولادة إلى الوفاة، سواء داخل المغرب أو خارجه، ونظرا لكثرتهم فإننا سنقتصرعلى بعضهم، وخصوصا الذين كان لهم حضور وإشعاع على المستويين الوطني والعربي ومنهم :

– ابن رشيق عبد الوهاب 587هـ- 650هـ الذي يقول فيه :

(وكان متصدرا بالجامع العتيق بمصر، وقد أخذ عن عياض وابن العربي).

– أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي الذي يقول فيه :

(أمير سبتة صاحب "الدر المنظم في المولد المعظم" استبد بالحكم سنة 653هـ بعد أن ضعفت دولة الموحدين، ودخلت في طاعته طنجة وأصيلا وسائر بلاد الهبط..... سن أبو القاسم منذ السنة الأولى لإمارته الاحتفال بالمولد النبوي بقراءة الأمداح النبوية وإطعام الطعام، ووجه نسخة من كتابه الدر المنظم إلى الخليفة المرتضى الموحدي بعاصمته مراكش، مشيرا عليه بالاحتفال بالمولد فصادف منه قبولا حسنا، فصار يقوم بليلة المولد خير قيام كما يقول ابن عذاري في "البيان المعرب").

– أحمد التلمساني العلامة الحافظ والذي يقول فيه :

(أحمد بن محمد بن حمدان القصري التلمساني المحدث الحافظ دفين القصر الكبير، رافق أبا عبد الله الكنيكسي في التوجه لأخذ العلم بالمشرق، ثم عادا لنشر العلم بالقصر الكبير).

– محمد بن يوسف الترغي المساري الذي انتشرت بواسطته القراءات في المغرب والذي قال فيه :

(محمد بن يوسف الترغي المساري توفي بفاس عام "1009هـ/1600م" عنه انتشرت القراءات في المغرب).

– عبد الرحمن سقين الذي أخذ عن علماء المغرب ومصر وحدث في السودان والمتوفى سنة 956هـ.

– يونس بن طربية الذي قال فيه :

(يونس بن طربية القصري تولى قضاء طرابلس الغرب والتدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة (641هـ/1243م).

- عبد الله المراكشي : الذي تولى القضاء في غرناطة وإشبيلية ثم أصبح قاضي القضاة في مراكش.

وتحدث عن الخطباء مثل خطيب الجامع السعيد محمد الناصري، كما ترجم لبعض قواد القصر مثل قواد الأسرة العروسية التي حكمت القصر في بداية الوطاسيين على مدى 78 سنة، كما أبرز بعض القواد السياسيين الذين كان لهم دور في بلاد الهبط مثل الخضر غيلان في بداية الدولة العلوية، والقائد الحكماوي الذي بني في عهده ضريح مولاي علي ابن غالب القرشي سنة 1211هـ، يقول الأستاذ : (فدخل الحكماوي أول ما دخل إلى القصر عاملا، وهنالك بنى السلطان ضريح سيدي علي بوغالب وهو غير إبراهيم الحكماوي عامل الصويرة) وقيل في هذا الولي :

إذا ما الخوارج قد خرجت بجسمي وضاقت بها حيلى

دعوت الإمام أبـا غالـب وهل للخوارج إلا علـي

وذكر قائد فرقة المدفعية في معركة وادي المخازن، وأبرز أهمية مولاي علي بن غالب وكثرة الأمراء الذين زاروه مثل المولى محمد وأخوه مولاي سلامة، وأشار إلى مصاهرة الأمير إبراهيم بن راشد سنة 1510 لقائد القصر طلحة بن عبد الحميد العروسي.

وأبرز بعض نتائج معركة وادي المخازن على الشرق العربي قائلا :

(وقد نتج عن انهزام البرتغال في المغرب اضطرارها للعدول عن احتلال الخليج العربي الذي واصل رجاله الجهاد للتحرر من ربقة الاستعمار الغربي الذي كان يطمع في احتلال فلسطين...). وتعرض إلى تأزم العلاقة بين المغرب والأتراك الذين كانوا يحيكون المؤامرات للمغرب قائلا :

(فنتج عن ذلك حالة تأزم خطيرة في الحدود الغربية مع الجزائر حيث أصبح الأتراك يدسون ويحيكون المؤامرات متجاوزين حدود الجزائر إلى الريف).

ويكاد يكون الأستاذ من القلائل الذين أتوا بإنتاجات بعض أعلام القصر مثل سليمان الحوات، والشاوي.

5 - وعن قضاة وولاة القصر نقول :

عرض الأستاذ ل 26 من القضاة و23 من الولاة.

6 – وعن مراحل الاحتلال البرتغالي نقول :

بعد عرضه للصراع في الأندلس واستيلاء البرتغاليين والقشتاليين على أغلبية الأندلس في حروبهما الصليبية، تعرض إلى أطماع البرتغال في المغرب واستيلائه على الثغور المغربية وهو ما أشار إليه بقوله :

(بدأ العدو يفكر في احتلال سبتة التي كان لها فضل الإشراف على الزقاق مع جبل طارق.... وكانت البرتغال تطمع في الخيرات الإفريقية من حيث يوجه الذهب عبر السودان نحو تونس ومصر، بالإضافة إلى بلاد الهند... وهنا توالت حركات الاحتلال للجيوب المغربية فسطا البرتغاليون على أكادير عام 1505 والصويرة عام 1506 وأسفي عام 1508 ثم ازمور عام 1513 والجديدة عام 1514).

7 – وعن معركة وادي المخازن نقول :

تحدث الأستاذ مطولا عن المعركة فأبرز أسبابها، وأطماع سبستيان ونواياه في المغرب وافريقيا، وبين الخطط العسكرية للفريقين، ووصف المعركة وأسباب انتصار المغاربة، ونتائجها المحلية والدولية وهذا ما تبرزه أقوال الأستاذ التالية :

(كان من أسباب معركة واد المخازن هبوب الأمير المخلوع المتوكل ضد الأمير عبد المالك للعودة إلى العرش بمساعدة البرتغال التي كان لملكها الشاب الدون سيبستيان Sebastien أطماع في المغرب.... وكان سبستيان ثواقا إلى أن يصبح فارس الدعوة الكاثولكية ضد البروتستانت والمسلمين معا،..... وقد شبت المعركة يوم رابع غشت 1578 بناحية القصر الكبير والعرائش وأصيلا بين واد لكوس ورافده وادي المخازن، وقد ظهر في المعركة مدى بطولة ودربة الجيش السعدي وعدم تجربة العسكر البرتغالي...أما البرتغال ومن قاتل حولها فقد صعب عليهم التسليم بموت الملك الشاب، فروجوا أخبارا تزعم أن الشاب لا يزال حيا وأن جسده قد صعد إلى السماء، واستمرت الأسطورة قرونا ..... وظل موقف الباب العالي معاديا لأن العثمانيين لم يرضهم تفوق القوة المغربية في ساحة القتال فاستعدوا لمجابهة السلطان الجديد الذي استطاع أن يهزم دولة كانت تحتل البرازيل والهند..... غير أن المنهج العسكري الرصين الذي سلكه الأمير أحمد السعدي هو الذي أطاح بطليعة الجيش البرتغالي حيث قطع عليه فوج من الفدائيين طريق الانسحاب جنوبي واد المخازن، وكان "سيبستيان" يحمل في حقائبه إكليلا كان ينوي أن يتوج ملكا للمغرب بعد الانتصار لأنه رأى في هذه المعركة حملة صليبية تستهدف تنصير

المغرب ثم سائر بلاد الشرق،.... وبدأت المعركة في الهجيرة متم جمادى الأولى عام 986هـ – 4 غشت 1578 م وأشعة الشمس تبهر عيون العدو ولهيبها يلفح، وسارع جيش أبي العباس إلى الهجوم فانقضت ميمنته على مؤخرة العدو بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة....).

8 – وعن الجيش وقواده ومعداته الحربية نقول :

تحدث الأستاذ عن تطور المعدات الحربية منذ المرينيين، مبرزا أنواعها واستخداماتها في الدولة المغربية، مثل المجانيق واستعمالات البارود والأنفاض أي المدافع.

أما بخصوص الجيش فقد أرخ له منذ ظهور نواته الأولى في العهد الإدريسي، مارا بالمرابطين والموحدين والمرينيين، وتوسع الأستاذ في العهد العلوي مشيرا إلى ظهور عادة تنكيس علم الأعداء بعد انهزامهم قائلا :

(وهنالك عادات عسكرية بدأ استعمالها منذ عهد المرينيين كنشر رايات العدو منكسة في أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبية، بعد انتصار الجيش المغربي في الأندلس في عهد أبي يوسف المريني). وتعرض لمختلف تكوينات الجيش عبر العصور، مشيرا إلى ضباطه من خارج المغرب بما في ذلك مصر وانجلترا كما هو مبين في قوله :

(وكان على رأس الجيش النظامي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ضابط مصري)، ويضيف قائلا :

(وكان الحسن الأول يحضر بنفسه تدريب الجند كل يوم اثنين ويستعرضه كل يوم أربعاء، وقد دافع السلطان بين الدول، فأسند قيادة أحد الفيالق إلى ضابط انجليزي، والتدريب العسكري إلى بعثة من الخبراء الفرنسيين، وأناط بضباط إيطاليين إدارة مصنع للأسلحة بفاس، وكلف مهندسا ألمانيا ببناء برج بالرباط). ويضيف قائلا على عهد المولى عبد العزيز :

(وقد نهج المغرب في تدريب الجند مناهج مختلفة منها التركي والانجليزي والفرنسي لاسيما بفاس والرباط وطنجة، وأوفد بعثات عسكرية إلى الخارج لتتدرب ضمن الفيالق الهندسية بأوربا وبالأخص مونبيليي Montpellier....). وتعرض إلى المصطلحات التي استعملها الجيش المغربي مثل الباي والباشا والبياك وغيرها، وأبرز دور العلاف وقائد المشور ثم عرض قائمة من قواد الجيش منذ الموحدين إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، مشيرا إلى الفرق المسيحية والأندلسية في جيش المنصور السعدي.

9 – وعن القضاء نقول :

تحدث عن القضاء وعن إصلاحه الأول بعد الاستقلال في عهد المغفور له محمد الخامس، وعن مهام القاضي يقول الأستاذ :

(إن أبرز مظهر لبلورة الفقه المالكي بالمغرب هو فقه القضاء... ولكن ماكاد المغرب يستقل عام 1956 حتى هب صاحب الجلالة الملك المرحوم محمد الخامس وسمو ولي عهده آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني لإصلاح أول جهاز حضاري اجتماعي اقتصادي هو جهاز القضاء.... وكان القضاء يشمل منذ العصور الأولى شتى مرافق الحياة.... وفي نطاق "فقه القضاء" كان القاضي يشرف على سير التعليم في منطقة نفوذه، فكان يتولى ترشيح العلماء للتدريس بالمساجد، ساهرا على نشاطهم بحكم إشرافه على أموال الأوقاف.... أصبح لكل حاضرة كبرى قاض للجماعة يتولى اختيار نوابه في المنطقة وبجانبه مستشارون...).

10 – وتحدث الأستاذ عن الملكية قائلا :

(وقد عرف المغرب في مختلف العصور حرية الملكية كما عرف أنواعا من الملكيات، كالملكية العقارية وملكية الجماعة وملكية الأوقاف والملكية العائلية... وقد احتفظت القبائل البدوية بملكية الأراضي على شكل ملكية الجماعة اليوم وكانت بين السكان اشتراكية فلاحية أي أن الجماعة كانت توزع غلل الاستثمار المشترك على الجميع أو توزع الأراضي نفسها على العائلات ومنذ هذه العصور عرف المغاربة الملكية الفردية.

وقد أثار حق تملك العبيد للأرض مشكلا منذ العهد الاسماعلي تبلور في أسئلة وردود وفتاو وتعقيبات، وكانت الرسوم والوثائق العدلية هي التي تشكل وحدها مستندات إثبات الملكية وقد أدخل منذ أوائل الحماية الفرنسية نظام التحفيظ العقاري وامتدت شبكته فكادت تعم الآن مجموع أراضي المغرب خاصة في الحواضر، وقد اهتم ملوكنا بضمان طريقة إلى التفويت فصدر ظهير شريف في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ورد في فصله السابع وجوب قيام القاضي في خصوص تفويت الأملاك بإحضار رب الدار وسؤاله عن وجه تملكه وإحضار الرسوم وتأملها ليوافق على الشراء،....).

11 – وعن المذهب المالكي نقول :

أوضح الأستاذ أثر الفقه المالكي في البحر الأبيض المتوسط، وفي القارتين الأوربية والأمريكية، وفي التلمود والفقه اليهودي، وختم كلامه حول تشبث فقهاء المغرب بالفقه المالكي وفي هذا الميدان يقول الأستاذ :

(تبلور تأثير الفقه المالكي في جزء كبير من العالم الاسلامي وخاصة في المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط والقارتين الأوربية والأمريكية، ونجد ذلك واضحا في بعض التشريعات الأجنبية مثل مدونة الفقه المدني المعروفة بمدونة "نابليون" خاصة في مادة الأحكام والعقود والالتزامات،..... وقد أثر الفقه المالكي على "التلمود" والفقه اليهودي منذ القرن الرابع الهجري بمدينة فاس، وهو العصر الذي انتشر فيه المذهب بالمغرب بعد فترة ساد خلالها الفقه الحنفي والفقه الشافعي والفقه الأوزاعي، من ذلك أن اليهودي المغربي اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي الذي ولد "عام404هـ/1013م" في "قلعة ابن أحمد" له "شرح على التلمود" في عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من أهم كتب التشريع اليهودي، كما له "ثلاثمائة وعشرون فتوى" محررة كلها بالعربية وهي مقتبسة من الفقه المالكي.... على أن من أبرز عطاءات الاسلام من خلال الفقه المالكي تأثر أوربا بمبادئ الأخلاق مما حدا زميلنا وصديقنا مارسيل بوازار Marcel Boisard إلى وضع كتاب حول "الانسية الاسلامية". ومن مظاهر تمسك فقهاء المغرب بمذهب الإمام مالك قول قاضي الرباط الشيخ محمد الطيب ابن ابراهيم بسير "1271هـ/1854" يخاطب الرسول عليه السلام في مديح نبوي :

أنا شافعي في الصلاة عليكم ومالي سواكم شافع عند مالك

12 - وعن الزاوية نعرض الملخص التالي :

وأثناء تحدثه عن الزاوية التي عرفت في الشرق بالخانقاه أو الرباط منذ القرن الخامس الهجري، وتأثر المغرب بفكرة الرباطات في نفس العصر على يد مؤسسي الدولة المرابطية، وبرزت عدة رباطات ما فتئت أن أصبحت زوايا في البوادي ثم في المدن يقول الأستاذ (ولعل من أول زوايا المدن زاوية صالح ابن حرزهم بفاس وهو تلميذ الغزالي).

وكان الصراع ضعيفا مع الزوايا أثناء قوة الدول، ثم بدأ الاصطدام مع محمد الملقب بالبرتغالي الذي سجن عبد الله الغزواني وأطلق سراحه فيما بعد، وزاد امتحان الزوايا في عهد المنصور السعدي، وكذا في عهد زيدان مع أبي محلي، وكذلك في عهد مولاي إسماعيل مع مولاي التهامي الوزاني الذي أطلق سراحه فيما بعد، ويرى الأستاذ أن ملوك المغرب إنما قاوموا الأدعياء والدجالين ويظهر هذا في قوله :

(ولكن ليس معنى هذا أن ملوك المغرب كانوا حربا على التصوف، وإنما قاوموا الأدعياء والدجالين أو غلاة المتصوفة الذين شذت دعاويهم عن ظاهر الشريعة..... وفي أيام العلويين جدد المولى إسماعيل ضريح أبي القنادل سيدي يوسف وضريح أحمد الشبلي

وعبد الله القصري، وأسس الضريح الادريسي عام 1110 فقامت حوله مدينة زرهون... وقد أصدر سيدي محمد بن عبد الله مرسوما لأبي مدين الفاسي بإسناد أمر زاويتهم إليه، وهو الذي جدد أضرحة أبي العباس السبتي والتباع والجزولي والغزواني وأبي صالح ومولاي علي الشريف وميمون الصحراوي وعلي ابن حرزهم ودراس بن إسماعيل ومولاي عبد السلام بن علي بن ريسون الذي كان له معرفة بالعلوم الرياضية).

13 - وفي الميدان الموسيقي نقول :

أعطى نظرة تاريخية حول ظهور الموسيقى في عهود الموحدين والمرينين والسعديين، وخصوصا بعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب، يقول الأستاذ :

(ويرجع استعمال جوق الآلة في عهد السعديين بمناسبة استقبال السفير الإنجليزي "جيل Giles" ولم يكن الجوق يظهر بل يعزف من وراء مشربيات، وخلال حفلة تدشين (قصر البديع) بمراكش استحضرت أجواق من فاس وكان العاهل يستورد الآلات من الخارج). وفي عهد المرينيين برزت الأجواق يقول الأستاذ في هذا الصدد :

(وقد ترعرعت الآلة بجميع طبوعها إبان بني مرين حتى كان للجيش المريني نفسه في عهد أبي عنان موسيقاه الخاصة به، كما كان للأسطول موسيقاه، وهي عادة استمرت إلى اليوم عن طريق "الجوق الملكي". وقد بلغ الاعتناء بهذا الفن مبلغا أصبح معه للموسيقار مكانة كبيرة في المجتمع).

واهتمام السلاطين العلويين مثل المولى إسماعيل، والمولى عبد الرحمان بن هشام، أدى إلى ظهور علماء أفذاذ وفي هذا يقول الأستاذ :

(ولعل اضطلاع كل من السلطانين العالمين المولى سليمان والمولى عبد الرحمان بتركيز الفن الموسيقي قد فسح المجال لظهور علماء أفذاذ برعوا في هذا الفن، وفي طليعتهم العلامة الشاعر قاضي العدوتين سلا والرباط أحمد بن أحمد الحكمي..) ويضيف قائلا :

(ويرجع الفضل في تدوين الموسيقى للحسن بن أحمد الحايك الأندلسي التونسي التطواني "1130هـ/1717" الذي جمع هذه الموشحات في كتاب الحايك الذي اشتمل على جميع نوبانت وطبوع آلات الطرب،).

وتحدث عن تقسيماتها قائلا :

(وتنقسم هذه الموسيقى إلى وحدات أو نوبات لكل منها نغمة خاصة تسمى الطبع وهذا الطبع يتكون بدوره من نقط خاصة، ويصل عدد الطبوع إلى ثلاثمائة وستة وستين على عدد أيام السنة الشمسية).

وتحدث عن الموازين قائلا :

(وقد بلغ عدد الموازين في الأندلس أربعة، أضاف إليها المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج" سمي بذلك لأنه مدرج بين الموازين وهو خاص بالآلة الاشبيلية لا يوجد في المالوف التونسي ولا الغرناطي الجزائري... والموسيقى تسمى الألة بالمغرب والموسيقارهو الآلي، وقد وردت هذه التسمية في (نزهة الحادي) عند الكلام على سيرة المنصور الذهبي، وتسمى أيضا الدندنة بينما تعرف بالغرناطي في الجزائر وبالمالوف بتونس.... وقد امتاز المغرب بطبوع خاصة مثل "الحصار" الذي اعترف (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرة بطابعه المغربي..)

وأبرز دور الموسيقى في العلاج النفسي في القرن العاشر الهجري قبل ظهور Rok and roll كما أشار إلى عدة تآليف في هذا الميدان، كما تحدث عن فن السماع في العهد السليماني والذي اكتمل في عهد الحسن الأول، وأشار إلى اسهامات اليهود في الموسيقى بالمغرب، وختم بإبرازتأثير الموسيقى العربية في الألحان الكنسية، كما فسر معنى التلحين عند الآليين، وفي الأخير تحدث عن التنويط.

14 – وعن المولد النبوي نقول :

أبرز الأستاذ الاحتفال بهذا العيد في مختلف العصور، سواء على المستوى الرسمي أو الفردي ونعرض ما قاله الأستاذ في عهدي المرينيين والسعديين حيث يقول :

(وقد ذكر الحسن الوزان أنه في العصر المريني كان شعراء فاس يجتمعون كل عام بمناسبة المولد النبوي وينظمون القصائد وكانوا يجتمعون كل صباح في ساحة القناصل يصعدون منصة ويلقون قصائدهم الواحد تلو الآخر أمام الجماهير ويختار أحسن الشعراء نظما وترتيلا أميرا للشعراء في تلك السنة..... وقد تحدث عنه احمد المقري في كتابه في عهد المنصور السعدي، واستعرض ما كان يلقى آنذاك من قصائد لكبار شعراء الدولة أمثال الشاعر عبد العزيز الفشتالي، ووصف أنواع المآدب وحفلات الشموع التي يطاف بها في البلد، وكانت كراسة ابن عباد في المولد تقرأ في حضرة المنصور السعدي وقد وقع

ذلك عام 1010هـ / 1601م ..... وكان المولد يقام بالمنازل كل سنة كما ورد في ترجمة الفاضل بن عبد المجيد السرغيني الذي كان يقيمه كل سنة بداره ويحضره العامة).

15 – وعن مسار العرائش نقول :

تحدث الأستاذ عن اسم المدينة والصراع الذي دار حولها بين الأندلسيين والمروانيين من جهة والفاطميين من جهة أخرى، وتحريرها من طرف يعقوب المنصور الموحدي، واتخاذها الاسم الحالي، وأثبت أولى هجومات النصارى عليها في القرن الثالث عشر الميلادي، وهذا ما اشار إليه الأستاذ بقوله :

(كانت العرائش تعرف ب"شفدد" عندما حكمها أحمد بن القاسم جنون الإدريسي الذي كان تابعا لمحمد الناصر الأموي صاحب قرطبة عام 337هـ/948م وقد أخرجه منها جوهر الصقلي قائد الفاطميين واستعادها المروانيون إلى أن حررها يعقوب المنصور الموحدي فاتخذها العرب الهلاليون قاعدة أطلقوا عليها اسم العرائش، فجددوا بناءها وغيروا اسمها عام "657 هـ /1258م" على يد يوسف بن علي، وقد دخل النصارى حصن العرائش عام 668هـ/1269م وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا المدينة، وظلت خربة أزيد من قرنين إلى عام 910هـ فاحتلها البرتغاليون وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدي عام 986هـ فحصنها وبنى قصبتها).

ثم أبرز أهمية العرائش سواء بالنسبة للأوربيين أو بالنسبة للأتراك، وتسليم العرائش للإسبان وما نتج عن ذلك، وتحريرها من طرف المولى إسماعيل، كما أشار إلى انهزام الفرنسيين بفضل قطعة بحرية كانت ترابط في العرائش في عهد محمد بن عبد الله 1764م، مشيرا إلى انهزام الإسبان والفرنسيين، كما قام المولى عبد الرحمان بن هشام بمضاعفة تحصيناتها، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ في قوله :

(وقد بلغت الهدايا التي توصل بها السلطان أحمد المنصور "700.000" درهم للتنازل عن العرائش مقابل مركز آخر من المراكز التي يحتلها الإسبان بالمغرب، ولكن هذه المفاوضات أخفقت... وقد بلغ عدد السفن التركية في المغرب في هذا العهد نحو الخمسين معظمها في سلا والعرائش.... وعندما سلم محمد الشيخ المامون بن المنصور العرائش إلى النصارى عارضه محمد بن علي الأغصاوي فقتله صبرا بفاس عام 1017هـ..... هنالك انبرى السلطان المولى إسماعيل فحرر "العرائش" من قبضة الأسبان عام "1100هـ/1688م".....وفي عهد المولى محمد بن عبد الله هجم الفرنسيون على سلا

والعرائش، وقد انهزم الفرنسيون عام 1178هـ/1764م بفضل تدخل قطعة بحرية مغربية كانت ترابط في مرسى العرائش وهي سفينة الرايس سالم..... وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام على مضاعفة التحصينات ومراقبة المياه الإقليمية الوطنية فكان الأسطول المغربي- على قلته آنذاك يطارد مراكب القراصنة الأوروبيين).

16 - وعن معالم العرائش نقول :

أبرز الأستاذ عدة معالم نكتفي بعرض ما قال فيها الأستاذ على الشكل التالي :

- حصن الجنويين : Fortin des Génois كانت حواجز وادي لكوس الرملية تحول دون دخول السفن إلى ميناء العرائش اللهم إلا في مكان يسمى حصن الجنويين يقع أسفل العرائش على الشط الأيسر لنهر لكوس.

- حصن شمس وحصن العرائش دخلهما النصارى عام 668هـ/1269م وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا وارتحلوا في الأجفان، وتشومس هي مدينة ميمون بن القاسم.

- حصن الفتح : حصن بناه المنصور السعدي بثغر العرائش وهو ثاني حصن بناه في هذه المدينة.

- حصن القبيبات : قرب العرائش اعتصم به الإسبان عام 1100هـ بضعة أشهر ثم أسر منهم ألفان ونقلوا إلى مكناس أول عام 1101هـ/1689م.

قلعة كراسيوز : Graciosa أسسها البرتغاليون حماية لأنفسهم من هجمات سكان الشمال وهي واقعة على نصف الطريق بين العرائش والقصر الكبير.

ليكسوس : Lixus

مدينة عتيقة تقع على مسافة أربعة كلم شمالي العرائش على الضفة اليمنى لنهر لكوس، وهي فينيقية الأصل أسست عام 1101 قبل الميلاد، وقد احتلها الرومان وأقاموا بالقرب منها ضريح هرقل، وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة تشمس التي يقال بأن حدائق هسبريد Hesperides ذات الفواكه الذهبية الموجودة بها، على خلاف ما يراه آخرون من وجودها في (جزر الخالدات).

- مرسى العرائش : كانت تابعة عمليا لمرسى العدوتين (الرباط وسلا) يقوم رياس الرباط في مهمات فيها كما وقع عام 1209هـ.

- المقصرة : مكان في شاطئ مرسى العرائش منه هجم أسطول النابريال على البر والمراكب المرابطة في المرسى.

17 - وعن رجالات العرائش نعرض ما قاله الأستاذ على الشكل التالي :

- ابن أبي يعزى : أحمد العرائشي كان قائد مكناس "عام 1112هـ/1700م" وهو الذي جمع ديوان قبائل مكناس بأمر السلطان مولاي إسماعيل.

- ابن داني : محمد الكبير التازي المراكشي وزير مولاي الحسن في خلافته الصغرى 1305هـ/1887م).

له قصيدة في مدح العرائش :

بمرسى العرائش ما يشتهـــى وإن غبت عنها تشوقتـــها

- ابن زاكور : عبد الكريم بن عبد السلام قائد تطوان عام "1171هـ" ووالي العرائش سجنه محمد بن عبد الله عام 1179هـ/1765م.

- ابن زكرى : أسرة أندلسية هاجرت إلى المغرب قبل سقوط غرناطة، انتشرت في فاس وتطوان وتلمسان والعرائش، ومازالت أسر إسبانية تحمل الإسم بالأندلس Zegri فهل لهذه الهجرة علاقة بجبل زكري قرب وجدة، وهي قبيلة الزكارة والزكارى أيضا أسرة أندلسية بتطوان أصلها Zacari فهل منها أيضا بنو زكار بالهبط ؟ ومنهم أحمد بن محمد الزكاري أمين المستفاد بالعرائش (ت 1330هـ/1911م).

- بنو بجة : أسرة ريفية استقرت بالعرائش، منها العالم محمد بن بجة العرائشي في العهد الاسماعيلي، ومنها أيضا محمد بن عمر بجة وهو تاجر غادر مسقط رأسه العرائش في عهد محمد الثالث واستقر بقادس الأندلسية كتاجر، ثم جبل طارق فكان رمزا لصلة الوصل التجارية مع أوربا بعد قطيعة المولى سليمان مع اسبانيا وتقاربه مع انجلترا وذلك إثر رفض المولى سليمان للاتفاقية المقترحة في عام 1799م بين المغرب واسبانيا، وكان بجة ممثلا للكثير من تجار تطوان وقد عين عام 1815 قنصلا للمغرب في جبل طارق إلى وفاته عام 1820 دون وارث فعادت تركته إلى بيت المال بطلب من المولى سليمان.

- أحمد بن قاسم جنون الادريسي : حكم العرائش وكانت تعرف ب "شفدد" عندما كان تابعا لمحمد الناصر صاحب قرطبة عام "337هـ" وقد أخرجه منها "جوهر

الصقلي" قائد الفاطميين، واستعادها المروانيون إلى أن حررها يعقوب المنصور الموحدي على يد العرب الهلاليين، فاتخذوها قاعدة أطلقوا عليها اسم العرائش.

- أحمد بن محمد بن ابراهيم الفرضي : "1334هـ/1915م" قاضي العرائش ثم أسفي عمر أربعين سنة له شرح على لامية الزقاق سماه "تلخيص الحذاق" وحاشية عليها، وختم على التحفة، وتأليف في الفرائض وكليات احتوت حكما وقواعد وهزليات، وله أيضا تقييد على فرائض الصحابي زيد بن ثابت (طبعة فاس 32) ورقة وقد تولى قضاء العرائش عام 1326.

- أحمد بن موسى : عامل العرائش وأحد قواد الجيش المغربي في معركة "وادي المخازن" صحبة أخيه.

- ازطوط : بوسهام بن علي عامل المولى عبد الرحمن على الغرب بالعرائش.

بركاش : عبد الرحمان كان رئيسا للبحر عام 1245هـ/1829م وهو الذي هجم مع الرئيس عبد الرحمن بريطل على أسطول النابريال واستاق مراكب منها غنيمة لعدم حملها لورقة الجواز، ونقلها إلى كل من العدوتين والعرائش.

- بناصر : عبد الرحمان بريطل الرباطي "1363هـ/1942م" قاضي العرائش له :

1 - نوازل في مجلدين. 2 - تقييد على شرح عقود الجمان للسيوطي. 3- كتابة على اللوغاريتمات. 4 - ختم فرائض المختصر.

- الجيلالي بن ابراهيم "1336هـ/1917م" قاضي العرائش له :

1 - فتاو كثيرة. 2 - ختم على مختصر خليل. 3 - تقييد في الطلاق البائن والرجعي، رد فيه على سيدي المهدي الوزاني مفتي فاس. 4 - حواش على شرح الدردير على المختصر.

- الجزولي : محمد بن الحاج بوشعيب الرباطي، أديب شاعر استقر بالعرائش بين 1913 و191 نظم قصائد في انتصار الأتراك على اليونان، ومدح شيخه أبا شعيب الدكالي وكانت له مساجلات مع بعض أدباء وعلماء رباط الفتح، قام ضد الظهير البربري توفي بالرباط عام 1973-1393هـ.

له مقال "الأطرف في الإسلام" رد فيه على كتاب "غاية الانتصار ونهاية الإنكسار" لمحمد الشرقي الرباطي، له ديوان نشرفي (كتاب الذكريات من ربيع الحياة).

الحكماوي : عينه المولى سليمان عام "1211هـ" عاملا على طنجة والعرائش والجبل والقصر الكبير وما والاه وهو غير ابراهيم الحكماوي عامل الصويرة.

زروق : اسرة عرائشية من غمارة بني حسان منهم : عبد السلام زروق العرائشي فقيه محدث منجم صوفي ت"1328هـ/1910" ترجم له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في (رياض الجنة).

- العياشي الإملاحي : العرائشي تولى القضاء بالقصر الكبير مدة عشرين سنة إلى أول الاستقلال عام 1956.

- محمد بن الحسن بن عبد القادر المكناسي : "1351هـ/1933م" شيخ الجماعة بالعرائش نساخ ماهر، له فهرست "عنوان السعادة والاسعاد لطالب الرواية والإسناد" نسخة بالخزانة الأحمدية السورية بفاس.

- محمد بن الحسين العرائشي الأصل المكناسي النسل التجاني الطريقة له باع طويل في النحو والبيان والفقه والعروض قرض همزية النقيب الزيداني "كفاية المحتاج" بقصيدة مطلعها :

هنيئا لك البشرى بما نلت من أجر وأحرزت من فضل عظيم ومن فخر

18 — وعن الاقتصاد نقول :

وأثناء تحدثه عن الاقتصاد أبرز اهمية ثروة منطقة الهبط، وأهمية التجارة عبر مرسى العرائش في مختلف العصور، فقد كانت صلة الوصل بين الأندلس والمغرب وخصوصا في عهد المرينيين مما دفع الأوروبيين إلى الاهتمام بالمرسى، وأشار إلى نقل اليهود كتبهم عبر هذه المرسى، وكذلك نقل بيلة من الرخام زنتها 143 قنطارا إلى فاس عبر مرسى العرائش ونهر لكوس عبر القصر الكبير، كل هذا جعل المنطقة وما زالت من أكبر المناطق المغربية في ميدان الجبايات ومن المنتظر أن تصبح في السنوات القادمة أحد أقطاب المغرب الاقتصادية وفي هذا يقول الأستاذ :

(وقد ازدوجت موارد الثروة بين الصيد البحري والتجارة مع الخارج عبر مرسى العرائش بالإضافة إلى ثراء المجال الزراعي بين القصر الكبير والعرائش..... ولم يفت اليهود الانجليز نقل كتبهم من خلال السلع والبضائع ففي عام 1562م ، نقلت سفينة انجليزية إلى العرائش مقاذيف ورماحاً ومعادن كالقصدير ومعها 26 صندوقا مملوءا بكتب الزبور

بالعبرانية وكانت مرسى العرائش خاصة منذ العهد المريني صلة وصل بين الأندلس والمغرب فقد جليت عن طريقها بيلة الرخام الأبيض من المرية في عهد أبي الحسن المريني زنتها "143" قنطارا نزلت بالمرسى ثم نقلت في"وادي قصر كتامة" وحملت على عجل الخشب الى مترل أولاد محبوب على ضفة واد سبو من حيث نقلت إلى ملتقى سبو ووادي فاس.... ولوحظ أن المولى سليمان خرج في 15 ربيع الأول 1212هـ/1797م من فاس إلى قنيطرة سبو ليتلقى العامل الحكماوي الذي كان يحمل إليه قناطير الأموال من طنجة والعرائش ونواحيهما).

19 - وعن الصناعة نقول :

(في البداية قام بجرد تاريخي لظهور الصناعة التقليدية أي الحناطي مبرزا المناطق الصناعية في عهد الحسن الوزان، وكذا مساهمتها في الضرائب. تطرق إلى دور المحتسب في تسييرها وتنظيمها، وبين الاكتفاء الذاتي للمغرب في العصور الوسطى، وتوسع في الصناعة في فاس، ثم تطرق إلى بعض أنواع المصنوعات مثل السباني أيام المولى عبد الرحمان بن هشام، والقشاب والطلس في عهد مولاي زيدان وكذا السكر. في كل هذا يقول الأستاذ: "بدأت تقليدية وشملت مجموع المغرب وقد ذكر الحسن بن محمد الوزان "ليون الافريقي" في كتابه "وصف افريقيا" الذي حلله "ماسينيون" في كتابه "المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر "(المطبوع عام 1906) أن المغرب كان ينقسم في عصره "أي القرن العاشر الهجري" إلى خمس مناطق صناعية :

1 - ناحية فاس التي تشمل الريف تصنع بها الأنسجة الغليظة "خاصة في الهبط وتازة" "وثياب الصوف" في زرهون وبني يازغة... 2 - ناحية الهبط الساحلية إلى حاحة ومن ضمنها القصر الكبير والعرائش انطلاقا من سبتة التي كانت تصنع أواني النحاس المنحوتة والمرصعة وتصدرها إلى البلاد الإيطالية.... 3 - ناحية هسكورة وتادلا حيث تركزت الصناعة الأهلية وراء شواهق الأطلس كمناسج الصوف والسروج في هسكورة والبرانس السود في تادلا مع تقيات الطواكي،... 4 - صقع سوس حيث يصاغ الذهب والفضة وتصنع الجلديات والثياب..... 5 - الأودية العليا في منطقتي "زيز" و"كير" حيث يروج السكان مصنوعات فاس عدا الحديديات وأنسجة الصوف.....).

ويضيف قائلا :

(وهكذا ازدهرت الصناعة التقليدية في مختلف أنحاء المغرب فضمنت في العصور الوسطى نوعا من الاكتفاء الذاتي بتعاون المناطق حسب الاستعدادات الطبيعية لكل منطقة..... فبخصوص السكر مثلا ذكر البكري "القرن الخامس" أن قصبا كان موجودا في "إيجلي" قاعدة بلد سوس..... وكانت الصنائع المختلفة تؤدي القبالات "أي الضرائب"، فقد لاحظ الإدريسي أنه "كانت أكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان "السفنج" والصابون والصفر والمغازل وكانت القبالة على كل شيء يباع فلما ولي المصامدة "أي الموحدون" قطعوا القبالات... وكان استخدام السكر والشاي قد أثار منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري موجة من الاستنكارات بسبب ما راج آنذاك من استعمال عظام الموتى في صنع السكر ومما صدر من أبحاث "رسالة في السكر والشاي" لمحمد بن الشاذلي الحمومي شيخ الجماعة بفاس (1266هـ/1849م).

ويضيف قائلا أيضا :

(ومعلوم ان المحتسب هو الذي كان يسير دواليب الحياة الاقتصادية في كل مدينة ويشرف على الحناطي ويراقب الأسواق والمكاييل والموازين وهو الحكم الذي يرجع إليه لفصل الدعاوى بين التجار والصناع والمحترفين وكانت له السلطة في ميدان الصناعة والاقتصاد وقد تحدث باليز Pallez في المجلة "الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب" عن نظام الحناطي فلاحظ أنه كان يتسم في جميع العصور بطابع الحرية.... المخزن كان يحترم مبدأ الحرية التجارية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات وإنما فسد هذا القطاع - كما يلاحظ باليز- بالاحتكاك بالغربيين..... كانت كل الواردات من السكر تتم عن طريق العرائش أو ميناء طنجة من القوافل المتوجهة برا نحو الجزائر والسودان وكانت القبائل هي الوسيط والسماسرة، ولولا الحاجز الرملي في العرائش لاقتصر التجار على هذا الميناء وعدلوا عن طنجة لبعدها عن فاس وكان (فيليب) الثاني يعتبر العرائش ميناء فاس الأول وأهم نقطة من ساحل المحيط،.....

السباني : المناديل الصغيرة كان المغرب ينسج منها كميات وافرة وقد صنعت أطرزة العدوتين "سلا والرباط" آخر ايام المولى عبد الرحمان العلوي "460.800".....

الطلس : يظهر أنه كانت بالمغرب في عهد مولاي زيدان مصانع للطلس Satin حيث ورد في قائمة هدايا السلطان إلى هولندا عام 1612 وكانت فاس تصدر الأنسجة إلى مدن المغرب والجزائر إبان الحماية الفرنسية فقد استوردت الجزائر ربع أو خمس منسوجات

فاس الصوفية عام 1937 وكذلك مصر والسنغال. وقد عرفت صناعة النسيج في المغرب خلال العشر سنوات الأخيرة "1967-1977".

20 – وعن العملة ودور سكها نقول :

تمحور كلامه حول الدرهم والدينار، وبعد مقدمة تاريخية لهما منذ قيام الدولة الإسلامية، أبرز قيمة العملتين من حيث تطور وزنهما وقيمتهما في المعاملات التجارية وغيرها، وفي هذا يقول :

(عرف العرب من الدنانير صنفين الهرقلي أي الرومي والكسروي أي الفارسي، وظل العرب يتعاملون بعد الإسلام بالنقود الرومية والفارسية، وعندما ضربوا نقودهم أبقوها على شكلها الرومي والفارسي بكتابتها ونقوشها حتى إن سيدنا خالدا بن الوليد يوم سك نقودا في "طبرستان" عام 15 أو 26هـ جعلها على رسم الدنانير الرومية.

الدينار : كان وزنه يتراوح في الصدرالأول بين 4.749 غرامات و4.25، ونقص وزنه أيام المرابطين فأصبح 3.960 غرام، ثم ارتفع وزنه أيام الموحدين الذين حاولوا العودة إلى الوزن السلفي.... وقد أصبح للدينار بعد وقعة وادي المخازن نفاق لدى التجار الانجليز الذين اغتنموا هزيمة البرتغاليين لبيع منسوجاتهم بالذهب ومبادلتها كذلك بالسكر والجلود المدبوغة وملح البارد... وفي أيام العلويين بلغ وزن الدينار ثلاثة غرامات، ومنذ عهد المولى إسماعيل أبطل التعامل بالدينار الذهبي اللهم إلا ذلك النوع الصغير التابع الذي ضرب بالرباط عام 1202هـ/1787م والذي كانت قيمته تعادل أربعين موزونة وهكذا انتهى عهد المغرب بالمثاقيل الذهبية التي استعيض عنها بمثاقيل قياسية من فضة، فكان الدينار الفضي يزن 28 غراما ما بين سنتي 1174هـ/1202هـ "1769 – 1787" وساوى ريالا عام 1266هـ/1849م.... أما بالنسبة للدرهم فقد كان الدينار يساوي في الصدر الأول عشرة دراهم وستمائة فلس، وأيام المرابطين والموحدين مثقالا وعشرة دراهم، وأيام المرينيين والسعديين والعلويين 15 درهما،....وكان الدرهم الصحرواي مربعا في العهد الموحدي يتعامل به في الصحراء ولكن شكله استدار في الغالب حاملا في أحد وجهيه اسم مكان السك وهو تطوان والرباط أو العاصمتين فاس ومراكش وقد تم سكه في عهد المولى الرشيد والمولى سليمان واستمر إلى عهد مولى الحسن الأول).

وأبرز نتائج الأزمة السياسية التي عرفها المغرب بعد وفاة المنصور السعدي وتأثيرها على انهيار العملة وغياب الدينارالذهبي، وتعددت النقود في عهد المولى محمد بن عبد الله

الذي وجد صعوبات من ضمنها موقف الأثرياء، وصادف أيضا محمد بن عبد الرحمن صعوبات مالية من جراء حرب تطوان أثرت على العملة المغربية، إلى أن جاء المولى الحسن الأول الذي غير العملة وسك الحسني بباريس، والذي بقي متداولا وقويا إلى أن وقع إلغاؤه سنة 1920م وهو مبين في أقوال الأستاذ :

(ففي آخر السعديين جرفت بالمغرب أزمة خطيرة سياسية واجتماعية واقتصادية وتمخض الاضطراب السياسي وانحلال الحياة الحضرية والحروب والأوبئة عن تأزم الوضع المالي فتقلص الرصيد المعدني الذي كان في خزائن المخزن السعدي مما أدى إلى انهيار العملة وغياب الدينار الذهبي والدرهم الفضي من السوق نظرا لانعدام المعدنين، وبذلك انهارت الحركة التجارية التي كانت مزدهرة في البحر الأبيض المتوسط وتحللت معها أسباب الرواج في المغرب فاستحالت العملة إلى فلوس نحاسية مزيفة).

وفي عهد الدولة العلوية سك المولى رشيد الدرهم الفضي وبعده سك المولى إسماعيل البندقي وهو أول دينار ذهبي علوي وكثرت دور سك العملة وفي هذا يقول:

(وفي عام 1077هـ/1666م ضرب صنف جديد من الدرهم الفضي هو الموزونة تزن 0.70 غراما..... وعم هذا الانطلاق سك العملة الصالحة في مضارب فاس وسجلماسة ومراكش والرباط ضمن الامركزية.. فسك البندقي كأول دينار علوي مقتبس من البندقية التي كان للمغرب معها منذ قرون صلات تجارية عبر البحر الأبيض المتوسط فأصبح البندقي عملة ذات قيمة.....) ويضيف قائلا : (فتعددت النقود وتوافرت معامل سك العملة، واتجه الأمير الشاب نحو تقليص النقود الأجنبية الرائجة في المغرب وذلك بتقويم جديد للنقد الذهبي وتعزيز عملة "البندقي" دون المساس بالموزونة الذهبية ولكنه اعاد للدرهم الفضي وزنه "الشرعي" وهو 2.93 غرام، أي ما يقارب ثلاثة غرامات والمثقال الذي أصبح يساوي نصف البندقي، غير أن الرواج لم ينتعش لأن الأثرياء عمدوا إلى خزن الذهب والفضة نظرا لقيمتهما فاضطر السلطان إلى توفير كميات المسكوكات استعانة بمعامل السك في مدريد،... وقد اصطدم المولى محمد بن عبد الرحمن 1276هـ-1290هـ بعراقيل مختلفة داخلا وخارجا فتت في عضده لا سيما بعد حرب تطوان "1276هـ- 1859" التي لم تنفرج بانسحاب العدو منها إلا بعد الالتزام بما سمي آنذاك بنفقات الحرب قدرها مائة مليون بسيطة اضطر السلطان معها إلى الاقتراض من انجلترا وإفراغ بيت المال لمواجهة فم الأسبان وأطماعهم، فكان في ذلك انهيار محقق لاقتصاديات المغرب الذي كف عن

سك النقود عدا فلوس النحاس.... فقيض الله للمغرب أميرا شابا عرف كيف يدافع بين الدول ظل عرشه فوق صهوة جواده نحو العقدين من السنين ضمن "حركات" لتمهيد البلاد وإعادة الطمانينة والأمن وهذا الشاب هو المولى الحسن الأول ("1290هـ/1311هـ") فغير العملة وخلق الريال الحسني أكثر وزنا من الريال الاسباني فكان وزن هذا الأخير 27 غراما بينما بلغ وزن المثقال المغربي 29.11 غراما، وقد سك الصنف الأول من الريال المغربي بباريس عام 1299هـ/1882م.... ومع ذلك ظل الريال الحسني رائجا إبان الحماية إلى أن ألغي عام 1920 ليقوم مقامه الفرنك الفرنسي، وبعد فترة قصيرة ظهر فيها الريال اليوسفي وموزونات النحاس فبلغ عدد النقود المسكوكة بين الحسن الأول والمولى يوسف سبعة وثمانين.

21 - وعن النظام الجبائي والقرض نقول :

لقد أبدع الأستاذ في هذا الموضوع، فوضح تطوره بداية من الفتح الإسلامي ومرورا بالمرابطين والموحدين والمرينيين، حيث وضع أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني نظاما جبائيا جديدا يظهر في قول الأستاذ :

(وفي أيام يوسف بن يعقوب وأبي سعيد عثمان بن يعقوب المرينيين وضع نظام جبائي جديد اقتصر على الزكوات والأعشار الدينية علاوة على الجزية، وكانت المدن تؤدي ضرائب غير مباشرة تعرف بالمستفاد استعاض أبو سعيد المريني عن جميعها بالمكس والقبالة..... لكن هذه الجبايات تغيرت منذ عهد السعديين خلال القرن العاشر الهجري حيث نظمت جباية "النائبة" عام 960هـ/1552م في عهد محمد المهدي، كما أعيد نظام الخراج أيام المنصور وتطورت الجبايات فشملت السكر والفضة والذهب، واحتكر المخزن بيع الكبريت والفولاذ والتبغ إلى أن استعيض عن الزكوات الدينية عام 1319هـ/1901م بضريبة "الترتيب".... وقد فكر السلطان محمد الثالث في فرض ضريبة على المباني تقدر بمستفاد أو كراء شهر واحد في السنة وتؤخذ حتى على الأملاك المحزنية المكراة).

كما تحدث عن القروض وكيفية تسديدها وشروط منحها، وحطابات الاعتماد التي استعملها التجار بين فاس وتافيلالت والتخوم الجزائرية والتي لم تكن بالمحال، فكان التجار في فاس يقومون بدور البنوك، كما تحدث عن دور اليهود في هذا الميدان، وقد تبنى المخزن هذا النظام نفسه في تلك الفترة، يقول الأستاذ في هذا الصدد :

(وكان المخزن نفسه يستخدم هذه الطريقة لدفع أجور عماله في التخوم الصحراوية فكان تجار فاس يقومون بنفس الدور الذي تقوم به البنوك والمصارف).

22 - وعن الزراعة وسياسة التركيز الجهوي نقول :

تحدث عن أنواع المزروعات في بلاد الهبط ومميزاتها رابطا إياها بالأندلس في عهد الموحدين، كما صحح بعض أسماء الأشجار والفواكه في منطقة القصر الكبير أو المغرب. وتعرض إلى التبغ وما دار حوله من تحليل وتحريم يقول في هذا الصدد :

(أما التبغ فقد امتازت المنطقة بزراعته وخاصة منطقة الريف وقد صدرت في شأنه ظهائر ومراسيم حرمت زراعته تارة ثم رفعت عنها الحجر تارة أخرى لأن بيت المال كان يستفيد من تصديرها أو من الضرائب المفروضة عليها وقد جرؤ بعض العلماء على تحليل شرب الدخان المحصل من التبغ وصدرت في ذلك دراسات تعارضت فيها الآراء).

وتحدث عن التنظيم القبلي والظهائر المنظمة والمدعمة له ويظهر هذا في قوله :

(القبيلة كانت تحتفظ باستقلالها الداخلي وتمثل في المجالس المشتركة..... وكانت السلطات المحلية تفرض ضرائب على المحاصيل والماشية في القبائل وأخرى نقدا في الحواضر، وكثيرا ما كانت "الأخماس" وهي فرق تضم قرى مختلفة من انتماء واحد تختلف بين الشمال والجنوب، فكلمة (أفوس) مثلا تطلق على خمس كان في جنوب المغرب ليس على غرار أخماس الشمال، وكانت له حياة ذاتية مستقلة ومجلس للأعيان فهو أكبر من القرية وأصغر من القبيلة، ويتكون الخمس غالبا من خمس أو ست قرى بنسبة عضوين عن كل قرية في مجلس الأعيان، وللخمس علمه الرسمي يعرف به..... وقد عززت المملكة بعد الاستقلال وحدة القرى اجتماعيا واقتصاديا فأصدرت في ثالث عشر يونيو 1960 ظهيرا شريفا لتنظيم واختصاصات الجماعات الحضرية والقروية، وفي 30 شتنبر 1976 صدر ظهير شريف حول ميثاق الجماعات يحدد دور المجالس الجماعية الحضرية والقروية ومنحها اختصاصات وسلطات واسعة خاصة منها الاختصاصات الاقتصادية والاجتماعية وصدر ظهير ثان في نفس التاريخ يخصص للجماعات 30% من الضريبة على القيمة المضافة T.V.A والضريبة الحضرية وضريبة النظافة ومجموع ضريبة المعاملات وفي 19 يونيو 1986 صدر ظهير شريف لدعم هذه الجماعات بإحداث بنك تنمية الجماعات تقوم الدولة بتخصيص إمدادات للتسيير والتجهيز في حالة قصور الموارد المحلية).

23 – وعن السدود نقول :

تعرض إلى تعريفها وفوائدها مشيرا إلى أولى السدود التي ظهرت في الأندلس يقول الأستاذ :

(ولعل أول سد عرفته الأندلس هو سد بلنسية Huerta de Valence الذي حجز مياه نهر تومة Toma حيث حفرت سبع قنوات على ضفتيه ثم تفرعت لسقي السهول المجاورة فكانت كل قناة تفتح خلال يوم واحد من أيام الأسبوع).

ثم عدد نظام الري في المغرب ابتداء من المرابطين المعروف بالخطارات، كما عدد السدود التي انشئت في عهد الحماية وفي عهد الاستقلال، وسياسة المرحوم الحسن الثاني الذي أعلن انطلاقة السدود سنة 1967 لري مليون هكتار يقول الأستاذ :

(وفي عام 1967 أعلن جلالة الملك الحسن الثاني انطلاقة سياسة السدود باتخاذ قراره السامي لبناء ستة سدود تشكل المرحلة الأولى من برنامج واسع يستهدف بالإضافة إلى آلاف البحيرات أو السدود التلية (b.collinaires) سقي مليون هكتار قبل عام 2000 وقد تم بناء سد محمد الخامس عام 1967 وتلاه سد القنصرة عام 1969 وسد مولاي يوسف وسد الحسن الداخل عام 1968 ثم سدود كرو والمنصور الذهبي وإدريس الأول ويوسف ابن تاشفين عام 1969).

24 – وعن الأسطول المغربي وقطعه في العرائش نقول :

تعرض الأستاذ إلى تطور الأسطول المغربي عبر العصور ابتداء من عهد الموحدين قائلا :

(وقد أنشأ عبد المومن القطائع البحرية عام 557هـ/1161م في سواحل العدوة والأندلس فصنع منها زهاء مائتي قطعة أعد منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على وادي سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة، وقد بلغت هذه القطع 400 حسب ابن أبي زرع).

وعدد قواد الأسطول والمعاهدات مثل المعاهدة مع هولندا التي قال فيها :

(والواقع أن الهدف الأساسي من السفارة هو إمضاء معاهدة تحالف وتجارة تضمن حرية الدخول للجانبين في مراسي البلدين مع إمكان تزويد المغرب بالربابين والسفن والعتاد وقد أمضيت في 24 دجنبر 1610م/1019هـ من طرف السفير (ساموبل بالاش) من جهة وثلاثة مندوبين عن الولايات المتحدة من جهة أخرى ولعل هذه السفارة هي أعظم

سفارة مغربية لهلندا في عهد السعديين، لأنها أسفرت عن توقيع أول معاهدة بين البلدين ضمنت عدم تصادم مراكب البلدين في البحر..).

ويقول في اهتمام العلويين بالأسطول :

(أما الأسطول العلوي فأول من وضع الأسس لبناء أسطول وطني قوي هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي كان للمغرب في عهده حسب الناصري خمسون سفينة منها ثلاثون حراقة أو فرقاطة بإمرة ستين رئيسا أو ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار وألفين من الرماة... ويظهر أن الأسطول العلوي ارتفع بعد بضع سنوات أي 1185هـ/1771م وهكذا شرع السلطان سيدي محمد بن عبد الله منذ بداية عهده في صنع مراكب في دار الصناعة بأبي رقراق جهز كل واحد منها ببطريات يبلغ عدد مدافعها ما بين 26 و36...).

وقد لعبت العرائش دورا مهما في نشاط الأسطول المغربي ويظهر هذا فيما عرضه الأستاذ، ويكفي أن نشير إلى بعض أقواله كالتالي :

(وفي عام 1218هـ خرج الرايس إبراهيم من العرائش إلى البحر بأمر من المولى سليمان لأسر المريكان إن وجدهم في البحر والإتيان بهم إلى طنجة فسارت سفينة ابراهيم قاطعة بهم البوغاز ناحية الجزائر فأخذ سفينة للمريكان وقبض على نحو "2188" متهم فاعترضت سفينة الرايس المغربي سفينة امركانية تحمل 40 مدفعا ونحو 400 جندي فأخذوا سفينة الرايس وأسروه مع 100 من بحارة الرباط مفرقين في نحو أربع سفن أمريكية فقدم السلطان بنفسه إلى طنجة لافتكاكهم..... ومما يدل على أهمية قطع الأسطول المغربي وقدرتها على خوض أمواج المتوسط أنه في عام 1226هـ ربيع الأول خرجت من الرباط بحرية فلوريش وبحرية المزيمزي ومعه العباس غنام باشا رايس والرايس ولعلو السلاوي للعرائش، يحملون الزاد لنجل السلطان مولاي ابراهيم بالاسكندرية وينقلونه إلى المغرب، وقد خرجوا من العرائش للاسكندرية في نفس السنة جمادى الثانية).

وتحدث عن البحار المغربية قبل صدور القانون الدولي، وعن ظهير سابع مارس 1917 القاضي بتأسيس البحرية المغربية، وعن المدارس البحرية والتدريبات البحرية وفي هذا الصدد يقول الأستاذ :

(بظهير سابع مارس 1917 "تأسست البحرية البخارية المغربية رافعة العلم المغربي فقسم المغرب آنذاك إلى ست مناطق ملاحية" الرباط - البيضاء - الجديدة - أسفي - الصويرة - السعيدية .....ولعل أول مدرسة حملت هذا الاسم هي (متحف الاوذايا) الذي كان يتخرج فيه ربابنة البحر،..... في عام 1202هـ/1787م استقدم المولى محمد بن

عبد الله من آيت عطا ستمائة رجل مع أربعمائة من العبيد وجههم لتطوان لأخذ السلاح والكسوة، ثم إلى طنجة للتدريب على ركوب البحر في الغلائط، وكانت لديه منها عشرون كانوا يركبون فيها كل يوم ويخرجون للبوغاز وسواحل اسبانيا ويتطارحون مع بعضهم بعضا بقصد التعليم".

أتمنى أن أكون قد أوضحت للقارئ ما ذهبت إليه من موسوعية المؤلف، الذي لم يقتصر على بلاد الهبط، بل هو مرجع للتاريخ المغربي بصفة عامة.

ذ. محمد أخريف
رئيس جمعية البحث التاريخي
وعضو مؤسسة القصر
بالقصر الكبير

القسم الأول
القصر الكبير عاصمة الهبط

القصر الكبير عبر التاريخ

أسس الفنيقيون مدينة ليكس عام 1101 ق.م، وهي أول حاضرة عرفها المغرب، بالإضافة إلى مدينة عتيقة Utique قرب تونس الخضراء التي شيدت في نفس السنة، وقد أقيمت على أنقاض ليكس في عصر الإمبراطورية الرومانية الأولى «HAUT EMPIRE» ق.م مدينة سميت ليكسوس ما لبثت أن تجددت في عهد البيزنطيين "BAS EMPIRE"، ثم قامت في العهد الإسلامي مدينة تشمس"[1] في الطبقة الرابعة من نفس الموقع، غير أن الرومان الذين كانت سياستهم التوسعية تتدرج في مراحل من الشاطئ إلى قلب البلاد – ما لبثوا أن أسسوا "كما أسس قبلهم الفنيقيون عاصمة قرطاج Carthage عام 814 ق.م" مدينة Oppidum Novum وهي "القصر الكبير" التي يمكن أن تعتبر أول حاضرة في المغرب ما زالت قائمة.

ومن المدن الأثرية الهامة ليكسوس الواقعة على مسافة أربعة كلم شمالي العرائش وعلى الضفة اليمنى لنهر لوكوس، وهي فينيقية الأصل احتلها الرومان وأقاموا بالقرب منها (ضريح هرقل)، وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة الشمس أو تشمس التي يقال بأن حدائق هسبيردس Hesperides ذات الفواكه الذهبية موجودة قربها على خلاف ما يراه آخرون من وجودها في "الجزر الخالدات" وهي الجزر "السعيدة" السبع التي احتلها الإسبان في القرن الخامس عشر. ويرى علماء الآثار أن هذه المدينة تحتوي على كنوز فنية لا تقدر، لذلك أولى المسؤولون من الأثريين هذه الحاضرة الأزلية عناية خاصة، وقد عثر على البناء الفينيقي في الطبقة السفلى على عمق بضعة أمتار، وفوقه البناء الروماني على طبقتين أعلاها المدينة الأمبراطورية، ثم طبقة أخيرة يظهر أنها راجعة لصدر الإسلام نظرا للعثور فيها على قطع خزفية عربية ملونة ومنقوشة بحروف كوفية؛ علاوة على بقايا مسجد بمحرابه وفنائه. أما النماذج الأثرية القديمة فهي أوان من الفخار تطور صنعها فدهنت أيام الفنيقيين باللون الأحمر وكذلك قناديل منوعة، كما عثر على بقايا دور بونيقية مبنية من الحجارة تحتوي على غرف مستطيلة كالغرف المغربية الحالية وأرضها مبلطة بالفسيفساء المرمري، وهذه المدينة التي تنقسم إلى عدة أحياء كل حي بسوره الخاص تعتبر "هي ومدينة

---

(1) – تشمس : راجع افريقيا الشمالية للإدريسي ص : 108 – الاستقصا ج 2 ص: 15 – المغرب لليكري ص : 112 سماها (توشمس) وهي مدينة ميمون بن القاسم الإدريسي.

شالة" المدينتين الوحيدتين الواقعتين في مركز بحري هام، وكانت مستودعاتها الغنية تستعمل لحفظ الحبوب والزيوت.

وبعد سقوط قرطاج في قبضة الرومان عام 148 ق.م نزح بعض القرطاجيين إلى المغرب، وقاموا مع مغاربة برحلة عبر المحيط إلى القارة اليابسة فنزلوا في البرازيل، وتركوا حجارة مكتوبة تحمل تاريخ 125 ق.م "أي بعد أن استولى الرومان على قرطاج بنحو العشرين سنة" حيث توجد عشرات الألفاظ والتراكيب مفرغة في قالب عربي مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصيين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق.

ففي الفقرة الأولى جملة حررت بالبونية هي :

"هنا أحنا بني كنعان فرنم لاحقرة حمل" يمكن أن نقلبها إلى عامية الشمال الإفريقي وخاصة التونسية فنقول : "هنا أحنا بني كنعان من فرانم تحملنا الحقرة" ومعناها بالفصحى :

"هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار" ففي هذه الفقرة وحدها سبع كلمات لا يوجد فيها أي دخيل، وإنما هو انحراف بسيط عن الفصحى بسبب الاستعمال العامي المتداول؛ على أن البونية قد بدأت تتسرب إلى المغرب الأقصى مواكبة دخول القرطاجيين الرسمي حوالي 480 ق.م. وأكد القديس أغسطين St. Augutin أنها ظلت متغلغلة في أنحاء البادية المغربية إلى نهاية عهد "الوندال" أي إلى عهد الفتح الإسلامي، في حين اندرست لغة الرومان باندراس معالم الحضارة اللاتينية التي تطورت في نطاق محدود لم يتجاوز مثلثا تمتد حدوده من طنجة إلى وليلي إلى شالة، عاشت جاليته الرومانية في قفص مقفل بعيدة عن المحيط البربري الذي كان يلفها، وقد اعترف بهذه الظاهرة مؤرخون طالما دعوا إلى "غربية" البربر[2] ولكنهم دهشوا أمام هذا التجاوب العميق الذي مهد المفاوز والأوعار البربرية أمام الفتح الإسلامي بانتشار "لغة قريبة من العربية"[3]، فكلمة قرطاج نفسها معناها "قرية حداش" أي القرية الحديثة صحفت إلى قرتاش بتعطيش الجيم كما نطق بها الرومان، وكذلك حنبعل Hannibal أصله "حنى بعل" أي "نعمة الله" وكان اسم أبيه هاملكار Hamilcar أي حامي القرية الذي حارب الرومان في صقلية.

---

(2) مثل Gautier مؤلف (العصور الغامضة في تاريخ المغرب) وذلك خلافا لما ذكره أبو سالم العياشي في رحلته ج 1 ص: 53 من أنه " لا عربية في المغرب قبل الإسلام اتفاقا.

(3) إفريقيا الشمالية – كوتيي ص: 148.

نعم لقد انحدرت إلى المغرب الكبير منذ أربعة آلاف سنة أفواج عربية انطلق بعضها من جنوب الجزيرة العربية مهد الحضارات، منضمة إلى أرفاد الشام لنقل نواة الفكر العربي إلى الأطلس العتيد، حيث أجمع النسابون على أيادي الشاميين في تعريب المناطق المتبربرة بين قبائل "المصامدة" و"صنهاجة" وسهول "كتامة" مما لم يعد مجال للشك فيه.

وقد سبق لنا أن نظمنا قصيدة أشرنا فيها إلى هذه المدن الرومانية بعنوان "نوفوم" أو "القصر الكبير" جاء فيها :

"نوفـوم"[4] ثانـية الـحواضر ارفلـي ... في العـز بيـن توائـم الأقمـار

اختـارك الرومان حاضـرة الهنـا ... نزاحة عـن لـكسـس وقـفـار

مهد الحضارة جـنة الدنيـا التـي ... عرفت ب"هسبـريد" في الأمـصـار

جـرت ذيول الفخر فـي خيلائـها ... فغدت "وليلـي" طمـرة الأغمـار

بـذت عواصـم "تنـجـس" و"تمودة" ... و"تمـوسيـدا" أنعم بهـا مـن دار

ما إن بدا قصـر العوارف في الدجـى ... إلا بـدا فـيـض مـن الأنـوار

أو أينعـت وضـح النهـار كرائـم ... إلا سمـا ومـض مـن الأسـرار

يا بلـدة أكـرم بهـا مـن بلـدة ... يا موطـن الأطـهـار والأخيـار

اليمن نبـع فيضـه واليسـر ثـَـرَّ ... ت عينـه والسيـل خيـر نضـار

الخير أنت شعـاره والنبـل أنـ ... ـت دِثـاره والبيـت خيـر مـزار

العقد أنت نظامه والفضـل أنـ ... ـت جماعه والجـود خيـر منـار

فيك الأجنة راضعـات للتـقى ... فيـك الجنان لواقـح الأزهـار

---

(4) Tissot – Geographi ...p : 162 et 343 (الذي لاحظ (ص: 5) أن مدينة القصر الكبير مبنية في معظمها بأدوات أزلية العهد وتوجد على إحدى قواعد منارة الجامع الكبير كتابة اكتشفت منذ عام 1871م وهي تشهد بوجود ضريح في ذلك المكان. Moulieras le Maroc Inconnu T.2. p : 537.

وقد كانت مدينة القصر الكبير مهبط رجالات العلم والفكر والتصوف في افريقية الشمالية في مختلف العصور، ومن مظاهر رفعتها تعدد الأسماء التي أطلقت عليها ومنها: قصر كتامة، وسوق كتامة، وقصر دهاجة[5] وقصر عبد الكريم[6] أو ابن عبد الكريم أو القصر، ويرجع إطلاق قصر "كتامة" إلى مجدد بناء المدينة عبد الكريم الكتامي[7]. وقد أشار البكري[8] إلى أن "كتامة" كانت حاضرة إدريس بن القاسم بن إبراهيم على نهر لكس، ولعل من مجالي هذا الصيت انصباب اسم "قصر كتامة" على مدينة بالجزيرة الخضراء "حسب ياقوت". والقصر الكبير إحدى مدن إقليم "تطوان سابقا" والعرائش حاليا تضم في دائرتها عدة جماعات منها : بوجديان والعوامرة وقصر البحير والقلة وسوق الطلبة وتاطفت وغيرها. ويظهر أن معالم المدينة قد توالى تجديدها حتى قيل بأن المنصور الموحدي هو بانيها[9]، ولا نطيل بسرد الأحداث الحضارية التي كان القصر الكبير مسرحا لها في شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ويكفي دليلا على غزارة مادة هذا الموضوع كثرة من تناوله بالبحث والتمحيص في مختلف العصور[10]، ويرى بعض المؤرخين القدامى مثل بلين أن ناحية القصر الكبير هي مركز الحدائق الذهبية المشهورة في التاريخ باسم Hesperides المحتوية على تفاح الخلود حسب الأساطير، وبعضهم جعلها في (جزر ساحل الأطلنطيك كالجزر الخالدات)، وقد أطنب هؤلاء المؤرخون في التنويه بخصب هذا الإقليم الذي كان ينتج نسبة كبيرة من المحاصيل ببذور قليلة، ويرجع ذلك إلى توافر الأسمدة الكيماوية الطبيعية التي خلفها البحر عند انحساره بعد أن غمر هذه الأقاليم إلى ممر تازة.

---

(5) خلافا للبكري ووفاقا لابن خلدون في العبر ج 1 ص: 291 من الترجمة.

(6) وصف إفريقيا للادريسي ص 51 وقد التبس الامر على ياقوت الحموى في معجم البلـــدان "ج: 7 ص: 106" حيث ذكر أن قصر عبد الكريم يقع قرب سبتة و لعله يقصد القصر الصغير.

(7) دوكاسترج 1 ص: 175 نقلا عن البكرى و الإفراني.

(8) البكري "ص: 110".

(9) راجع جغرافية الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي Léon l'Africain "خلافا لصاحب الاستقصا ج 1 ص : 187" وقد حدد الادريسي (إفريقيا الشمالية ص : 52) موقع مدينة بين تاورة وبني زياد على مسافة ربع ميل من مكناسة تسمى القصر ولعله يعني مدينة أخرى كانت تحمل نفس الاسم لا سيما وأنه أشار ص 53 إلى قصر عبد الكريم على نهر لكس.

(10) راجع تاريخ افريقيا الشمالية لالتري جولبان في (ص 373 و736) والوثائق المغربية Archives marocaines T.2.p.1 (n° 2) وهسبريس Hesperis 1937 p : 321 n° 4 والوثائق الغميسة Sources inedites de l'histoire du Maroc Saadiens – 1 ére série T.1 p : 37 - 668 T.2 p : 277 - 467 T.3 (introduction et p : 580).

ومن جملة من أبرز أهمية القصر كمركز اقتصادي صاحب (مرآة المحاسن ص: 142) وقد كانت تشكل في سوس الأدنى[11] في القرن الثالث الهجري ممر القوافل التجارية[12] التي كانت تصل الأندلس وبصرة المغرب وبصرة العراق عن طريق افريقية أو سجلماسة، وكان نهر لكوس[13] ميدانا لأعظم معركة عرفها المغرب هي معركة وادي المخازن، التي فقد البرتغال إثرها استقلاله طوال نيف وستين سنة. وقد سمي هذا النهر بأسمير وهو اسم [14] أطلق على وادي أبي رقراق،[15] كما يطلق الآن على نهر في منتصف الطريق بين تطوان وسبتة، وقد انتشرت حول القصر الكبير مدن وقرى مثل العرائش[16] وفروجة[17] والبصرة على نفس المسافة تقريبا ما بين 30 ميلا و30 كيلومترا[18] وهو ما يسمى بالمرحلة. وكانت البصرة أهم مركز لصنع الكتان في المغرب[19]، وتسمى أيضا بالحمراء لحمرة ترابها[20] وبيصرة الذبان لوفرة ألبانها، وامتازت إلى جانب ثرائها الاقتصادي بجمال نسائها "الذي فاق جمال نساء المغرب" وروعة عمرانها وتكاثف الأندلسيين والبرابرة في رحابها، وقد أسست في نفس الوقت الذي تم فيه تجديد بناء أصيلا[21]، وهدمها أبو الفتوح صاحب

---

(11) سوس الأدنى يمتد من ملوية إلى أم الربيع والأقصى من درن إلى وادي نون (الجذوة ص 8) وربما شمل سهول الأطلنطيك من الأطلس حبال الريف بالبحر المتوسط (روبير مونطاني – البربر والمخزن ص 27).

(12) لاحظ ابن خرداذبة في جغرافيته في القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يجولون خلال العالم مارين بسوس الأدنى عن طريق طنجة ومن هناك يتجهون إلى افريقيا ومصر

(13) أطلق هذا الإسم على نهر بأقصى جنوب المغرب (راجع ما ورد عن عرب الخلط في لكوس في

Archives Marocaines T.4 et T.5.)

(14) راجع "نزهة المشتاق للإدريسي"وصف افريقيا ص: 47 والمغرب في بلاد افريقية والمغرب ص: 106 / وهو جزء من المسالك طبع بالجزائر عام 1911 بتحقيق دوسلان.

(15) راجع كتاب الجغرافية لمحمد بن أبي بكر الزهري ص: 192 طبعة دمشق 1968.

(16) تحدثت مصادر كثيرة عن العرائش من أهمها الذخيرة السنية "ص: 97" التي ذكرت أنها أسست عام 657 هـ على يد يوسف بن علي / السلوة ج1 ص: 266 / نشر المثاني ج 2 ص: 137 والاستقصا ج 3 ص: 105 "الذي أشار إلى استيلاء الإسبان عليها بإعانة الشيخ المامون عام 1019هـ وج 2 ص: 15 وج 4 ص 34 حيث تاريخ تحريرها في 1100هـ والاتفاقات الدولية للأستاذ Caillé "ص: 278" وقد طالبت بها اسبانيا أيام المنصور السعدي (دوكاستري ج 2 ص : 86 قسم فرنسا) حيث تدخل الترك لحمل المغرب على عدم تسلمها ص: 98 - 114.

(17) قرية أشار إليها الزياني في (الترجمانة الكبرى ص 476).

(18) ذكر الادريسي في افريقيا الشمالية ص 109 أن ما بين البصرة وتشمش أقل من مرحلة وقد أشار البكري (ص : 114) إلى أصادة التي تبعد عن يجاجين بستة أميال فقط في قبيلة بني مسارة.

(19) البيان المغرب لابن عذاري ج / ص 133 و 330 / تاريخ ابن خلدون ج 6 ص: 156 الذي لاحظ أنها على واد سبو / وصف افريقيا للادريسي ص: 109 / معجم البلدان لياقوت ج 4 ص 440.

(20) المغرب للبكري ص 110.

(21) "أوازيلا" راجع وصف إفريقيا الشمالية للادريسي ص 109 أو "ازيلي" (معجم البلدان ج 1 ص 217).

إفريقية من قبل العزيز بالله عام 368[22]، ولعل مما يثير الانتباه في تاريخ العمران بالمغرب تماس الحواضر في مسافات لا تزيد على مرحلة، وقد لاحظ (ابن حوقل) أن بين البصرة ومدينة الأقلام[23] أقل من مرحلة، كما لاحظ ابن عذارى أن بينها وبين القصر مرحلة وكذلك مدينة جنيارة[24] وماسينة أو ماسنة وهي مدينة عيسى بن حسن الحجام[25]. وقد أشير إلى مدينة أخرى بأعلى الجبل تسمى (كرت) تبعد عن البصرة بمرحلة كانت خربة أيام البكري[26]، ومدينة (الحجر) جنوبي البصرة قرب ماسنة أسسها الأدارسة، ولذلك اختار الأدارسة البصرة عاصمة لهم ومرسى لنشاطهم الاقتصادي[27]، كما كانت امتدادا لمركز قديم اختير في عهد الرومان بفضل موقعه المثالي وهو إما Valentia[28] أو Banassa[29].

ونشير هنا إلى مدينة القصر الصغير[30] التي تعددت أسماؤها كذلك، وهي قصر مصمودة[31] وقصر المجاز حيث كان المجاهدون يمرون إلى الأندلس[32]، وقد نزل بها المنصور الموحدي عام 586هـ[33] وبناها قبل ذلك مكان قصر مصمودة[34]، واستولى عليها البرتغال عام 862هـ أو863هـ[35] حيث أقاموا برج سينار[36] ثم أخلوها عام 1551م - 958هـ[37].

---

(22) البيان المغرب ج 1 ص 330.

(23) وصاحبها هو أحمد بن عيسى جنون الذي نقل عام 364 هـ إلى الأندلس مع حسن بن جنون وإليها، ينتمي محمد ابن سلطان الأقلامي (راجع ابن عذاري ج 2 ص 369 ومعجم البلدان ج 1 ص : 316 / ووصف افريقيا الشمالية للادريس ص 105).

(24) الذخيرة السنية ومنها أبو عمران الجنياري المتوفى عام 649 هـ أو 642 هـ "ص: 67" ومحمد الجنياري / "الحلوة ص : 147 .ودرة الحجال ج 1 ص: 287".

(25) حسبما لاحظه البكري في المغرب ص 111 وص 155) أن ماسينة تبعد من فاس بمرحلة (إفريقيا الشمالية للإدريسي ص 109).

(26) الذي ضبطها بالطاء كرط واعتبرها من مراسي نكور (ص: 90) وقد أشار إليها الادريسي في وصف إفريقيا ص: 111.

(27) Hesperis 2 (fascicule 1-2) 1955.

(28) Godard - Description p. 77.

(29) Godard - Description p. 77.

(30) تاريخ إفريقيا الشمالية لاندري جوليان ص 466 / دوكاستري السعديون - السلسلة الأولى "م 1 ص : 23 - 583 / م 2 ص 286 - 308 / م 3 المقدمة".

(31) البيان لابن عذاري ج 3 ص 92 ق 178 / المعجب للمراكشي ص : 353 / النزهة للادريسي طبع ليدن ص : 166.

(32) دوكاستري في الوثائق الغميسة ج 1 ص 175 نقلا عن البكري والافراني صاحب الصفوة.

(33) البيان لابن عذاري ج 3 ص 134.

(34) Godard - Description p. 57.

(35) الاعلام للمراكشي ج 6 ص 36 (خ).

(36) دوكاستري السعديون م 4 ص 338 "مع صورة للبرج".

(37) وثائق دوكاستري ج 1 ص : 637 "قسم فرنسا".

ويتجلى من مكانة العلماء الذين كان القصر مسقط رؤوسهم أو مهبطا لهم أن رواد الفكر من المغرب العربي والأندلس خاصة ومن الشرق عامة انتجعوا رحابه في مختلف العصور.

وكان لرواد المعرفة دور مهم في بلورة الفكر الثقافي ببلاد الهبط عامة والقصر الكبير خاصة، مما أتاح الفرصة لانبثاق علماء أفذاذ ربما بذ بعضهم أقطاب الفكر في باقي المغرب، وقد أشرنا إلى تراجم بعضهم ممن تتلمذ لهم كبار علماء فاس ومراكش، وربما أسس بعضهم دارا للثقافة أضاء إشعاعها على مجموع الإقليم. فقد ورد في ترجمة الشيخ أحمد بن يرمق أنه كانت له دار متصلة بكتاب سيدي علي بن العربي الجنياري يدرس بها الإناث عن طريق الشرط، كما كانت له مدرسة عتيقة يدرس فيها العلوم الإسلامية بأهل سريف، وقد مهر بمشاركته في مجموعها.

واستمر هذا التأثير الفكري في الإقليم إلى أوائل القرن المنصرم حيث انعقد "ميثاق العمل الوطني" 1929 بالقصر الكبير، من حيث انطلقت حركة ثقافية عارمة في سائر أنحاء المنطقة وخاصة بتطوان.

صراع موصول طوال ألف عام

تبلور وجود الأدارسة في الريف وجباله "بلاد الهبط" عندما تغلب الأمير عمر بن إدريس بن إدريس على أخيه القاسم فامتلك الريف البحري من تيكساس وبلاد غمارة إلى سبتة وطنجة ثم أصيلا والعرائش والقصر الكبير إلى أزمور وتامسنا في ضفاف نهر أم الربيع، وكان ذلك أوائل القرن الثالث الهجري حيث توفي الأمير عمر بفج الفرس من بلاد صنهاجة عام 220هـ - 535هـ في خلافة أخيه محمد على فاس، وعمر هذا هو جد الأشراف الحموديين الذين ملكوا الأندلس بعد بني أمية[1].

وبدأ الأمراء لدى الأدارسة ببناء حواضر في بلاد الهبط مثل كتامة وهي قاعدة الأمير إدريس بن القاسم على نهر لكوس أو (أولكس)[2] وهي الواقعة قرب القصر الكبير، وقد أصبحت مسقط رأس علماء جهابذة مثل ابن مخلوف عبد الله بن شعيب وهو من بني عثمان صاحب العلامة في العهد المريني.

وبدأ تاريخ المنطقة يتضح أواسط القرن السادس الهجري إثر الصراعات التي احتدمت بين برغواطة والمرابطين في بحبوحة امتلاك بني يفرن لمنطقة تامسنا واتخاذهم "شالة" عاصمة لهم و"أنفا" قاعدة اقتصادية ومرسى بدأت تنطلق منها قوافل بحرية كالتي توجهت إلى قلب المحيط بل وصلت إلى العالم الجديد حسب مصادر أمريكية.

ففي عام 586هـ - 1188م أنزل المنصور الموحدي بني رياح في أرض الهبط، وهم بطن من هلال أمهم : أولاد الخضر، ومرداس، وأولاد سعيد، وأولاد سليم، وقد امتدت منازلهم آنذاك بين قصر كتامة "وهو القصر الكبير" إلى أزغار وهو البسيط الفسيح إلى ساحل المحيط.

---

(1) الاستقصا ج : 1 ص : 176 - السلوة ج 1 ص : 83.

(2) المغرب للبكري ص : 110.

وكان رئيسهم آنذاك مسعود بن سلطان أقام معهم إلى حدود 590هـ ففر إلى افريقية للانضمام إلى الثوار العابثين بإفريقية بقيادة قرقوش ثم ابن غانية، وقد قتل المامون الموحدي رئيسهم عثمان بن نصر عام 630هـ، كما أوقع بهم أبو ثابت المريني عام 707هـ وتعقبهم إلى رؤوس الهضاب بأزغار فتشتتوا في القبائل الغارمة، وقد ارتحل من المغرب إلى (الزاب) عالم رياح السيد سعادة وأخذ عن أبي اسحاق التسولي ولزمه[3].

وكانت مواطن الهلاليين في (جبل أوراس)، ولما ملك الموحدون افريقية نقلوا منهم إلى المغرب العاصم ومقدما وقرة وتوابع لهم من جشم .. وقد انحرف العاصم ومقدم عن طاعة الموحدين إلى ابن غانية، فأشخصهم يعقوب المنصور إلى المغرب وأنزلهم تامسنا مع جشم وقد ارتحل الضحاك إلى صخر سجلماسة حتى قتله الموحدون أو غربوه إلى الأندلس، وبقي نجعهم بالزاب إلى عهد ابن خلدون، وفي المغرب أحياء فيهم بطون من أثبج وجشم والخلط غلب عليهم جميعا اسم جشم فعرفوا به.

وقد اندرج عرب الخلط منذ ذلك في قبيلة طليق قرب القصر الكبير، ويظهر أن في هذه الفترة وتركيزا لمنطقة الهبط، أسس المنصور الموحدي القصر الكبير حسب الحسن بن محمد الوزان أي ليون الأفريقي، ولكن الناصري يؤكد أن سيدي علي بوغالب ورد على القصر قبل تتويج المنصور بسنتين ويظهر من مسالك انطونان Itineraire D'Antonin[4] أن القصر الكبير هذا هو موقع المدينة الرومانية المعروفة Oppidum Novum ومن أسمائها قصر كتامة وقصر صنهاجة "ابن خلدون" وقصر ابن عبد الكريم والقصر والقصر الكبير، وقد وهم البعض فظنوا أنها رباط الفتح كما ورد في وصف وتاريخ المغرب لكودار[5].

وكان العرب يساحلون المنطقة إلى القرن السادس الهجري حيث وضع الموحدون حدا للجولات المتكاثرة في مياه المغرب الإقليمية، ولذلك لاحظ روبير مونطاني[6] أن البحارة العرب ساحلوا إلى القرن الثالث عشر الميلادي شواطئ المحيط الأطلنطيكي من طنجة إلى السنغال، وأدلى Jean Doublet المتوفى عام 1728 بمعلومات في مذكرته حول ساحل الأطلنطيك ومراسيه وهي العرائش والمعمورة.

---

(3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص: 31 / الاستقصا ج1 ص169 / الإعلام للزركلي ج 3 ص : 66.

(4) وهو مصنف روماني مجهول تاريخ صدوره.

(5) وصف وتاريخ المغرب لكودار. ج 1 ص : 70.

(6) Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne p : 22.

وقد بدأ الموحدون يعمرون الهبط وخاصة عاصمته القصر الكبير بعائلات ماجدة نقلوها من الأندلس منها : الفاسيون الفهريون الذين ينتسبون إلى فهر بن مالك بن النضر وأصلهم من جزيرة الأندلس حيث يعرفون ببني الجد، ثم سكنوا مدينة فاس بعد القصر الكبير وقد سكنوا بالأندلس لبلة وإشبيلية وغرناطة ومالقة، ومنهم أبوبكر محمد بن عبد الله بن يحى الفهري الذي أشخصه السلطان أبو سعيد حسب "النشر" في جملة من الأعيان لغرناطة ولعل الصحيح في دولة يعقوب المنصور كما في الجذوة لأنه توفي عام 586هـ[7]، وبدأت منطقة لكوس ووادي المخازن "العرائش والقصر" تشتهر في العهد المريني بقطنياتها[8] وأصبح المخزن يقتطع جزءا من مداخيلها في شكل ضريبة سنوية امتدت جباياتها إلى الحواضر الكبرى شمالي المغرب، فقد فرض أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني الخراج على القبائل، كما فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناس وتازة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول وذلك عام 620هـ - 1223م وهذه الغرامة تشهد بمستوى القصر الكبير بين الأمصار المغربية[9].

وكانت عاصمة الهبط محط أطماع بعض الثوار بتواطؤ مع قبائل محلية فأهل "الدمنة" وهي بلد على شاطئ البحر قرب حصن "علودان" وسط بلاد القصر هم الذين مهدوا لعثمان بن أبي العلاء الثائر ببلاد غمارة احتلال القصر الكبير وأصيلا[10].

وقد طمع بنو اشقيلولة أيضا في القصر إذ كانوا يناوئون بني نصر في غرناطة فاستسلموا لأبي يوسف المريني عندما جاز إلى العدوة للمرة الأولى عام 674هـ / 1275م، وعندما مر أبو يعقوب عام 1288م إلى الأندلس كانت قادس بيد أحد أمراء بني شقيلولة فسلمها إلى بني نصر، وعين الأمير الشقيلولي على القصر الكبير. وقد أصبحت القصر منذ ذلك مقصد التجار وسوقا لبضائع العدوتين وثغرا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى وقاعدة لبلاد الهبط.

على أن الثورة انطلقت أيضا من أدعياء العرش مثل الأمير إدريس بن عبد الله بن عبد الحق المريني "730هـ-1329م" الذي ثار في "اغمارة" ودعا لنفسه وتغلب على تكساس

---

(7) الدرر البهية ج 2 ص : 261.

(8) حسب الحسن الوزان.

(9) الاستقصا ج 2 ص : 5.

(10) الاستقصا ج 2 ص : 46.

وأصيلا والعرائش والقصر الكبير وفر إلى الأندلس حيث ولي مشيخة الغزاة بها فكانت له اليد البيضاء في الجهاد حتى كاد ينتزع الأمر من بني الأحمر[11].

وهنا هب البرتغاليون لاحتلال بعض المراكز الداخلية، وقد احتدمت (معركة المليحة) بعد محاولة البرتغاليين عام 895هـ/ 1489م التوغل داخل التراب المغربي وكانوا قبل ذلك يكتفون باحتلال المدن الساحلية، وقد استهدفوا احتلال القصر الكبير والسهول المحيطة به. وجزيرة المليحة تقع بين العرائش والقصر أسفل قصر كتامة على بعد عشرة أميال من البحر[12]. وقد أشار كل من ابن القاضي[13] إلى وقوع حادث المليحة حيث أسس البرتغاليون حصنا في قرية أخلوها بعد احتلالهم أصيلا عام 1471م وقد عثر الراهب البلجيكي Ch.M de Wilhe في أرشيف البندقية على وثيقة[14] وهي تقرير بعث به الملك البرتغالي يوحنا الثاني إلى الفاتكان إلا أن الوثيقة تذكر أن موقع المليحة يبعد بستة أميال من القصر الكبير أي مكان التقاء اللكوس ووادي المخازن.

وهنا برز اسم وادي المخازن حيث وقعت معركة قتل فيها ملك البرتغال الشاب الدون سبستيان Don Sebastien عام 986هـ - 1578م، فتولى عرش البرتغال الكاردينال هنري نحوا من سنوات بعد وفاة سبستيان 988هـ - 1580م وكان وصيا للعرش مع كاترينة النمسوية أخت شارل الخامس وجدة سبستيان لأنها تزوجت ملك البرتغال يوحنا الثالث فتنازل عن الوصية لهنري عام 1562.

ولكن ما كاد عصر أحمد المنصور ينقرض حتى دب الخلاف بين أبنائه حول أريكة العرش فانخفضت شوكتهم وتمزقت دولتهم، ففي "سطح بني وارتين" قرب القصر الكبير التحم أميران وفر إليه عبد الله بن الشيخ المامون وأبو فارس بن المنصور من القصر الكبير حيث تعقبهما مصطفى باشا العلج قائد جيش الأمير زيدان عام 1017هـ / 1608م، ثم نازلهما زيدان نفسه بموضع قريب من هذا المكان يقال له (آرورات) ففر من كان معهما إلى زيدان، وفرا إلى دار ابن مشعل[15] بل إن مولاي الشيخ الصغير بن زيدان قد عرض - على ما قيل - على فليب الثالث العرائش وسلا والقصر ومراكز أخرى مقابل إعانة

---

(11) الاستقصا ج 2 ص : 47 أو الدرر الكامنة ج 3 ص : 50.

(12) حسب الوزان - وصف افريقيا - طبعة إيبولار ج 1، ص : 258.

(13) لقط الفرائد - نشر د. محمد حجي ص 271 عام 1976.

(14) نشرها مترجمة إلى الفرنسية في مجلة Studia البرتغالية عدد 1 عام 1958.

(15) الاستقصا ج 3 ص : 102.

اسبانيا له بواسطة مبعوث إيطالي[16] ويقال بأن ذلك كان بدون علم من مولاي الشيخ الذي سجن المبعوث[17]. وقد وصل الأسطول في مائة قطعة ففشل في الدخول رغم تسلم مفاتيح المدينة من القائد وقد علم أن مبعوث مولاي الشيخ إلى اسبانيا كان هو جيا نيطينو Gianettino Mortara[18].

وورد في رحلة Ro.C التي نشر نصها بالأنجليزية في وثائق دوكاستري[19] أن مولاي الشيخ كان قد اتفق مع ثلاثة مراكب إيطالية كانت مرابطة بالعرائش للفرار إلى فلورانس عندما ينهزم، ولكنه عدل عن رأيه وحجز هذه السفن مع غيرها مما كان يرابط في مرسى سلا وغيرها واستولى على مدافعها وأرغم ربابينها على العمل في جيشه.

وكانت انتفاضة العلويين رد فعل عنيف على هذه المآسي التي كادت توقع المغرب من جديد في حبال الغارات الإيبيرية المتلاحقة، وظل عهد المولى رشيد فترة مخاض أعقبتها انطلاقة السلطان المجاهد المولى اسماعيل الذي هب شمالا وجنوبا لفك الأغلال وتحرير الشواطئ من ربقة الاحتلال، ففي عام 1082هـ- 1672م عام بيعة المولى اسماعيل بعث الأتراك من الجزائر الخضر غيلان وأبناء النقسيس الثوار الذين كانوا لاجئين عندهم فنزلوا بمنطقة الهبط وواجههم السلطان قرب القصر الكبير في معركة قتل فيها غيلان عام 1084هـ - 1673م.[20] وفر أبناء النقسيس إلى سبتة بعد مقتل غيلان ثم عادوا لتهنئة السلطان بانتصاره على ابن أخيه أحمد ابن محرز فقتلهم[21].

وكانت للسطان جولات وصولات تحدثنا عنها بإسهاب في مصنفات أخرى (كمعلمة جبالة والريف) غير أن الحركات السلطانية كانت تتوقف أحيانا بسبب ثورات محلية أو أوبئة تظهر هنا وهناك.

ففي عام 1089هـ فشا الطاعون بمكناسة والقصر الكبير وكان الحراس من العبيد على "مشرع سبو" وغيره لا يتركون من يرد على فاس ومكناس، وقد مات من الطاعون

---

(16) دوكاستري - ق 1 - السعديون - المختارا ص : 381).

(17) هامش ص: 383 و 411.

(18) دوكاستري - ص : 381 .

(19) س.أ . السعديون م 2 ص 361 عام 1925.

(20) الاستقصا ج 7 ص : 47.

(21) الاستقصا ج 7 ص : 69.

بالقصر الكبير 150 وفي مكناسة 300 وبفاس 400 ووصل الطاعون إلى مراكش وتافيلالت وتوات حيث مات ما لا يحصى[22].

وكان قواد المملكة يجاهدون باستمرار يقاتلون تارة ويهادنون تارة أخرى نظرا لفتوة الدولة العلوية وقلة عددها وتوافر مناطق الاحتلال. فهذا "عمر بن حدو" البطوئي قائد القصر قد احتل قصبة طنجة عام 1091هـ واصطلح مع النصارى الذين نزحوا في نفس السنة عن مدينة البوغاز[23].

وأثار السلطان، تعزيزا للجيش وتقوية العسكر المحترف، مشكل ديوان العبيد، ففي عام 1108هـ ورد على فاس كتاب من المولى إسماعيل بتوبيخ العلماء وألزمهم الموافقة على تمليك العبيد الذين في الديوان وخرج محمد اعليلش المراكشي بناحية القصر لتمليك الأحمر والأسود من القبائل، وفي عام 1109هـ جاء اعليلش من ناحية القصر بديوان هذا التمليك[24].

وقد خرج اعليلش من فاس عام 1114هـ دون أن يحصل من الفقهاء على تأييد تمليك الحراطين وكانت ناحية القصر الكبير منطلقا لإحصاء عبيد قبائل الهبط الذين تم تمليكهم إلى أن جاء حراطين القصر عام 1121هـ ووزعت طابقة منهم على أهل فاس. وكان العلامة عبدالسلام بن حمدون جسوس قد عارض هذا التمليك فاغتيل في نفس السنة عندما رفض الشهادة على ديوان الحراطين، فهجاه السفيه محمد بن قاسم عليلش، ورد عليه العلامة علي بن أحمد بن قاسم مصباح الخمسي الزرويلي بقوله :

ألا أبلغا عني اللعين ابـــن قاسم مغلغلة يرتـــج منهـــا جنابـــه[25].

وقال في قصيدة أخرى ص 85 :

حل بالدين يا لقومـــي بـــلاء أحجمت دون وصفه الشعراء

وقد استطاع المولى إسماعيل رغم الفتن الداخلية تحرير الكثير من المراكز ووجه بتاريخ 26 أبريل 1682 سفيره أحمد حدو لتمثيله لدى شارل الثاني ملك إنجلترا، وكان لهذا

---

(22) تاريخ الضعيف ص : 62، (مخطوط الرباط).

(23) تاريخ الضعيف ص : 64.

(24) تاريخ الضعيف ص : 79 – 80.

(25) راجع بقية القصيدة في تاريخ الضعيف ص : 84.

السفير صيت علمي كبير حدا الأنجليز إلى انتخابه عضوا في الأكادمية الملكية البريطانية - على ما قيل - ولم يكد المولى اسماعيل يلفظ نفسه الأخير بعد فترة طويلة ومريرة حتى خلفه ابنه المولى عبد الله الذي توالى على العرش عدة مرات يخلع تارة ويرجع إلى العرش أخرى في صراع موصول مع إخوته، أججه ناره العبيد الذين قبضوا بيد من حديد على شؤون الدولة يولون ويعزلون سائرين في جشع كبير تحقيقا لأطماعهم.

ففي عام 1149 هـ عم الفساد والغلاء مغرب المولى علي ولد عربية وكثر الثوار فاستولى الباشا أحمد بن علي الريفي على الفحص وغمارة وتطاون والقصر الكبير والريف، كما استولى السلطان المخلوع المولى عبد الله على الصحراء وسوس ومراكش وبلاد البربر، واستولى الباشا الحوات على (محلة الرمل) مكان رئيس العبيد رشيد بن النويني وكذلك على ابن مالك وسفيان والطليق والخلط.

وفي عام 1150هـ وقعت الفتنة في فاس فلجأ جل أهلها إلى تطاون وطنجة والعرائش والقصر الكبير ووزان بسبب ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع، وهنالك لقب السلطان محمد ولد عربية بسيدي محمد "لكّايلا" فكنت إذا دخلت الحومة مثل حومة الحفارين تجد الدرب يشتمل على 20 دارا وأكثر كلها فارغة، وكان النصارى يبيعون الطعام للمسلمين في الشمال وقد جاء الركب النبوي بزرع من طرابلس.

وشارك بعض القواد في إثارة الفتن واستغلال موارد الدولة وتفقير الشعب، ففي عام 1153هـ خرج الباشا أحمد بن علي من طنجة إلى القصرالكبير وأحوازه ونهب وسلب، فوجه السلطان المولى عبد الله – رغم قلة عدته – جيشا نزل بالقصر الكبير لجعل حد لهذه الثورات العارمة التي كان بعضها يثار بدعوى مساندة بعض أدعياء العرش من الإخوة الأعداء، وقد نشبت في "المنـــزه" وهو مكان بأحواز القصر الكبير وقعة عام 1156هـ 1743م بين جيش السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل وجيش الباشا أحمد الريفي الذي كان يساند المستضيء بن المولى اسماعيل فانهزم الريفي وقتل[26].

ومن مظاهر هذه الفتن (وقعة زعبول) بالعرائش والقصر الكبير في عام 1162هـ حيث فر أهل الغرب من سفيان وبني مالك من غزوات عبيد مكناسة مع رئيسهم الطاغية زعبول إلى العرائش وتحصنوا بها واستولى على ماشيتهم، وفي رجوعهم دخلوا القصر الكبير عنوة فقتلوا ونهبوا وتركوا الناس حفاة عراة. ومما نهبوه دار الفقيه السيد التهامي

---

(26) الاستقصا ج 4 ص : 76.

بوخارق حيث فتكوا ببناته ونهبوا كتبه وخرج جميع من في القصر لضريح سيدي بوغالب وخرج الفقيه بوخارق مع أخيه النادي إلى جبل أهل السريف وسكنا به إلى الوفاة[27].

وعرفت المنطقة فترة راحة واستجمام في عهد المولى محمد الثالث نجل المولى عبد الله، ولكن بوفاته انبرى ابنه المولى اليزيد يسلب ويفتك فنهب عام 1204هـ ملاح العرائش وطنجة وتطوان وقتل الحزان "فخة".

وبالرغم من هذه الفتن التي حفزت بعض الفلاحين إلى الكف عن زرع أراضيهم وتربية مواشيهم فإن البلاد لم تكن تخلو من فائض، وكان تجار النصارى يتحينون الفرص لتصدير الحبوب إلى الخارج، ففي عام 1209هـ أي بعد وفاة المولى محمد الثالث بخمسة أعوام نزل تاجر إسباني بدار القصري بالرباط واتخذها مقرا تجاريا لتجميع القمح وتصديرها، فهاجمه أهل الرباط لمنعه من كيل الزرع للإسبان فكسروا أمداده وصيعانه ونهبوه، ولكن السلطان حسما للفوضى قبض على بعضهم بواسطة قائد الرباط الحاج محمد بركاش وبعثهم لسجن "المهدية" ثم فاس وكان يسكن هذه الدار عام 1204هـ صهر الشيخ المعطى بن صالح الشرقي والفقيه محمد بن أبي القاسم السجلماسي، وقد كان لأهل القصر الكبير صلة وثيقة بأهل الرباط فكان لهم دور برباط الفتح يشهد بمداه وجود هذه الدار ووجود مراكز أخرى مثل الحمام القصري.

ويظهر أن القصر الكبير كان يتمتع بسمعة طيبة نظرا لجودة مناخه ووفرة علمائه وحسن سلوك رجالاته، فهذا الأمير مولاي الطيب أخو السلطان المولى سليمان نزل بالقصر الكبير عام 1209هـ وارتكب جريمة بالمدينة فهب ضده جميع السكان واضطروه للرحيل عن المدينة متهيبين قتله لمكانة أخيه السلطان الصالح المولى سليمان الذي كان يتردد على حاضرتهم حيث أقام بها مدة عام 1228هـ.

وقد حض المولى عبد الرحمن بن هشام أولاده الأربعة عند توجيههم إلى الحج عام 1274هـ 1857م على المرور بالقصر الكبير والإقامة بجوار سيدي علي بوغالب كما فعل إخوانهم من قبل فإن المقام بالقصر - كما قال - خير من المقام في طنجة.

ورغم هذه الاضطرابات فإن اليهود كانوا يعيشون ءامنين في أغلب الأحيان - عدا فترات عابرة - فكانوا يقيمون شعائرهم بكل حرية وهذه "دار العباس" الواقعة على

---

(27) تاريخ الضعيف ص : 154.

"وادي لوكوس" قرب القصر الكبير كانت تقام بها سنويا حفلات عيد "الخير ربي عمران ابن ديوان" كفرع له بمقره الكبير بوزان.

وعاشت المنطقة بين مد وجزر على نطاق الحقب المنصرمة مع بروز حركة استعمارية جديدة أوقفت الأسطول المغربي السليماني وبدأت باحتلال الشمال الإفريقي انطلاقا من الجزائر وتونس، وتوالت الدسائس ضد المغرب تبلورت آخر المطاف في تواطؤ الاستعمار اللاتيني والأنجلوسكسوني ضمن اتفاقات سرية أبرمت عام "1904م-1322هـ" مهدت له بتدخلات ومناوشات انتهت باحتلال الجنيرال الأسباني "الفاو" منطقة "النكرون" في الطريق بين سبتة وتطوان يوم 22 مايو 1911. في حين دخل الجينرال موانبي الفرنسي قبل ذلك بيوم واحد إلى فاس وبعدها بأسبوعين اثنين "8 يونيو 1911" احتل الإسبان العرائش والقصرالكبير فتفجرت مظاهرات الشعب خلال شهري يونيه ويوليوز ضعضعت آنذاك تضامن الإسبان والفرنسيين لأن هؤلاء كانت لهم أطماع في القصر الكبير.

وقد واصلت مدينة القصر نضالها التحرري واستأنفته بعد صدور (بيان الاستقلال عام 1944). وهذه السنة ظهرت فيها أول جريدة إخبارية أسبوعية بالمدينة تحت إسم (المعرفة) لمؤسسها التهامي بن أحمد بن موسى القصري.

مراجع إضافية

- محمد بوخلفة : المدارس والتعليم بالقصر الكبير

Cortacero Henares, Humberto. F. Alcazarquivir, 1950

طبعة معهد الجنرال فرانكو - تطوان 1953. 205 ص.

- غرث تسايت يوهانس Gutezeit Yohannes الفرار عبر المغرب مشيا على الأقدام طبعة .1912- Dresden 16 فصلا، الخامس عشر منها حول القصر الكبير.

Edmond Hogen, Ambassadeur d' Elisabeth 1er à Marrakech, Juiller 1477.

لاحظ أنه يحب الموسيقى والعزف ويسأل عن العازفين الإنجليز رغبة في دعوتهم إلى لمغرب، وكان يعرف الكتب المترلة ويحب الديانات السماوية لأنها تحارب الوثنية.

Michaux Bellaire, E. A propos d'une inscription Mérinide à Al – Ksar – Al – Kebir, Hesperis 1927.

"محاولات" "1592م -1533م" عام (les Essais) ظهر كتابه Montaigne (Michel Eyquem) عام 1580م وقد تحدث فيه عن معركة وادي المخازن مقتبسا بعض معلوماته من مصادر إيطالية خاصة كتاب Conestaggio الذي نشر في جنوة عام 1585م (راجع Pierre Villey «les Livres d'Histoire Moderne», utilisés par Montaigne, Paris, كتاب Hachette, 1908». وقد أبرز فيه عبقرية عبد الملك بن مروان ورزانته على آخر رمق من حياته).

Nieto (Fray L....) Relation de la Bataille d' El Ksar El Kebir (In Sources Inedites...De castrie.Frnce. T.1 p : 503)

ذكر فيه أن الأمير عبد الملك كان يتقن الإسبانية نطقا وكتابة وكذلك الإيطالية وخاصة التركية. وكان عبقريا حكيما في كل شيء لا سيما في تسيير دواليب حكم بلاده يتعشق السلاح والفن العسكري حيث اكتشف قطعا في المدفعية والرماية فكان محط إعجاب وتقدير راكون.

Sureda Blanes, Francisco

"معلومات لمعرفة حضارة شمال غرب المغرب" طبعة Wiesbaden 1958 مع فصل عن منطقة القصر الكبير من حيث السكن وأدوات المنزل والأزياء مع صور قيمة.

القصر الكبير : تقاليد ونزوات أرطا "ميورقة" 1920 - 157 ص .Tip.a. Ferrer y :Ginart

القبائل والمعالم

في منطقة الهبط مدن وقرى معظمها يزال قائما وأخرى تأرجحت بين البؤس والرخاء مثل الدمنة والتي عمرها يعقوب المنصور (الوزان ص 303).

أرورات : مكان قرب القصر الكبير حارب فيه الأمير زيدان عام 1017هـ /1608م كلا من الأمير عبد الله بن الشيخ المامون الذي فر إلى الأندلس وأبي فارس بن المنصور "راجع سطح بني وراتين".

- أسمير: نهر قرب القصر بالشمال[1] ويطلق هذا الاسم على نهر أبي رقراق[2]

- أهل سريف قرب القصر الكبير : قبيلة من مداشرها مليانة على وادي لكوس وزهجوكة والصفصاف وعين مامون وبوجديان.

- أوبيدوم نوفوم Oppidum Novum أطلقه الرومان أيضا على مدينة بموريطانيا القيصرية هي "العين الخضراء بالجزائر اليوم" أما أبيدوم المغربية فقد وردت في دليل أنطونان كمحطة موقعها بين تريمولي "سوق الأربعاء الحالية"وحدد "تيسو" موقعها بالقصر الكبير، فقد وقع الكشف عام 1987 عند ترميم مسجد القصر الكبير على بقايا رومانية[3].

- بوجديان : إحدى جماعات دائرة القصر الكبير "إقليم العرائش".

بوجديان : قرية في قبيلة اهل سريف.

- بنو عثمان بكتامة قرب القصر الكبير منهم ابن مخلوف عبد الله بن أبي مدين شعيب وهو من خاصة يوسف بن يعقوب المريني[4].

- بيات : قبيلة مغربية وهي أيضا قبيلة كبيرة نزح كثير منها إلى المدن وهي تركية [5]، ومن البياتيين المغاربة محمد بن سليمان بن أحمد الزين المراكشي المقري الصنهاجي

---

(1) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك للبكري - طبعة الجزائر 1911 دوسلان ص : 106/ نزهة المشتاق للإدريسي ص : 47.

(2) كتاب الجغرافية لمحمد بن أبي بكر الزهري (دمشق 1968) ص : 192.

(3) نفائس وأعمدة : أخريف.

(4) راجع ابن مخلوف.

(5) المعربات والمصطحات، مجلة المجمع العلمي العراقي م. 8 ص : 54 (1380هـ/1961م).

الإسكندري[6]، ومحمد بن عبد الله البياتي المغربي نزيل قاعة الحنفية وهو عالم بالطب، والفراسة مات عام 853هـ[7] وتوجد عائلة البياتي في القصر الكبير.

- البجاجين : [8] وهي مدينة صغيرة بين سبتة وفاس قرب سبتة[9] ويرى البكري أنها تقع بعد حجر النسر وأفتيس وزهجوكة بناحية القصر الكبير ويصفها البكري بأنها مدينة جيدة تقع على نهر سوسق ببلد جنيارة أحد مراكز الأدارسة، وكان بها كنون بن محمد حيث تقع في بلاد بني مسارة من مصمودة قرب وزان على نهر ورغة، ولعلها "أزجن" كما يسميها الحسن الوزان[10].

- تانتايش : قرية مندثرة بحوز القصر الكبير بين مجرى اللكوس ووادي وارور قرب ما يعرف اليوم بسيدي أحمد الحَداجَل، وقد غزاها البرتغاليون عام 921هـ 1515م بتعاون مع جنود أصيلا وطنجة مما حمل كلا من قائد القصر الكبير أحمد بن طلحة "1511- 1530" وأمين الغرناطي قائد العرائش "1510 - 1516" على الإغارة على أصيلا[11].

- تامدة : مكان ومدينة مندثرة بين وادي المخازن ووادي وارور إقليم العرائش.

- تمليط : مدينة قديمة بجوار وادي اللكوس غربي القصر الكبير وقد ذكرها البيذق في أخبار المهدي[12].

- تاطفت : إحدى جماعات دائرة القصر الكبير "إقليم العرائش".

- تلمسون : قرية من بني مستارة.

- تامدة : مدينة مندثرة بين وادي المخازن وواد وارور بالخلط.

- جزيرة المليحة : Ch.M de Withe عثر الراهب البلجيكي في أرشيف "البندقية" على وثيقة نشرها مترجمة إلى الفرنسية[13]، وهي تقرير بعث به الملك البرتغالي يوحنا الثاني

---

(6) الإعلام للمراكشي ج 3 ص : 249 / مشتبه النسبة ص : 57.

(7) الضوء اللامع ج 10 ص : 116 القاهرة 1355هـ.

(8) بالباء عند الزياني ص : 477 من الترجمانة الكبرى، وبالياء عند البكري المغرب ص : 114.

(9) حسب الحميري الروض المعطار ص : 114.

(10) معلمة المغرب - محمد زنيبر ج 3 ص : 1038.

(11) حسن الفكيكي : مقاومة الوجود الإيبيري ج : 2 ص : 433، معلمة المغرب.

(12) البيذق ص : 55 ط الرباط 1971.

(13) مجلة Studia البرتغالية عدد 1 عام 1958.

إلى الفتكان بعد وقعة جزيرة المليحة التي تمت بعد محاولة البرتغاليين عام 1489م التوغل داخل التراب المغربي في حين كانوا يكتفون قبل ذلك بمراكز ساحلية، وقد استهدفوا احتلال القصر الكبير والسهل المحيط به، وقد أشار ابن القاضي[14] إلى وقوع الحادث عام 895هـ-1489م، وتقع الجزيرة على بعد ستة أميال من القصر الكبير أي مكان التقاء اللوكوس ووادي المخازن.

- حبيب بالهبط : ينسب إلى حبيب بن يوسف الفهري أحد مرافقي موسى بن نصير يوجد ضريحه بأعلى الجبل حيث علم القبيلة مبادئ الدين.

- حارة المجذومين بالقصر الكبير : تقع شمال المدينة في مكان يسمي المتره أنشأها يعقوب المنصور الموحدي حين جدد بناء المدينة وبنى أسوارها ومساجدها وحماماتها، يوجد بجانبها حي الحارة بناها الإسبان عام 1911.

- حمام القصري : من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن كان وقت سكنى اليهود بحومة البحيرة دار يهودي يقال له القشري بالشين فصحف بالقصري، وقد باشر بناءه المعلم الطيب بن سعيد والد المعلم المفضل كبير البنائين بالرباط.

الخلط : أدرجهم الخليفة محمد بن عبد الرحمن عام 1270هـ في الجندية بعد أن كانوا في عداد القبائل الغارمة في عهد المنصور السعدي، وقد نقلهم من بلاد سفيان وبني مالك وأحواز العرائش إلى زكوطة ووادي مكس حول مكناسة ثم اختل أمرهم بعد سنتين أو ثلاث[15].

- دار العباس : تقع على وادي لوكوس قرب القصر الكبير كانت تقام بها سنويا حفلات عيد الحبر ربي عمران بن ديوان بوزان.

- دار القصري برباط الفتح : كان يسكنها عام 1204هـ صهر الشيخ المعطى بن صالح الشرقي والفقيه محمد بن أبي القاسم السجلماسي[16] وقد هاجمها أهل الرباط عام 1209هـ لمنع كيل الزرع للاسبان وكان بها الإسباني المكلف فكسروا الأمداد ونهبوه، فقبض على بعضهم قائد الرباط الحاج محمد بركاش وسجنهم بالمهدية ثم فاس.

---

(14) لقط الفرائد - 1975 ص : 271.

(15) الاستقصا ج 4 ص : 206.

(16) تاريخ الضعيف ص : 199.

الدعادع : قرية على وادي مضا بناحية القصر الكبير.

الدعداعة : مكان بأرض البروزي من بلاد طليق حيث ضريح سيدي عيسى بن الحسن المصباحي.

الدمنة : بلد على شاطئ البحر قرب حصن علودان وهو وسط بلاد القصر وأهل الدمنة هم الذين مهدوا لعثمان بن أبي العلاء الثائر ببلاد اغمارة احتلال القصر الكبير وأصيلا[17].

وهي قلعة في بني جرفط (مرآة المحاسن ص 145) وهي غير دمنة الواقعة بقبيلة صرصر.

- دهاجة : قبيلة تنسب إليها قصور كتامة حسب ابن خلدون، وهذا يؤكد ما ذهب إليه البكري من وجود مكان يسمى قصر دهاجة بجبل صرصر، وتوجد قبيلة بالجزائر تحمل نفس الاسم بين سكيكدة وعنابة.

- الرميقي أسرة قصرية أصلها من دوار العنابسة بالقرب بالغرب منها بوسلهام الرميقي قائد منطقة الغرب قبل انتقاله للقصر الكبير.

- ريسانة : إحدى جماعات دائرة القصر وتكتب بالصاد "ريصانة" وتقع على مرحلتين من القصر الكبير[18].

- زهجوكة أو جهجوكة أو زهكوجة: هي - حسب ابن خلدون - قبيلة مواطنها حوالي القصر الكبير، وهي مدينة ابراهيم بن محمد "بن القاسم بن مولاي إدريس"[19].

- زهجوكة : قرية في قبيلة أهل سريف.

- سطح بني وارتين : مكان قرب القصر الكبير فر إليه عبد الله بن الشيخ المامون وأبو فارس بن المنصور من القصر الكبير حيث تعقبهما مصطفى باشا العلج قائد جيش الأمير زيدان عام 1017هـ / 1608م، ثم نازلهما زيدان نفسه بموضع قريب من هذا المكان يقال له آرورات ففر من كان معهما إلى زيدان وفرا معهما إلى دار ابن مشعل[20].

السواكن : على بعد خمسة عشر كلمتر من القصر الكبير، توجد بها زاوية تجانية ومسجد وكتاب بإزائها قرية أسست بجوار الخط الحديدي مع مسجد كبير.

---

(17) الاستقصا ج 2 ص : 46.

(18) الاستقصا ج 4 ص : 161.

(19) المغرب للبكري - الجزائر 1911 ص 114 .

(20) الاستقصا ج 3 ص : 102.

- الشداديون : شرفاء أدارسة بفاس وسلا خاصة ويوجدون أيضا في القصر الكبير والرباط[21].

- الطالب أو الطالبي أسرة سلوية أصلها من القصر الكبير هاجر جدهم أحمد بن محمد الطالب إلى سلا أوائل القرن الحادي عشر وهم شرفاء علويون حسب الآتي في الوجيز لابن علي الدكالي (راجع الدرر البهية للفضيلة ج 2 ص 153).

- الطلبة "سوق" : إحدى جماعات دائرة القصر الكبير

- طليق : قبيلة قرب القصر الكبير بناحية لكوس اندرج فيها عرب الخلط، ومعلوم أن الخلط تنتمي إلى بطون من أثبج وجشم "راجع أثبج".

الطود جبل عال ببلاد الهبط استقرت فيه أسرة الطود الحسنية، وهو جبل الحبيب وقد نزحزا إلى القصر الكبير مدشر الجبلية ومدشر دار ابن صدوق.

- العوامرة : إحدى جماعات دائر القصر الكبير.

- عين القصب : قرب القصر الكبير قتل محمد الدلائي بها أمير سلا يوم 30 أبريل 1641 وقطع رأسه ووجهه إلى الرباط[22].

- فروجة : قرية قرب القصر[23]، وتوجد مدينة قرب مراكش تسمى أفروج أو فروجة تبعد بمرحلة عن المدينة وهي بطحاء كثيرة المياه والفواكه[24]

- القصر الكبير : أحد قصور مجموعة القصبات بدرعة من ناحية تينفو التي تبعد عن مدينة زاكورة بحوالي 22 كلمتر شرقا.

قصر ابجير : إحدى جماعات دائرة القصر الكبير

القصري : لقب قد يطلق على سكان الأندلس خاصة من الجزيرة الخضراء أمثال فتح موسى بن حماد نجم الدين الأموي الجزيري الشافعي القصري الذي ولد بالجزيرة الخضراء ودرس بالكاظمية عام 663هـ 1265م[25]. وأولاد القصري هم أبناء محمد بن

---

(21) الدرر البهية ج 2 ص :56.
(22) وثائق دوكستري س.أ. ص : 198.
(23) الترجمانة الكبرى للزياني ص : 476.
(24) راجع الاستبصار في عجائب الأمصار.
(25) بغية الوعاة ص : 372.

مولاي عبد السلام بن مشيش (الإشراف لابن الحاج ج 1 ص 255) وهم موجودون بدشر أدباز (الدرر البهية ج 2 ص 104) والقصري أيضا عائلة كانت بتطوان عام 1175هـ (عمد الراوين للرهوني ج 3 ص 303)

- القلة : إحدى جماعات دائرة القصر الكبير "إقليم العرائش".

القلة : مدفن العلماء والأمراء والوزراء من بني مرين خارج باب الجيسة بأعلى جبل الزعفران[26]، ولعل أصلها "الجلة".

الكدية الإسماعلية : مكان قرب القصر الكبير كان يخيم به السلطان وبه نزل المولى عبد الرحمن بن هشام بعد ولايته عام 1238هـ - 1822م[27].

- كنكس قبيلة ومدينة بربرية (تاج العروس للشيخ مرتضى الزبيدي ج 16 ص 455) طبعة الكويت).

لكوس : هي ناحية الغرب حول القصر الكبير عربها الخلط ويجري بها الوادي الذي يحمل اسمها[28]، وكان هذا الاسم يطلق قديما على واد بجنوب المغرب قرب ماسة.

- مايلة تمليط تقع على نهر لكوس بين القصر الكبير وتشمس ضرب بها الأدارسة درهما عام 197هـ.(D. Eustache, Corpus des dirhams idrissites et contemporains, 1911)

- مرامر : على مسافة 30 ميلا من شفشاون التي يقول البكري أنها تبعد بثلاثين ميلا من نفيس[29].

مصمودة "قبيلة.." : تقع بين الأخماس شرقا وبني مسارة جنوبا ورهونة وأهل سريف غربا.

مصمودة كتامة : ببلاد الهبط إليها ينتسب أبو مهدي عيسى بن علال الكتامي المصمودي (823هـ/1420)[30].

---

(26) الإعلام للمراكشي ج 1 ص : 177 (ط 1975).
(27) الاستقصا ج 4 ص : 174.
(28) الوثائق المغربية م : 4 و م : 5.
(29) البكري المغرب ص : 154.
(30) السلوة ج 2 ص : 190.

ملاح القصر الكبير: نهبه المولى يزيد عام 1204هـ مع ملاح العرائش وطنجة وتطوان وقتل الحزان " فخة"[31].

- مليانة : بطن في قبيلة أهل سريف "مدشر".

مليانة : قبيلة صنهاجية توزعت عناصر منها بين كثير من القبائل بالمغرب وكذلك الجزائر بوادي شلف، ومليانة مدينة تقع جنوب غربي عاصمة الجزائر في طريق مدينة الأصنام، منها أبو علي بن أحمد المليانى الذي ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فأخرجوا منها وفر إلى يعقوب بن عبد الحق المريني حيث أقطعه بلد أغمات، وقد حضر وقعة تينمل عام 674هـ /1275م حيث أوقع عامل مراكش من قبل يعقوب وهو محمد بن أبي محلى أحد خؤولته فقتل على يد المليانى من كان بها من الموحدين ونبش قبور موتاهم ومنهم خلفاؤهم كيوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور، وقد نكب المليانى على يد يوسف بن يعقوب المريني[32]، ومن الملاينة أبو العباس صاحب العلامة بالمغرب كان يطلب جملة من أشياخ مراكش ثار عمه فسعوا به حتى اعتقل ثم فر إلى تلمسان ومنها إلى الأندلس[33].

- مناتة : قرية في بني مستارة.

المتره : مكان بأحواز القصر الكبير شبت فيه عام 1156هـ / 1743م الواقعة بين جيش السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل وجيش الباشا أحمد الريفي الذي كان يساند المستضيء بن المولى إسماعيل فانهزم الريفي وقتل[34].

الهبط : [35].

«تقييد مشتمل على فروع بني عمران من قبائل الهبط» لابن عباد عيسى بن أحمد البوشدادي خع 1632د / الوثائق المغربية ج 17 ص: 1 – 539.

- Michaux Bellaire - Quelques Tribus de Montagnes de la Région du Habt .Arch. Mar .T. XVII, 1911.

---

(31) تاريخ الضعيف ص : 199.

(32) الاستقصا ج 2 ص : 21.

(33) راجع (أوصاف الناس في التواريخ والصلات) لابن الخطيب السلماني ص 146 – طبعة شبانة.

(34) الاستقصا ج 4 ص : 76.

(35) «الحل والربط في قبائل وثغور أهل الهبط» لابن رشد الحفيد ؟ (حسب كناشة اليحمدي).

وقد انتقد أخونا الأستاذ محمد أخريف في كتابه (وثائق لم تنشر ص 58) ما كتبه ميشوبلير عن بعض القبائل.

والواقع أن ميشوبلير أعاد نفس التعريف الذي سجله الحسن الوزان (ليون الإفريقي Léon l'Africain) عندما ذكر أن الهبط تبتدئ عند واد ورغة وتنتهي شمالا على الهبط وتتاخم غربا مستنقعات أزغار وشرقا الجبال المشرفة على أعمدة هرقل ويبلغ عرضها نحو ثمانين ميلا وطولها نحو مائة ميل.

- وادي المخازن : قرب واد لكوس حيث شبت معركة الملوك الثلاثة وهي وقعة وادي المخازن. وادي مضا : بناحية القصر الكبير توجد بجانبه قرية الدعادع التي دفن بها أبو مهدي عيسى بن الحسن المصباحي.

أعلام القصر الكبير

أدرجنا بعضهم ضمن أعلام جبالة في المعلمة الموسومة ب "بين جبالة والريف" ونشير هنا إلى بعض من بقي منهم.

- آل الحراق : من قبيلة أهل سريف قرب القصر الكبير وهم غير آل الحراق الأشراف العلميين.

- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي الزواري : أبو سلام التونسي الذي استوطن القصر واتخذه مركزا للبحث والتدريس وتردد عليه الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي وقد توفي بفاس عام 961 هـ / 1553م[1] صحب ابن عرفة في تونس والشيخ أحمد زروق (ت 895هـ) ولقي بمراكش الشيخ عبد العزيز التباع، استوطن القصر الكبير سنين حيث لقي بها أبا المحاسن يوسف الفاسي ولقي بفاس الشيخ عبد الرحمن المجذوب "توفي بفاس 961هـ" بعد أن عمر 130 سنة[2].

- إبراهيم القصري الفقيه[3] : هل هو الفقيه الذي ترجم إلى الاسبانية للفونسو العاشر ملك قشتالة قصة المعراج "في كتاب Libro Della Scola"[4] نقلا عن كتاب العقود.

- إبراهيم بن أحمد البصري السبتي "513 هـ / 1119"[5])

- إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن المعروف بالصياد القصري السريفي "1008هـ/ 1600"[6]، أخذ عن أبي المحاسن الفاسي (طبقات الحضيكي ص 122).

- إبراهيم بن محمد بن القاسم بن المولى إدريس : هو صاحب مدينة زهجوكة وهي حسب ابن خلدون قبيلة موطنها حوالي القصر الكبير[7].

---

(1) راجع الابتهاج والمنح الصافية وتحفة أهل الصديقية ومرآة المحاسن.
(2) ممتع الأسماع ص : 78 / السلوة ج 3 ص : 124 / الإعلام لابن إبراهيم ج 1 ص : 175 (6 - الرباط).
(3) الوثائق المغربية ج 2 ص : 103.
(4) نقلا عن كتاب "العقود" للدكتور مؤنس - مجلة العربي عدد : 142 عام 1320هـ 1970.
(5) فهرس القاضي عياض ص : 68.
(6) السلوة ج 2 ص: 325 / الروض لابن عيشون الشراط / نشر المثاني ج 1 ص : 52.
(7) المغرب للبكري ص : 114 الجزائر 1911.

- ابن تاكفت محمد بن يحي المسوفي: من أشياخ الموحدين كان واليا على سبتة وقصر كتامة أيام الخليفة الناصر الموحدي "595هـ / 610هـ"[8]، وقد اعتقله الناصر في قصر كتامة مع أمر وزيره ابن محمد بن أبي علي بن مثنى صاحب العمال المخزنية بإعدامه ربما عام 608هـ أو 609هـ[9] وكان له أثر في نفوس الناس فتدهور وضع الخلافة وأدى الأمر إلى انهزام الناصر بموقعة العقاب لا سيما وأن المرابطين سبق لهم أن قتلوا يحي زعيم مسوفة الصنهاجية بأحواز تلمسان بأمر تاشفين بن علي فهاجت أخت يحي في سجلماسة وساندها عبد المومن بن علي ووعدها برأس تاشفين فتم له ذلك عام 539هـ.

- ابن تودة رحو : قائد مجاهد بالقصر الكبير في عهد عبد الله الغالب، قاد حركة الجهاد ضد البرتغاليين بطنجة وأصيلة وهو والد القواد عبد الكريم وعزوز وعلي ابن تودة.

- ابن تودة عبد الكريم بن رحو : صاحب السلطان عبد الله الغالب عام 981 هـ سيطر على القصر الكبير والعرائش وأصيلة وتطوان فترة من الزمن وغادر القصر الكبير إلى العرائش عام 984هـ وهو الشهر الذي اتصل فيه بالملك البرتغالي الدون سيبستيان يعرض عليه تسليم العرائش مقابل مساعدة محمد المتوكل على الله نجل الغالب بالله، وبعد رفض هذا الأخير عرض ابن تودة لأطماعه لجموع المنطقة، اعتصم بأصيلة وعرض تسليمها على حاكم طنجة دي مينيسيس Duarde de Meneses فتم ذلك عام"985هـ"، واتصل بعد ذلك بأحمد المنصور الذهبي فقربه إليه وتوفي عام "1010هـ/ 1601م". وابن تودة عبد الكريم من أبطال المسرحية التي كتبها لوبي دي فكا (la tragedie del rey Sebastian) واعتمده المؤرخ البرتغالي الراهب برناردو داكروت في كتابه[10] Chronica de el Rey Don Sebastiao.

- ابن جميل محمد القصري : يعرف بالمعلم لمزاولته التدريس من أصحاب أبي مدين الغوث "دفين تلمسان"، وقد تحدث صاحب "انس الفقير" عن طريق ابن جميل القصري وقد عاصر فاطمة الأندلسية المتصوفة التي أخذت بدورها عن أبي مدين، ودفن ابن جميل في رباط أبي غالب بالقصر الكبير.

- ابن الجنان : يوسف بن يحي سكن القصر الكبير وسجلماسة ومالقة وأغمات ووريكة، أديب شاعر أورد صديقه ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته في الذيل والتكملة نماذج من شعره، اشتغل في الكتابة لقاضي القصر الكبير عبد الكريم ابن عمران توفي أوائل القرن السابع.

---

(8) البيان لابن عذاري قسم الموحدين ص : 259.

(9) البيان ص : 263.

(10) محمد بن عزوز حكيم - معلمة المغرب.

- ابن الحجام : محمد ابن أحمد ابن أبي شيخ اللخمي صاحب كتاب "روضة الأزهار" في التوقيت[11].

- ابن حبيب القصري : انتقد أهل عصره بعض مقولاته الفلسفية فأدرجه أبو العلاء المامون الموحدي ضمن الزنادقة حوالي 626هـ إبان فترة المامون من مهدوية ابن تومرت ومحاربة البدع، ثم قتل ابن حبيب وصلب[12].

- ابن حمو القصري الصرصري الشاوي[13]، (راجع محمد بن إبراهيم).

- ابن الخباز عبد الرحمان القصري ولد بالقصر الكبير ودرس بفاس وشارك في علوم شتى قام بتدريسها في القصر الكبير وهو من تلامذة رضوان الجنوى وسقين وزروق وابن عمرو القسطلي توفي 964هـ/1556 (بذل العلم والود في شرح تفصيل الفقه)[14].

- ابن الخطيب عبد الرحمان الشفشاوني : يعرف بالشاعر الشفشاوني له مقطوعات في هجاء مراكش والقصر الكبير (ابن عسكر)[15].

- ابن الخطيب القصري : محمد بن علي "955هـ / 1549م"[16].

- ابن رحمون : العربي القصري[17].

- ابن رشيق : عبد الوهاب بن يوسف بن محمد بن خلف ولد عام 587هـ بقصر عبد الكريم وتوفي عام 650هـ /1252م بسفح جبل المقطم، أخذ عن ابن لدته عبد الجليل صاحب شعب الإيمان وكان متصدرا بالجامع العتيق بمصر، وقد أخذ عن عياض وابن العربي وبلديه ابن هابيل أحمد العبدري[18].

- ابن الشقاق القصري : "راجع يوسف البادسي".

---

(11) راجع التشوف.

(12) ابن سعيد المغربي : المغرب في بلد المغرب./ نفح الطيب ج 3 ص: 1259 بيروت 1968 طبعة القاهرة 1978.

(13) (راجع محمد بن ابراهيم).

(14) أعلام القصر الكبير لابن خليفة ص: 62 / نشر المثاني ج 1 ص : 124/ التفصيل لابن غازي العثماني القصري / (ملحق كشف الظنون 1740 ص: 74 خج 5942/887 / تكملة الصلة لابن الأبار ج 3 ص : 741 المكتبة الوطنية بتونس ح 3622م).

(15) الدوحة / درة الحجال / الجذوة ج 2 ص : 94.

(16) الجذوة ص: 151.

(17) تاريخ تطوان (ج 2 ص: 305).

(18) تكملة إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب لابن الصابوني (680هـ/1281م) طبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد ص 162 (1372هـ 1957م).

- ابن عسكر محمد بن عبد الله بن عمر: "ت 986هـ /1578م" صاحب "دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشاهير مشائخ القرن العاشر) كان قاضيا للقصر الكبير"[19].

- ابن العجوز عبد الكريم زعيم سوق كتامة (عام 465هـ أو 471هـ (الأنيس المطرب 420 ابن خلدوم ج 6 ص 274)

- ابن عطية يونس الونشريسي: قاضي قصر كتامة وشيخ ابن الخطيب وهو من رجالات القرن الثامن الهجري[20].

- ابن عمران عبد الكريم: "من القصر" قاضي مراكش[21].

- ابن عياد عيسى بن أحمد السوماتي: له تقييد مشتمل على فروع بني عمران من قبائل الهبط[22].

- ابن غازي العثماني المكناسي محمد بن أحمد الهبطي: " 919هـ / 1513هـ" أصله من بني عثمان من كتامة قرب القصر الكبير.

- ابن فليح عبد الله بن محمد الحضرمي القصري: تلميذ ابن طربية (تكملة الصلة لابن الأبار ج 4 ص 181، طبعة الدارالبيضاء).

- ابن مخلوف: عبد الله بن أبي مدين شعيب أصله أيضا من بني عثمان كان من خاصة يوسف بن يعقوب المريني وأبي ثابت مكلفا بوضع العلامة على الرسائل وحساب الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الأوامر، قتل بدسيسة بني وقاصة[23]. وهنالك ابن مخلوف آخر هو يحيى من قبيلة بقوية "بني هراس"[24].

- ابن مدرة عبد الله بن عيسى الكتامي (المتوفى سنة 538هـ) من أصحاب ابن العريف ولده هو ابن مدرة محمد بن عبد الله بن عيسى من علماء **قصر كتامة** في العصر

---

(19) (خق = 1300/ خع 386) طبعة فاس 1309/ 1891م (نزهة الحادي ص: 76 / الاستقصا ج 3 ص : 38 / تاريخ بروكلمان ج 2 ص : 678).

(20) نفح الطيب ج 7 ص : 271.

(21) تكملة التكملة ص : 161 .

(22) رسالة وجهها إلى سيدي عبد السلام بن الطيب القادري (خع 1632د).

(23) (نفاضة الجراب لابن الخطيب) (الإعلام للمراكشي ج 6 ص : 102 ط 1).

(24) المقصد الشريف (خع 110 د).

المرابطي صحب ابن العريف (ت 536هـ) روى عنه ابن فليح القصري، كان متحققا من علوم اللغة (توفي 530هـ/1136)

- ابن الابار : تكملة الصلة - ج 2 ص 18 - طبعة الدار البيضاء (الذيل والتكملة - ابن عبد الملك ج 8 ص 103).

- ابن مسلم الأنصاري القصري نزل سبتة فقيه مقرئ مشارك رحال أخذ عن علماء إفريقية ومصر وأخذ عن ابن أجروم استقضى بسبتة تتلمذ له يحي السراج وذكره في فهرسته له شرح رجز ابن بري سماه (الوجيز النافع في شرح الدرر اللوامع) وبرنامج جمع فيه مشيخته ومروياته توفي بسبتة (773هـ / 1371).

(اختصار الأخبار للأنصاري ص 18 طبعة 1983 / نيل الابتهاج - طبعة طرابلس ص 223 عام 1989/ فهرس الفهارس ج 1 ص 333).

- ابن الملاح : أبو يحيى من شيوخ القصر "ترجمته في مرآة المحاسن".

- أبو بكر بن عثمان بن صالح المسراتي المراكشي: قاضي آنفا بتامسنا وقصر كتامة وأزمور وحصن القاهرة بالأطلس الكبير ولد في حدود "710هـ / 1310م"[25].

- أبو بكر الشريف الادريسي : أبو يحيى من فقهاء سبتة قاضي سبتة والقصر الكبير إلى وفاته.

- أبو الحجاج الفاسي : جد أبي المحاسن الفاسي الفهري ورد على القصر عام 887هـ.

- أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله البرتغالي أخو السلطان أبي العباس الوطاسي كان أميرا على القصر الكبير فأسر في وقعة وادي درعة بتادلا عام "952هـ" وبها توفي غما[26].

- أبو الصبر أيوب ابن عبد الله القصري السبتي أخذ عن ابن غالب علي بن خلف[27]. وقدم أبو الصبر مراكش من سبتة واستشهد في وقعة العقاب عام 609هـ.

---

(25) الإعلام للمراكشي ج : 6 ص : 473).

(26) الاستقصا ج 2 ص : 178).

(27) التشوف على رجال التصوف ترجمة رقم 81.

- أبو عبد الله القنطري : من أعيان القصر الكبير فر أولاده إلى فاس بعد اقتحام الخضر غيلان مدينتهم عنوة عام 1063هـ / 1652م[28]، (راجع محمد بن علي).

- بوعسرية : كنية لبعض آل الفاسي منهم أحمد بن محمد بن أحمد القصري له رحلة إلى المشرق ضاعت (عناية أولى المجد ....) وكذلك محمد بن علي بن يوسف وليد القصر الكبير (توفي عام 1048هـ الصفوة للإفراني ص 1730).

- أبو عمران موسى الطرياني المتوفى عام 639هـ (أعلام القصر الكبير لابن خليفة ص 17).

- أبو القاسم المغربي الفاسي القصري : ذكر الشعراني في الطبقات الكبرى المسماة "بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار"[29] قدم مصر سنة 917هـ حاجا قال : "فصحبته إلى أن سافر ثم رجع من الحج فصحبته إلى أن سافر إلى المغرب فلما وصل إلى فاس أرسل لي كذا كتابا مشتملا على آداب وإرشادات وكان رضي الله عنه ذا خلق حسن وكرم وحلم فلم يزل مبتسما منشرحا وجاء مصر في نحو 500 مريد حج بهم وكان دأبه الجهاد طول عمره إلى أن مات.

- أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي : أمير سبتة صاحب "الدر المنظم في المولد المعظم" استبد بالحكم سنة 653هـ بعد أن ضعفت دولة الموحدين ودخلت في طاعته طنجة واصيلا وسائر بلاد الهبط ودامت إمارته نحو ثلاثين سنة وتوارث أبناؤه الإمارة إلى أن غلب عليهم المرينيون وقد سن أبو القاسم منذ السنة الأولى لإمارته الاحتفال بالمولد النبوي بقراءة الأمداح النبوية وإطعام الطعام ووجه نسخة من كتابه (الدر المنظم) إلى الخليفة المرتضى الموحدي بعاصمته مراكش مشيرا عليه بالاحتفال بالمولد فصادف منه قبولا حسنا فصار يقوم بليلة المولد خير قيام كما يقول ابن عذاري في البيان المعرب[30].

- أبو القاسم بن ابن عبد الجبار الفجيجي عالم متجول تولى القضاء والإفتاء في مسقط رأسه وجاهد في معركة وادي المخازن عام 986هـ (توفي عام 1011هـ حسب الرحلة الناصرية الكبرى لمحمد بن عبد السلام.

---

(28) الاستقصا ج 4 ص : 41).

(29) الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ج 2 ص : 148.

(30) صلة الخلف بموصول السلف لابن سليمان الروداني طبعة بيروت ص : 235 سنة 1988.

- أبو القاسم بن الزبير المصباحي الزناتي الشاوي القصري، تتلمذ لأبي المحاسن الفاسي توفي عام 1018هـ (درة الحجال ص 217) / والصفوة للإفراني / نشر المثاني ج 1 ص 105).

- أبو المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفهري الأندلسي القصري الفاسي : "1013هـ /1604م"[31]

- أبو مهدي عيسى بن الحسن المصباحي : دفين قرية الدعادع بناحية القصر الكبير.

- أبو مهدي عيسى بن علال الكتامي المصمودي :"823 هـ / 1420م" من مصمودة كتامة ببلاد الهبط[32].

- أبو يعقوب الشقاق من أعيان القصر الكبير

- أبيطبول إبراهام بالقصر الكبير بين القرنين 16 و17. أصولي صوفي (المقصد الشريف يوم 94).

- أحمد بن ابراهيم الجرفطي : مفتي القصر الكبير[33]، توفي حوالي 953هـ.

- احمد بن حدو البطيوي : عين عام "1090هـ/1679م" حاكما بالقصر الكبير وكان قبل ذلك خليفة لأخيه عمر بن حدو القائد بالقصر.

- أحمد بن عبد الرحمان التلمساني : قاضي القصر الكبير الشهير بالتحاني صاحب أبا المحاسن الفاسي ولازمه توفي عام 1018هـ[34].

---

(31) السلوة ج 2 ص: 306 / خلاصة الأثر للمحبي ج 4 ص : 507 / المرآة ص: 6 / الممتع ص : 132 / الصفوة ص : 27 / النشر ج 1 ص : 89 / تاريخ تطوان لمحمد داود ج 2 ص : 149 - 212 / الدرر البهية للفضيلي ج 2 ص : 263 / ملحق بروكلمان ج 2 ص : 187.

- تأليف فيه لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد الفاسي بالخزانتين الأحمدية والفاسية وهو اختصار من كتابه "روضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية" وهو يحمل اسم "الجواهر الصافية من المحاسن اليوسفية" في نسخة خع 471 ضمن مجموع خع 407"/ (أنيسة المساكن بذكر أولاد الشيخ أبي المحاسن) (150 بيتا توجد نسخة بالخزانة الفاسية بخط ناظمها عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي. له شرح على منظومة السيوطي المسماة "بالتثبيت في ليلة المبيت"(142 ورقة) أربع نسخ في خع =1061. 466 د/2145 د/2106د م = 254- 283 / مكتبة تطوان 143.

(32) السلوة ج : 2 ص : 190.

(33) الدوحة ص : 31.

(34) نشر المثاني من موسوعة أعلام المغرب ج : 3 ص : 1179.

- أحمد بن عبد السلام السريفي الصفصافي : 1343هـ / 1951م له كناشة بها نقول وإجازات لأبي القاسم.

(راجع في فهرس الفهارس أحمد بن عبد السلام الحراق السريفي المجود (ج 1 ص 208).

- أحمد بن عبد السلام الطود المنعوت بمالذ القصر الكبير لتضلعه في المذهب المالكي توفي عام 1371هـ.

- أحمد بن علي الريفي : قتل في وقعة المنـــزه قرب القصر الكبير عام 1156هـ / 1743م حيث انتصر جيش السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل وعلق رأسه بباب المحروق، وقد خلف في طنجة وتطاوين وأعمالها كثيرا من الأبنية والعمارات. وفي عام 1151هـ "عهد مولاي المستضيئ" هدم الباشا أحمد بن علي بن عبد الله بن حدو الريفي أسوار تطاون وقتل نحو ثمانية من أهلها ووظف على أهلها مالا عظيما بدعوى أنهم شقوا العصى[35] وكان يحكم في مائة قبيلة من طنجة إلى باب تازة وبني يزناسن.

- أحمد بن عمر العمراني : قاضي العرائش ثم القصر الكبير[36].

- أحمد بن محمد بن حمو السريفي قاضي القصر الكبير عام 1075هـ (نشر المثاني ج 2 ص 148)

- أحمد بن محمد "الطرون" بن عبد الرحمن الفاسي القصري 961هـ/1553 م[37]- أحمد بن محمد بن حمدان القصري التلمساني : المحدث الحافظ دفين القصر الكبير رافق أبا عبد الله الكنيكسي في التوجه لأخذ العلم بالمشرق ثم عادا لنشر العلم بالقصر الكبير[38].

- أحمد بن محمد الطالب القصري (الإتحاف الوجيز لابن علي الدكالي ص 99).

- أحمد الخضر بن محمد بوعسرية : فقيه محدث نحوي ضابط ولد بالقصر الكبير وتوفي بدون عقب عام 1054هـ/ 1644م[39].

---

(35) تاريخ الضعيف ص : 131.

(36) عمدة الراوين ج : 2 ص : 13.

(37) درة الحجال ج : 1 ص : 88 / السلوة ج 3 ص : 250.

(38) فهرس الفهارس ج : 1 /ص : 151.

(39) الدرر البهية ج : 2 ص : 266.

- أحمد المنصور بن محمد الشيخ السعدي الملقب بالذهبي: توفي بالوباء بفاس عام 1012 هـ / 1603 م، وكذب اليفرني ما شاع من أن المنصور سمه ولده زيدان بإشارة من أمه الشبانية في باكور أوائل ظهوره[40] "... فابتداء ملكه من حدود افريقية إلى حافة البحر المحيط" L'anonyme portugais, Sources Inédites, France, 1ere série T, II, Paris, 1909 tiré à part par De Castries sous le titre suivant : une description du Maroc sous le règne de Moulay Ahmed El Mansour (1596), Paris 1909 وفي كتاب المسالك وفير المعلومات ودقيقها مشحون بصور عن العادات، ويظهر أن المؤلف لم يكن أسيرا من أسرى معركة وادي المخازن، وهو يذكر عن نفسه أنه كان منفيا، وورد في اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان[41] نقلا عن الوزير حمودة بن عبد العزيز في تاريخه "الباشي" عند انقراض الدولة الحفصية قال : "وقد كان العلم لأول دولة الترك قد ارتفع منها بالمرة كما قدمنا حتى ورد عليها المولى احمد افندي من أرض الروم لأول المائة الحادية عشرة على عهد عثمان داي وكان متفننا في العلوم فأخذ عنه جماعة من أهلها منهم الشيخ محمد الغماد والشيخ أبو يحيى الرصاع والشيخ محمد برأو وأبو القاسم البجاني وغيرهم، وارتحل إلى المغرب الأقصى وافدا على سلطانه مولاي احمد الذهبي فوجده يقرىء المطول للمولى سعد الدين التفتازاني بالجامع كل يوم فأوسعه مبرة وإكراما ثم عاد إلى تونس فكان يقول : "وجدت في جامع القرويين بمدينة فاس سبعة عشر كرسيا يقرئون التفسير وكلهم عن التفسير بمعزل" كذا "إلا أن ملكهم يفهم الخطاب".

مصنفاته :

1 - ديوان جمع فيه شعراء أهل البيت أتى فيه علي أزيد من ألف ترجمة مع شعره هو[42] وأشار الشهاب في الخبايا إلى ديوان لأحمد المنصور كما ذكر الزياني أنه وقف على هذا الديوان وأنه رغم ذكر ألف شاعر من أهل البيت فإنه لم يستوفهم.

---

(40) الاعلام للمراكشي ج : 2 ص: 46 / الصفوة ص : 99 / مناهل الصفا ج : 2 ص : 17 / الإعلام للزركلي ج 1 ص: 224 / السلوة ج 3 ص: 226 / درة الحجال ج 1 ص : 51 / إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج 7 ص : 11 - الموسوعة الإسلامية ج 1 ص 297 / نشر المثاني ج 1 ص : 73 / نزهة الحادي ص: 71 تاريخ تطوان ج 2 ص : 10 / الاستقصا ج 3 ص : 42 - 94 / دوكاستري ج 1 (ص 501) فرنسا / أندري جوليان - تاريخ افريقيا الشمالية ص : 475 - 482. "الممدود والمقصور في سنا السلطان أبي العباس المنصور" لمحمد أحمد بن عيسى الصنهاجي (ج 4 ص : 645) نسخة منه بخزانة الكلاوي وأخرى عند عبد القادر بن محمد المسفيوي رئيس جامع ابن يوسف /د م = 598 / تراجم الأعيان من أبناء الزمان للحسن بن محمد البوريني 1024 هـ 1615 م (طبعة دمشق - 1959 ج 1 ص 220).

(41) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج : 7 ص : 11.

(42) راجع كشف الظنون ج : 1 ص : 400.

2 – كتاب السياسة[43]

3 – حاشية على التفسير تكلم فيها مع الزمخشري وغيره جمعها قائده الفقيه علي ابن منصور الشيظمي، كان يأتي في قراءة البخاري بما يزري بالمعقول، وكانت تقرأ بين يديه عقائد الأشعري كعقائد السنوسي ورسائله كالمنطق وعلوم الآلة، أحب العلوم إليه سماع الحديث، وكان يختم صحيح البخاري في رمضان، أخذ الكتب الخمس عن رضوان الجنوي وأجاز له سقين عن زكرياء والقلقشندي عن ابن حجر، له تقايد علي بعض الأخبار[44].

4 – المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف "ذكر في ترجمته أنه لم يؤلف مثله".

* احمد المنصور والملكة اليزابيت :

تبادلت الملكة اليزابيت مع أحمد المنصور السعدي مراسلات شتى نذكر منها ما يلي:

1 – خطاب من المنصور مؤرخ ب 28 أبريل 1588 Public Record office-state papers – foreign royal letters vol.Π n° 16.

2 – خطاب من المنصور مؤرخ ب 12 يبراير 1589. Public- foreign Portugal vol II.

3 – خطاب مؤرخ ب 23 يونيه 1590 .Public , Foreign Royal lettres vol, II n° 21.

4 – خطاب من الملكة اليزابيت إلى المنصور مؤرخ 20 اغسطس 1590 :

Public Foriegn R .L vol.IL n° 18.

علاقته باسبانيا "مطالبته بالعرائش بعد تحالفها مع تركيا"[45].

علاقته مع هولندا[46].

– غزو الأندلس: بعد احتلال انجلترا لقادس فكر أحمد منصور في احتلال اسبانيا مناصفة مع انجلترا وقد واجه قائده عزوز بهذا المشروع في يونيه 1599 /1008هـ تاجرا انجليزا بمراكش هو Jaspar Thomson كما قدم المغرب الاقتراح رسميا في 23 شتنبر 1600م /1009هـ

---

(43) وردت خطبته في نزهة الحادي ص : 71.

(44) الإعلام للمراكشي ج : 2 ص : 253 طبعة 1975.

(45) دوكاستري ج : 2 ق7 ص : 82 فرنسا ص : 112.

(46) دوكاستري ج 1 ق7 ص: 24 هولندا ص : 71 (مقيم هولندا بالمغرب) ص 82 (مملكته الواسعة).

بواسطة السفير عبد الواحد الانوري الذي وجه إلى انجلترا لهذا الغرض[47]، ووجه المنصور خطابا إلى دون انطونيو مؤرخ ب 29 مارس 1588.-198 Museum – Burney Mss 367 pp British 199 كتاب احمد المنصور الذهبي سلطان مراكش 1928 Lucien Graux وقد اهتم أحمد المنصور بعلم الفلك، فكان يعتمد على العالم الانجليزي Edward Wright الرياضي والاختصاصي في علوم المياه "1558م – 1615" للحصول على كرات ومنجانات ومزاول وآلات مغنطية واسطرلابات، وكان سفيره في انجلترا سيدي عبد الواحد الانوري ملما بعلم الهيئة فدل على (رايت) هذا للاتصال به في انجلترا من أجل الحصول على آلات من نحاس وفضة يترك فيها مكان الحروف العربية لتنقش بالمغرب أو بانجلترا طبقا لنماذج يرسمها السيد عبد الواحد المذكور لا سيما وأن هذه الآلات يمكن استغلالها لتوجيه القبائل عبر الصحراء، وقد تعلل السفير بالتوجه إلى حلب لشراء الجواهر ص : 177[48] وقد اعتنى المنصور بالإجازة فبعث إلى علماء مصر يستجيزهم. وهنالك أحمد الذهبي نجل السلطان المولى إسماعيل.

– أحمد بن محمد بن هابيل العبدري القصري المعروف بالأشقر[49].

– أحمد بن النادي العلمي السريفي في العهد السلماني (فهرس الفهارس ج أ ص 331).

– أحمد بن يرمق : كان يدرس الإناث عن طريق الشرط بالدار المتصلة بكتاب السيد علي بن العربي الخيري وهو الكتاب الذي درس فيه أبو المحاسن الفاسي القصري، كانت له مدرسة عتيقة يدرس فيها العلوم الإسلامية بسوماتة، له شرح بن بقي في القراءات فكان علماء القصر الكبير وعلماء آخرون يأتونه من الآفاق ومع موته سيدفن معه ثلاثة عشرعلما لم يسال عنها احد توفي عام 1331هـ يوم عيد الفطر.

– أحمد الدغموري القصري : الفقيه العدل[50] كان له دور في جهاد البرتغال ببلاد الهبط ويرى أن الرجل الذي لا يتقلد السيف للجهاد عديم الذكورية.

– أحمد بن الطاهر الزواقي : قاضي القصر الكبير وبعد وفاة أخيه محمد الزواقي عام 1347 وإمام وخطيب جامعه الأعظم.

---

(47) – السعديون – 1925م 2 ص 110 و142.

(48) س.أ. – السعديون – 1925 م 2 ص : 168.

(49) تكملة الإكمال لابن الصابوني.

(50) الاستقصا ج : 2 ص : 157 نقلا عن الدوحة.

- أحمد السبع القصري دخل القاهرة ومات قتيلا بطرابلس الغرب عام 1099هـ (الرحلة العياشية ج 2 ص 131).

- أحمد السوسي : له مكتبة حافلة أستاذ في المعهد الديني

- أحمد الشدادي بن العلامة محمد قاضي سريف عام 1939.

- أحمد الطرداني : من علماء القصر وأوليائه المشهود لهم، زاره العلامة أحمد بن الصديق الغماري فأشار عليه بمغادرة القصر الكبير إلى مصر.

- أحمد الطود : "1371هـ" خليفة قاضي القصر الكبير وإمام وخطيب بالجامع الأعظم مع خطة التوقيت والافتاء، يرجع إليه القصريون في مشكلاتهم الدينية والفقهية.

- احمد العسري من علماء المدينة

- أحمد الفاسي[51].

- أحمد القصري : له تقاييد حول الأوقاف[52].

- احمد المومن : من كبار علماء القصر الكبير، تتلمذ له كل من العلامة عبد السلام الجباري وعبد الله الجباري، كانت له حلقات في الجامع الأعظم. والقصري اسم عائلة كانت بتطوان عام 1175هـ وقد انقرضت[53] وكانت عائلة القصري بالرباط ولعل أهلها من فاس منها أحد أصدقائنا بالرباط.

- إدريس بن القاسم بن إبراهيم صاحب "كتامة" وهي قاعدته على نمر "أوليكس"[54] وهي الواقعة قرب القصر الكبير وينتمي إليها ابن مخلوف عبد الله بن شعيب من بني عثمان صاحب العلامة في العهد المريني.

- إدريس الريفي : باشا أصيلا إلى 11 يوليوز 1931 حيث خلفه الوافي البقالي وهو من أعيان القصر الكبير.

---

(51) خع / 1182 د.

(52) (خح / 5483).

(53) العمدة ج 3 ص : 303.

(54) المغرب للبكري ص : 110، وقد سماها "حاضرة سوق كتامة (المسالك والممالك ج 2 ص 788).

- أزيات (راجع محمد بن عبد الله بن موسى)[55].

- إسماعيل سلطان المغرب : انتصر في وقعة المتره قرب القصر الكبير على أحمد بن القائد علي بن عبد الله الذي غزا تطوان وتحالف مع المولى المستضيئ وهزم قبائل الغرب[56] وفي العهد الإسماعيلي وقع وباء بفاس والقصر الكبير "عام 1090هـ / 1679م" فكان جيش المولى إسماعيل يرصد الناس في الطرقات يردونهم عن مكناسة ويقتلون كل من يرد من ناحية القصر وفاس موطن الوباء[57]، وعندما وقع الوباء بفاس عام 1155هـ / 1742م تفرق أهل فاس فرارا منه في البلاد كالقصر والعرائش وفي نفس الفترة تقريبا وقع الوباء مرتين في فاس، فهنالك وباء وقع بالعدوتين سلا والرباط " عام 1155هـ - 1762 م" انحدر من فاس على ما يظن وفي نفس السنة كان يموت بالعدوتين ما بين 12- إلى 18 رجلا وقد وقع آخر عام 1163هـ 1749م كان يموت منه أربعة أشخاص في اليوم بالرباط ومائة في سلا[58].

الأشقر : أسرة تطوانية أصلها من جبالة قرب القصر الكبير[59]، منها محمد الأشقر السبتي انتقل إلى القصر الكبير[60].

افيلال الحسن : بن المفضل عالم تطوان عين موظفا بديوانة مليلية وقاضيا بالقصر الكبير "كان حيا عام 1358هـ"، وقد تولى الإمامة والخطبة بالجامع الأعظم.

أفيلال المفضل : انتقل إلى القصر الكبير عام 1276هـ من شفشاون في حرب تطوان فنظم قصيدة يحن فيها إلى وطنه حيث ختمها بقوله:

حيث أقامه يرضى ولو بقصر كتامة[61]

- اقصبي : محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن 1364هـ /1945م كان عارفا بالقراءات أتمها بالقصر.

---

(55) حسب مرآة المحاسن.

(56) الوثائق المغربية ج : 9 ص : 57.

(57) الاستقصا (ج 4 ص : 29)

(58) RENAUD, RECHERCHES HISTORIQOES SUR LES EPIDEMIES DU MAROC. HESPERIS 1939..

(59) مختصر تطوان داود (ج : 2 ص : 300).

(60) الجذوة ص: 134.

(61) النعيم المقيم للمرير ج : 2 ص : 83

مصنفاتـــه :

- اتحاف الفئة المتقية لحل أقفال شرح الرسالة الفتحية[62] - بهجة الجنان وتنوير الصدر بقصة يوم الفرقان وشرح أهل بدر[63]- بيان صور الكواكب، "نبذة في" - تخميس البردة[64] وتلخيص نشر الورد[65] - تمهيد الدروس النحوية على الخلاصة الألفية[66] - تعليق على الفتوحات القيومية لأبي العباس السوداني[67] تعليق على كشف الأسرار للقلصادي[68]- تعليق على الشرح الكبير لبحرق على لامية الأفعال[69] - حاشية على شرح حرز الأماني[70]- حاشية على شرح لامية الزقاق للتاودي ابن سودة[71] - حاشية على شرح القصيدة الخزرجية للزموري[72].

- أولاد كنون : "أو جنون" من مستارة[73]

- البشاري : أو البشرى "أسرة .." تطوانية اندلسية Becerra هاجرت إلى القصر الكبير قبل سقوط تطوان على يد الاسبان عام "1270هـ/ 1880م"[74].

- البقالي الوافي : من أعيان القصر الكبير باشا في أصيلا يوم حادي عشر يوليوز 1931 ثم في شفشاون مرتين.

- بلحاج الفقيه الكرفطي : أستاذ بالمعهد الديني بالقصر الكبير كان آية في الحفظ.

---

(62) خم = 7032.

(63) خم = 7062/7036.

(64) خم = 7044.

(65) خم = 7725.

(66) خم = 7048/7052.

(67) خم = 7061.

(68) خم = 7042.

(69) خم = 7040.

(70) خم = 7041.

(71) خم = 7033.

(72) خم = 7034.

(73) السهام الصائبة في رد الدعاوي الكاذبة لمحمد الطائع بن يحيى أمغار في إثبات نسبة أولاد كنون "الشرف المصون لآل كنون" لمحمد حشلاف قاضي جلفة بالجزائر طبع عام 1933. "الجيش المجلوب على المدهش المطلوب" لعبد الله ابن عبد الصمد كنون رد فيه على طعن عبد الحفيظ الفاسي في نسب آل جنون (د . م 297).

(74) عمدة الراوين للرهوني ج : 3 ص 50.

- بوسلهام الرميقي : تولى باشوية القصر الكبير عام 1340هـ) وتولى القائد الخلخالي ثم بوشتة بلبغدادي، ثم محمد الملالي الرميقي ابن أخي بوسلهام، ثم الخمال، ثم خصمه الباشا خالد الريسوني ثم انتقل إلى أصيلا.

- بوشتى بن البغدادي بن محمد الجامعي : باشا القصر الكبير كان قائد أولاد جامع ثم قائد جيش شراكة ثم عينه الحسن الأول عاملا على وجدة لما توجه إليها عام "1291هـ / 1874م"[75]، ثم رشحه السلطان خبيرا وقائدا للبعثة المكلفة بمراجعة الحدود مع فرنسا "عام 1301هـ /1883" برئاسة الأمير عرفة صنو السلطان وكتابة علي السوسي السملالي الذي صنف رحلته "منتهى النقول ومنتهى العقول"[76] حيث يتحدث عن اغتصاب لنقطة "كركر سيدي حمزة" على الحدود، ثم عينه الحسن الأول عضوا في السفارة الإسبانية عام 1300هـ/1882 برياسة محمد بركاش وعضوية احمد البلغيثي، ثم عينه عضوا في لجنة تسوية المشاكل مع اسبانيا في "سانطاكروز"[77]، ثم رئيسا لسفارة ايطاليا عام 1302هـ /1886 ثم أصبح باشا فاس فطرد عام 1310هـ القنصل البريطاني الذي حاول رفع علم بلاده على مقر سكناه، وقد خلفه ولده على فاس.

- أبو فنار الطيب : عالم بالقراءات بالقصر الكبير من كبار المجودين على نسق ما عرف في المنطقة من كبار علماء التجويد الذين أخذ عنهم الشيخ سيدي أحمد التيجاني، وقد أخذ عن بوفنار الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني الحنفي القراءات بالقصر الكبير[78].

- بنو اشقيلولة زار ابن الخطيب مقبرة رؤسائهم في القصر الكبير[79] ومعلوم ما ذكره المؤرخون من الحركة الهادفة إلى الاستعاضة عن القصر الكبير بمقاطعة وادي آش، وقد كان ابراهيم ابن اشقيلولة أميرا لوادي آش قبل الدعوة ليعقوب بن عبد الحق المريني.

- بنو عبد الحميد العروسيين : تنسب إليهم مجموعة من قواد القصر الكبير الذين حكموا المدينة منذ عام 876هـ/ 1471م أوائل عهد الوطاسيين، وأصلهم من بني عروس الهبطية، منهم عبد الله العروسي الهبطي من رجال منتصف القرن التاسع الهجري، وانتهى

---

(75) الاتحاف لابن زيدان (ج : 2 ص: 162).

(76) منتهى النقول ومنتهى العقول (خع = 633 د).

(77) الاتحاف لابن زيدان (ج : 2 ص : 337) .

(78) فهرس الفهارس للكتاني (ج 1 ص : 71).

(79) الإحاطة في أخبار غرناطة.

حكمهم عام 967هـ/ 1559م بتعيين عبد الله الغالب عبد الرحمن بن تودة العمراني قائدا على اصيلا والقصر الكبير والعرائش[80].

- التلمساني أحمد بن محمد بن حمدان القصري العلامة المحدث الحافظ دفين القصر الكبير من أهل القرن الحادي عشر سافر إلى الشرق مع زميلين له هما أبو عبد الله الكنيكسي وأبو العباس الهشتوكي، نقلوا إلى الشرق ما كان قد تقلص من علوم الحديث من ستد عال وغيره، وبعد عودتهم استقر التلمساني في القصر الكبير وقد أجاز شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي كما أخذ عنه الدمنهوري بمصر[81].

- الجباريون بنو جبارة : فرقة اخماسية تقع جنوب غربي شفشاون تنحدر منها أسرة الجباري بالقصر الكبير وهم أشراف شكك في شرفهم الشريف العلمي في نوازله، وكذلك ابن رحمون، التطواني في كتابه "النجوم الزاهرة في الذرية الطاهرة" وأثبت لهم الشرف الحسين ابن عمران الجباري[82].

ومنهم الخضر بن عبد السلام الجباري[83]. وأحمد بن الحسين العلامة الحافظ[84] وشقيقه أحمد بن محمد بن الطاهر ناظر اوقاف القصر الكبير (ت 1966)، وعبد السلام الجباري تلميذ أحمد مومن، وعلي المحول، والقاضي علي نخشى، ومحمد المرير التطواني[85].

- الجباري عبد السلام بن الطيب : الأصيلي الجباري درس بفاس وتخرج عنه علماء عدة واعتقله الاستعمار الاسباني لنشاطه في الدعوة الاسلامية "ت 1974"[86].

- الجباري المفضل بن أحمد القصري الصوفي مقدم الزاوية الدرقاوية في القصر الكبير، فقيه وعدل "ت 1303هـ - 1886".

- الجباري أحمد بن الحسين القصري العلامة الحافظ[87] وأخوه هو أحمد بن محمد.

---

(80) حسن الفكيكي معلمة المغرب (ص : 1542).

(81) فهرس الفهارس للكتاني (ج 1 ص : 151).

(82) الأدلة المختارة في إثابت شرف بني جبارة.

(83) تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري انطلاقا من وثائق وظهائر.

(84) تيسير الباري (ص : 25).

(85) راجع أحريف في إطلالته.

(86) ع. ابن سودة : إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب ج: 9 ص: 3451.

(87) تيسير الباري ص: 25.

- الجباري أحمد بن محمد القصري : ناظر الأوقاف بالقصر الكبير[88] "ت 1386هـ 1966م" وقد تولى العدالة بنفس النظارة - الخضر بن عبد السلام صاحب كتاب "تيسير الباري، وقد أشار العلامة محمد الحجوجي إلى أحمد الجباري القصري الفاسي قاضي القصر وحلاه بأعجوبة الزمان في علم الوثائق (فتح العلامة - مخطوط مؤسسة علال الفاسي رقم ع 610).

- جبالى يهودا ربي كبير: تتبرك به الطائفة اليهودية في القصر الكبير توفي عام 1780م (5540 عبرية) ضريحه مزارة كبرى لليهود بالقصر الكبير[89].

- جزوليت : أسرة أندلسية هاجرت إلى المغرب بعد سقوط غرناطة، ثم استوطنت الشاون وتطوان وسلا والرباط وفاس والقصر.

- الجنوي محمد بن الحسن العمراني نزيل مكناس المتوفى بمراكش عام 1200هـ علامة نظار نشأ بمدشر أزجن من قبيلة مصمودة، ثم رحل لطلب العلم في القصر الكبير ثم تازروت زاوية اولاد بن ريسون ثم تطوان، كان شيخه التاودي بن سودة يسأل بحضرته فيكل الجواب إليه، وكان لا يخالف فتواه أحد، وقد سكن مكناس بأمر السلطان محمد الثالث[90].

- الجيلاني بن عبد السلام الغرابلي القصري : نعرفه من خلال نسخة كتبها بخط يده لمؤلف مجهول عام 1074هـ "107 ورقة" عن فاس وبناء جامع القرويين والاندلسيين"1074 هـ - 1663"[91].

الحراق : "آل.." من قبيلة بني عروس اقليم العرائش، انتقلوا الى شفشاون ثم تطوان حيث انتقلت أسرة أخرى تحمل نفس الاسم من بني حزمار، والشيخ محمد بن محمد الحراق قد انتقل اجداده من بني عروس الى شفشاون ثم إلى تطوان[92].

---

(88) تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري انطلاقا من وثائق وظهائر. "ط 1989" مستندا إلى ظهائر علوية.

(89) لاريدو في أسماء يهود المغرب.

(90) الإتحاف ج : 4 ص : 137.

(91) دار الكتب المصرية 11 ش (تاريخ ق 377).

(92) الرهوني عمدة الراوين ج : 3.

- الحسن بو عياد بن العربي بن عبد السلام : ولد بمنشستر عام 1322هـ/1904م مجاهد في الحركة الوطنية بفاس، أخذ عن بعض علماء الأزهر، رحل مرتين إلى الشرق حيث اتصل بالاستاذ أحمد حسن البنا وعاد عام 1933 إلى المغرب حيث تزوج من بنت محمد بنعبد الله من القصر الكبير وأدار مدرسة بفاس وتوفي 1410هـ / 1990.

- الحسن بن محمد بن أبي جمعة البوعقيلي : 1368هـ/ 1949م عاش طويلا بالقصر الكبير قبل أن ينتقل إلى الدار البيضاء له : 1 - أنساب الشرفاء بسوس والمغرب 2 - تحقيق الحقائق عن كشف مقالات أهل الطرائق "16 ص" 3 - سوق الاسرار إلى حضرة الشاهد الستار "135 ص" 4 - آراء عن عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية "جزآن طبعا عام 1353 هـ /1982م" 5 - الاشفاق على مؤلف الاعتصام "60 ص" 6 - رفع الخلاف والغمة فيما يظن فيه اختلاف الأمة "108 ص" 7 - خصائص الأسرار والجواهر المرضية الكاملة في نهاية الأخفى (جزآن).

- الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان: زار القصر الكبير وقدمو له كوبا من الماء وكان عذبا وسأل عن اسمه فقيل له إنه "سميد" الماء فقال هو سيد الماء.

- الحسن بن الحاج محمد بنعبد الله القصري من أسرة بنعبد الله المستقرة بالقصر الكبير كان تاجرا وطالب علم ومقدما للطريقة التجانية في عهد والده الحاج محمد الذي عمر طويلا إلى ان توفي حوالي 1345هـ /1926م عن سن زاد على العشرة بعد المائة، وكان كلاهما معروفا بالفضل والكرم والركون إلى أهل العلم.

- الحسن السريفي : تلميذ الشيخ علي بن عثمان اليروتني[93].

- حسونة القصري الرباطي : كان تاجرا كما في (اليواقيت الثمينة) وفد إلى تونس بقصد التجارة وكان عالما حسن المحاضرة له مكان لوضع سلعه بتونس وكان يقرئ بجامع الزيتون صباحا ويقرئ درسين احتسابا، يذهب بعدهما لموضع سلعه كأعيان التجار وقد نظمه الباشا علي باي الحسيني في سلك المدرسين ورفض أخذ الأجرة، فعظم شأنه عند الباي وتوفي عام (1199هـ) ويوجد ثبت للحافظ مرتضى الزبيدي كتبه باسم الشيخ حسونة بن عمر القصري اسمه (السكر القصري في إجازة الشيخ حسونة القصري)[94].

---

(93) دوحة الناشر ص 28 / الإعلام للمراكشي ج 3 ص : 149 (ط : 1975).

(94) الاغتباط لبوجندار ص : 289/ فهرس الفهارس ج 2 ص 686.

- الحسين بن عمران الشريف الجباري : له الأدلة المختارة في اثبات شرف بني جبارة[95].

- الحكماوي : عينه المولى سليمان عام "1211هـ" عاملا على طنجة والعرائش والجبل والقصر الكبير وما والاه فدخل الحكماوي أول ما دخل إلى القصر عاملا، وهنالك بنى السلطان ضريح سيدي علي بوغالب وهو غير ابراهيم الحكماوي عامل الصويرة[96].

- الخاوة : أسرة من الهبط "ناحية القصر الكبير"انحدرت إلى تطوان وتوجد أيضا بالرباط فئة منها هي الآن في طريق الانقراض، مات في العقود الاخيرة احد كبار ممثليها ويوجد أولاد الخاوة بين ميسور والقصابي علي ضفة ملوية.

- الخضر غيلان أبو العباس أحمد بن على الجرفطي : هو صاحب محمد المجاهد العياشي كان مقدما على الغزاة في بلاد الهبط، فاستقل بعد مقتل العياشي برئاسة تلك الجهة، وفي عام 1063هـ /1652م ثار بالفحص وزحف إلى قصر كتامة، الذي فر جماعة من أعيانه إلى فاس، وانضم إلى الخضر عام 1069هـ /1658م "أبو سلهام بن كدار" المرابط الرئيس بفاس بعد أن حارب المجاهد العياشي في صف الدلائيين[97]، وذكر دوكاستري[98] أن الخضر غيلان قد أعانه الانجليز عام 1666 م/1077هـ عند حصار مولاي رشيد لأصيلا، حيث بقي غيلان إلى يوليوز 1668م وفر إلى طنجة على ظهر سفينة انجليزية ومنها إلى الجزائر، وقد أبرمت معاهدات اتحاد وتحالف بين الانجليز والخضر غيلان في 12 أبريل 1666م، واستغلت فرنسا هذا الوضع فحرضت مولاي رشيد على مهاجة الانجليز في طنجة بمساعدة القوات الفرنسية. ولكن حامل الرسالة وهو تروبير لم يستطع الوصول إلى المغرب، حيث بقي في الجزائر إلى عام 1668م، وكانت الهدنة قد انعقدت عام 1667 بين فرنسا وانجلترا في خصوص ممتلكاتها بأمريكا[99].

الخلاص : أسرة من قبيلة سماتة بالهبط قطنت تطوان وانقرضت عام 1270هـ /1854م[100].

---

(95) الزاوية الحمزاوية (135 - 278) (8 صفحات فقط).

(96) تاريخ الضعيف ص : 290 و292.

(97) الاستقصا ج: 4 ص 14.

(98) (الوثائق الغميسة - الفلاليون - س . 2 . ج 1 ص : 189.

(99) تاريخ تطوان ج: 1 ص: 235 / الوثائق المغربية ج 18.

(100) م ابن عزوز حكيم (أسماء عائلات تطوان).

- الخمال : أسرة مواطنها حواضر الشمال "طنجة وتطوان والعرائش والقصر الكبير" وهي من الشرفاء العمرانيين، أصلهم من بني زجل في غمارة، ولهم فرع كبير في الخلط قرب القصر الكبير، وينتمي بعضهم الى قبيلة الحوز قرب تطوان، وفي طليعة الخماليين العمرانيين بطنجة محمد الخمال الذي ترجم له محمد سكيرج في منظومته حول مزايا طنجة.

- الخمسي: "آل.." قبيلة شمال المغرب تدعى الاخماس ويوجد آل الخمسى بتطوان ينتمون لمدينة الخمسى Algemisi بإسبانيا.

- الدغاي : أسرة تطوانية أصلها من ناحية الهبط انقرضت بتطوان ما زالت بالقصر.

براكانس : "الدوق" : من جملة أسرى معركة وادي المخازن نجل الدوق Duc de Bragance وهو ثالث ثلاثة كانوا يطمحون للعرائش زيادة على الدون انطونيو وملك إسبانيا وكان براكانس هذا محظوظا عند الوصي هنري والجزويت وبعض النبلاء ولذلك كان البرتغاليون يخشون أن يطالب المغرب بالمراكز المختلفة فدية للأمير الشاب[101].

- الدون سيستيان : ملك البرتغال الذي قتل في معركة القصر الكبير وهي معركة وادي المخازن والذي دفن في ما يسمى بفندق جوهر في القصبة الأثرية بالقصر الكبير قبل ان ينقل إلى البرتغال، ويقال بأن وفدا برتغاليا رسميا كان يزور القصبة كل سنة واستمر ذلك إلى أواخر الحماية.

- الدويري محمد بن عبد الواحد العثماني الفاسي قاضي صفرو ثم القصر الكبير فالدار البيضاء فالجديدة فأسفي[102].

- الرايس محمد القصري ولد بالقصر الكبير موسيقي بارع درس بالرباط وفاس على كبار الموسيقيين أمثال الجعيدي والوكيلي ثم تولى إدارة معهد القصر الكبير عام 1979م وبعدها معهد طنجة "توفي عام 1997 بالقصر الكبير".

- الرفاس : يحيى قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب الأمير المتوكل وفر إلى اصيلا التي كانت بيد البرتغال ومنها التحق بلشبونة حيث انضم الى الأمير مولاي الشيخ ابن المتوكل.

---

(101) م. ابن عزوز حكيم / الشريف الريسوني. المقاومة المسلحة في شمال المغرب ص : 481. الرباط.

(102) دوكاستري - س. ا - السعديون ج - ا - ص : 354.

- الرقيوق محمد الحوزي عدل مبرز بطنجة ونائب عن القاضي توفي عام 1347هـ دفين روضة بوعراقية بطنجة.

وهناك محمد الحوزي الرقيوق : من القصر الكبير عارف بالله مشهور بالمدينة وقد عاشرته مدة وله كرامات.

- الزهيلي المعز بن منصور أبو تميم قاضي قصر كتامة في عهد الموحدين من قبيلة زهيلة في جبال غمارة تتلمذ للشيخ العارف على ابن خلف بن غالب وقد أسهم في دعم الحركة العلمية بالقصر الكبير حيث ازدهرت في عهد يعقوب المنصور[103].

- الزرهوني بايوسف أحد قواد معركة وادي المخازن بجانب السلطان محمد المتوكل التحق بلشبونة الى جانب مولاي الشيخ.

- الزواقي : محمد بن الطاهرالمستاري علامة مشارك وشاعر، ولد بتطوان وتولى العدالة بمراسي الجديدة والعرائش وطنجة وعين قاضيا بالقصر الكبير عام 1345 /1926 الى ان مات عام 1928[104].

- الروسي : أسرة أصلها من جبل حبيب "بلاد الهبط" منها حمدون بن عبد الله الروسي عامل فاس "عام 1114هـ" ثم جدد ولايته المولى عبد الله عام 1143هـ. وكان عبد الله الروسي وليا على عمال المغرب ثم فوض له المولى اسماعيل أمر الجباية والأحباس وتنفيذ الأحكام بفاس ضمن منصب مستشار للسلطان.

- زرقون : محمد بن علي أحد قواد معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك[105].

- سالم : ابن حم الشاوي القصري السريفي: المتوفى بمكناس 1108هـ له : 1- فريضة الأدب 2 - مقصات عجيبة 3 - المنهاج شرح المرشد المعين 4 - الروض الناشر على نظم الإمام ابن عاشر[106].

---

(103) مرآة المحاسن 1966 ص : 145.

(104) الرهوني عمدة الراوين ح 6 ص : 166.

(105) مناهل الصفا للفشتالي 1972.

(106) نشر المثاني - مكتبة تطوان "120".

- سعيد بن خلف الله إدريس بن سليمان البصري[107].

- سقين : عبد الرحمان بن علي بن أحمد العاصمي السفياني القصري والسقين لقب والده، أذعن له أعلام المغرب واخذوا عنه الحديث، وفي تحفة الإخوان للمرابي أن شيخ فاس أبا النعيم رضوان الجنوي كان يملأ فمه بذكره ويقول : لم أر مثله في فنه وكان يقول : "من أعظم النعم علي معرفتي بالشيخين الغزواني وسقين، فإن الغزواني غرس وحرث، والشيخ عبد الرحمن سقين سقى" وقد أخذ عن كل من ابن غازي وزروق، وأخذ في الشرق عن القلقشندي وزكرياء الأنصاري والشيخ الإمام عبد العزيز ابن فهد والسخاوي والمدني، وكلهم عن الحافظ ابن حجر، ودخل السودان وحدث بمحضر ملوكهم، وأجلسوه للحديث على الفرش الرفيعة وكانت وفاته بفاس عام 956هـ[108].

- سليمان بن علي بن سعيد القصري الغماري: أبو الربيع قرأ بفاس وأقام بالإسكندرية ثم المدينة المنورة حيث توفي عام 714هـ 1314م[109].

- سليمان الحوات : له فهرسة "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي" استعرض فيها أشياخه وقارن الوسط الثقافي في الجبل المغربي بالبيئة الفاسية[110].

- سيدي ولي يوجد ضريحه بالفخارين من عدول الشريعة.

- الشرعي : أسرة تلمسانية شريفة هاجرت إلى المغرب واستوطنت القصر الكبير ثم مدينة فاس ثم مراكش عام 1289هـ.

- شعشوع : أسرة توجد بعدة مدن منها تطوان وطنجة والعرائش والقصر الكبير حيث عرف الفلاح السيد أحمد بن العياشي الشعشوع[111].

- شعيب : من بني أولاد بومدين، كاتب بني مرين، نسبهم ابن خلدون لقبائل كتامة، توفي عام 697هـ.

---

(107) مدارك عياض ص : 333.

(108) فهرس الفهارس ج : 2 ص : 333.

(109) الدرر الكامنة ج 2 صك 254 / السلوة ج 3 ص : 322.

(110) نسخة بالخزانة الأحمدية السودية بفاس لم يذكرها صاحب فهرس الفهارس.

(111) بوخبزة معلمة المغرب ص : 5384.

- الصادق بن محمد ابن ريسون : المتوفى "عام 1376هـ" ولي القضاء على قبيلة الأخماس ثم القصر الكبير عام 1333هـ له : 1 - الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون و2 - السر المكنون في شرح أبيات الولي الصالح سيدي عبد السلام ابن ريسون 3 - تاريخ شفشاون[112].

- طاهر الجابري القصري: المكنى أبا البقاء توفي عام 1126هـ 1714م.

- الطود أحمد بن عبد السلام قاضي القصر الكبير عرف بمالك لضلاعته في المذهب ومن آل الطود عبد السلام بن أحمد وعبد السلام بن الهاشمي.

- الطيب : أخو السلطان المولى سليمان كلن نازلا بالقصر الكبير عام 1209هـ واضطر للرحيل عن القصر لجريمة ارتكبها فتهيب أهل القصر لأنه أخو السلطان[113].

- عبد الجليل بن موسى القصري : روي عن ابن حنين أخذ عنه الموطأ بفاس، ولازم أبا الحسن بن غالب بالقصر الكبير، له أيضا : تفسير القرآن في ستين مجلدا و"شرح للأسماء الحسنى" و"الأسئلة والأجوبة" وفسر "مشكل الكتاب والسنة" في سفر وسط. وكلامه في طريق التصوف سهل محرر مضبوط بظواهر الكتاب والسنة وتوفي 608[114].

- عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق المراكشي مات أخوه عبد الله بالقصر الكبير وهو فقيه متمكن من أصول الفقه المالكي ألف في الرد على ابن حزم وتولى قضاء غرناطة ثم اشبيلية ثم قضاء الجماعة بمراكش وقد توفي بمراكش عام (631هـ/ 1234)[115]. أما والده عبد الله فأصله من مهدية تونس ورد في آخر حياته على يعقوب المنصور بمراكش فمات بالقصر عام (589هـ /1193)[116].

- عبد الرحمان بن تودة العمراني عينه السلطان عبد الله الغالب السعدي قائدا على أصيلا والقصر والعرائش.

---

(112) إتحاف المطالع لعبد السلام بنسودة في موسوعة أعلام المغرب ج 9 ص : 3320.

(113) تاريخ الضعيف ص : 255.

(114) النبوغ المغربي كنون ج 1 ص : 147. المقصد الشريف للبادسي ص 68 / التكملة ص 603 / (طبقات المفسرين للسيوطي ص 16).

(115) تكملة الصلة / القرطاس ص : 252/ النيل ص : 183 / تكملة الصلة ص : 529 /نيل الابتهاج ص : 136.

(116) النيل ص : 136.

- عبد الرحمان بن عبد السلام السريفي القصري[117].

- عبد الرحمان بن علي بن احمد القصري[118].

- عبد الرحمن محمد القصري أخو أبي المحاسن عالم مشارك (مرآة المحاسن ص 267)

- عبد الرحمن بن محمد القصري[119].

- عبد الرحمان بن هشام سلطان المغرب : كان يعز القصر الكبير ويوجه إليه أولاده للتخييم وكانت الكدية الاسماعيلية أول مكان نزل فيه بعد ولايته عام 1238هـ/ 1822م[120].

- عبد الرحمان التنهلى القصري : المعروف بالفرميي، له شرح على كتاب "الضبط في القراءات". للخراز[121]، كما له شرح على الدرر اللوامع لمحمد بن محمد بن ابراهيم الخراز لم يذكره بروكلمان[122].

- عبد الرحمان العبروق : ظهر حسب ابن خلدون في عهد الموحدين حيث كان عام 513هـ رئيسا للحمارة ثم عينه عبد المومن الموحدي مساعدا له في شؤونه، فانتقل إلى مدينة امستردام لشراء الملابس والمجوهرات والعبروق فكنت عائلته بذلك ويعرفون اليوم بالعبراق، وقد انتقل من فاس إلى القصر الكبير فاستوطن فندقا بحي السوق الصغير أمام المسجد الأعظم قصد التجارة ويسمى الآن "فندق الجوهر" وكان يلقي في الليل دروسا في الوعظ والإرشاد والفقه والنحو وكان بمعيته الشريف الجليل العلامة سيدي امحمد أبو الفضائل دفين باب التوت "طريق المرس" والعبروق ثوب من حرير وذهب يتزين به النساء على رؤوسهم في الأفراح طوله نحو 7 سنتم ونحو 50 عرضا[123]، ومن هذه العائلة الفقيه محمد العبروق المعروف بالقصري مقدم ضريح أبي المواهب سيدي العربي بن السايح برباط الفتح وكان صالحا ورعا توفي عام "1413هـ 1992".

---

(117) تاريخ تطوان ج 2 ص : 286.

(118) نيل الابتهاج (ص : 153).

(119) (راجع ابن الخياط).

(120) شجرة النور ص : 153 / الاستقصا ج 4 ص : 174.

(121) خع 2248 د مجموع 201- 219.

(122) خع 2138 / 2226 د.

(123) صاحب العمدة ج 3 ص 59.

- عبد الرحمان سقين القصري "راجع سقين" "955هـ / 1549م"[124]

- عبد السلام محتسب القصر 1289هـ وناظر أحباسها مع السيد العربي بن الطايع.

- عبد السلام بن الخضر الجباري : علامة مشارك صوفي زاهد درس على العلامة سيدي الحسن البعقيلي وكل من الفقيه أحمد مومن وعلى المجول انتقل إلى فاس فتتلمذ للشيوخ الأجلة أحمد بن الخياط والراضي الأحنش والحسن مزور توفي حوالي "1405هـ/1984م".

- عبد القادر بن علي الفاسي ولد حسب (تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر) لوالده عبد الرحمان الباب الأول بالقصر الكبير عام 1007هـ، لازم القراءة على أخيه الإمام أبي العباس مدة، وقرأ أيضا على فقهاء القصر منهم محمد أزيات ومحمد الرجاس وعبد القوي، ثم رحل إلى فاس بقصد القراءة عام 1025هـ فنزل بالمدرسة المصباحية فقرأ على علماء فاس منهم عمه محمد العربي بن يوسف الفاسي وأخذ التصوف على أبي القاسم الزبير المصباحي "ت 1018هـ" وابي عبد الله الصباغ القصري وابن مونة محمد بن ابراهيم الخلطي وعلي أحمد أيوب الخلطي ومحمد القجيري القصري "ت 1044هـ" وعبد الله بن حسون دفين سلا "1013هـ". (طبقات الحضيكي ج 2 ص 266).

- عبد العزيز بن علي السوماتي (تكملة الصلة ج 3 ص 633).

- عبد القادر الفشتالي خطيب وإمام في جامع سيدي عبد الرحمان المزميري كان يعلم الخط بالمدرسة القرآنية المجاورة للمسجد الأعظم.

- عبد الكريم بن عمران القصري : قاضي مراكش[125] حيث توفي عام 643 هـ

- عبد الله القصري : دفين مكناس[126].

- عبد الكريم الكتامي : هو مؤسس قصر كتامة أو القصر الكبير[127].

---

(124) الفهرسة الصغرى للمنجور (راجع سقين).

(125) تكملة الصلة ص : 161 / (الإحاطة لابن الخطيب ج 4 ص 189 - طبعة القاهرة).

(126) الإتحاف لابن زيدان ج 1 ص : 353.

(127) دوكاستري ج 1 ص 175 عن البكري والافراني / معجم البلدان ج 7 ص : 106.

- عبد الله بن ابي مدين : صاحب العلامة عند يعقوب عبد الحق المريني "راجع ابن مخلوف" في عام "595هـ" انتقل عبد الله بدر الحبشي مع ابن عربي في رحلته الثانية لتوديع الأندلس وشيخها المورروري والمرتولي[128] وكان قد مر بالقصر الكبير حيث لقي عبد الجليل بن موسى تلميذ ابن غالب.

- عبد الله بن أحمد بن أبي بكر القصري[129]

- عبد الله بن الشيخ المامون : حاربه الأمير زيدان في أرورات، قرب القصر الكبير عام 1017هـ/ 1608م ففر إلى الأندلس ومعه فارس بن المنصور وقد تعقبهما مصطفى باشا العلج.

- عبد الله بن عبد الحق الأنصاري: أصله من مهدية تونس، ولاه الموحدون قضاء الجماعة باشبيلية ورد على يعقوب المنصور بمراكش فعاجلته المنية في رجوعه إلى الأندلس حيث توفي بالقصر الكبير"عام 589هـ/ 1193"[130].

- عبد الله بن عبد السلام القصري الغرابلي الشاوي الأصل "من رجال القرن الثاني عشر".

- عبد الله بن علي القصري : عامل سلا وحاكم الرباط انتخبه اندلسيو المدينة وكان خصما للمجاهد العياشي الذي تحالف ضده مع المبعوث الانجليزي[131] وكان للرباط آنذاك أسطول حربي تبلغ قطعه ما بين 40 و45 سفينة وقد أدى الحصار البري والبحري للرباط من طرف العياشي ورينسبورغ إلى ثورة القراصنة ضده وطرده حيث فرضه عليهم محمد الشيخ الأصغر مقابل خضوع الرباط إليه، وكان محمد الشيخ قد تحالف مع انجلترا آنذاك ولكن القصري لم يف بوعده للسلطان واغتيل فخلفه ابنه الذي تلقى حامية السلطان بقيادة القائد مراد فرفع العياشي الحصار على الرباط واتجه للتخييم حول المهدية "المعمورة" بعد الحصول على ضمانات لرجوع الهورناشيروس إلى قصبة الرباط، وقد تحالف القصري مع الاسبان حيث أرسل "الدوك مدينة" ستمائة من المشاة عارض

---

(128) كتاب الكتب ص : 9.

(129) نيل الابتهاج ص : 124.

(130) تكملة الصلة لابن الأبار 529 / نيل الابتهاج ص: 136.

(131) الوثائق العميسة – دوكاستري السلسلة الأولى – السعديون – ج 3 ص: 194 – 558.

القائد مراد في السماح لهم بالنـــزول من السفن الى المدينة وقد نصح كارتريت الانجليزي القائد مراد بتسليم قصبة الرباط إلى انجلترا بدلا من تسليمها إلى إسبانيا[132].

- عبد الله بن محمد الصنهاجي الطنجي : المعروف بالهبطي توفي عام 963هـ صاحب أبا محمد الغزواني وعبد الله الهبطي هو صاحب (الألفية السنية في تنبيه العامة على ما أوقعوا من التغيير من الملل الاسلامية)[133] وأحمد الهبطي من وزراء الغالب بالله السعدي المتوفى 981هـ[134].

- عبد الملك الغازي المعتصم بالله بن محمد الشيخ المهدي أبو مروان "986هـ / 1578م"[135] كان يتقن الاسبانية والإيطالية والتركية[136]. شارك في احتلال تركيا لتونس[137] هو الملك السعدي الوحيد الذي كان يوقع رسائله بحروف لاتينية، مدحه كتاب مسيحيون وبالغوا في تمجيده أمثال مونطيني Montaigne وكان له جاسوس برتغالي رافق الدون سبستيان في رحلته انطلاقا من lagos، بنى مستشفى للمسيحيين بمراكش، طلب عام 1577 من هنري الثالث ملك فرنسا تعيين قنصل بالمغرب وهو "كيوم بيرار"، وقد فكر فيما سماه اليفرني بالميل إلى التجديد وهو إسكان القبائل الرحالة في القرى كما فعل ماسينيسا عندما أسس أزيد من 70 قرية لهاته الغاية.

وقد استصرخ هو وأخوه أحمد بالسلطان العثماني سليم بن سليمان بعد اعتلاء اخيهما عبد الله الغالب على العرش عام 965هـ/ 1557م فوجه قائده الباشا حسن بن خير الدين الذي التحم مع الجيش السعدي فانهزم وكان سليمان القانوني قد قتل عبد الله الغالب بالله محمد الشيخ وقد صنف على قضية هذا الأخير كتاب بقلم مؤرخ الإمبراطورية العثمانية قطب الدين النهروالي، وكان المعتصم يأمل الحصول على مزيد من المعونة لاسترجاع العرش غير أن فيليب الثاني ملك اسبانيا لم تكن له رغبة في مساعدته كما استنصر المعتصم بملك فرنسا عام 1574م.

---

(132) الوثائق الغميسة - دوكاستري السلسلة الأولى - السعديون - م 3 ص : 442. 1935.

(133) خح 3607.

(134) الاستقصا ج 3 ص : 26.

(135) درة الحجال ج 2 ص 387/ الجذوة ص : 272/ الاستقصاء ج 3 ص : 37) / وثائق دوكاستري السعديون ج 1 ص : 346 -675 / ج 2 ص: 22 - 466 / ج 3 ص : 283 - 755). كان يتقن الاسبانية والايطالية والتركية.

(136) Coissac de Chavrebière, His. du Maroc p : 316.

(137) دوكاستري ص : 577.

- عبد المومن بن علي : كان بسبتة عام 546هـ متظاهرا بالجواز إلى الأندلس، فعاد إلى مراكش حتى وصل إلى القصر الكبير "قصر كتامة" فميز جيوشه وأزاح عللهم وفرق فيهم الأموال وأمرهم بتجديد الأزواد[138].

- العربي بن محمد الحلوفي: من علماء القصر الكبير كان نائبا للقاضي توفي عام 1968.

- عبد الله بن محمد الجباري : أمين كلفة الأمور السلطانية وقهرمان دور السلطان بالقصر الكبير بنص ظهير شريف عليه خاتم السلطان المولى سليمان بتاريخ رابع جمادى الأولى عام 123اهـ[139].

- عبد الله بن عبد الواحد الورياجلى: عالم قصر كتامة[140].

- عبد الله بن محمد ابن فليح الحضرمي القصري.

- عبد الله الجباري : استاذ المعهد الديني كان شيخه الراضي الحنش يزوره في القصر. (راجع الجباري)

- عبد الله المستاري "المقصد الشريف" لعبد الحق البادسي[141]

- عبد الواحد بن طلحة العروسي : من أمراء بني عبد الحميد أصحاب قصر كتامة الذين انقرضوا حاولي 950هـ / 1543م "(مرآة المحاسن)" وهو صاحب الشيخ أبي الروابن، كانت لهم رباطة وجهاد، وقد انقرضوا حوالي 950هـ وقد كان العروسي قائدا للقصر الكبير في عهد السلطان محمد بن محمد البرتغالي الوطاسي، وهو الذي اعتقل الغزواني ونقله إلى مراكش حوالي 919هـ وقد قاد (الوقعة الحمراء) قرب أصيلا حوالي 940 هـ ضد البرتغاليين.

- عثمان بن سعيد بن حمادة البصري[142].

---

(138) الاستقصا ص : 148.

(139) التكملة ص : 529.

(140) درة الحجال ج 2 ص : 341 / الدوحة ص : 27.

(141) جع 110 د.

(142) مدارك عياض ص : 333.

- عجال : والد سيدي عبد الله الغزواني توفي أواسط العشرة الثانية بقصر كتامة[143]

- العربي بن رحمون القصري[144]

- العربي بن عبد الله بن ابي يحى المستاري الرباطي : كان حيا أوائل القرن الثالث عشر الهجري، رئيس البحر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وسفيره إلى انجلترا[145] له :

1 - قصيدة "42 بيتا" أوردها الشيخ التاودي بنسودة مطلعها :

دهينا برزء لا يقاومه صبر وعم البرايا كل قلب به جم[146]

2 - أرجوزة في "آداب المتعلم والعالم" شرحها البلغيثي في كتاب الابتهاج[147]

- عثمان بن أبي العلاء المريني : زحف عام 707هـ نحو قصر كتامة معززا بكتيبة من الفرنج واستولى عليها، فهب السلطان أبو ثابت المريني لمحو أثردعوته في غمارة مارا بالقصر الكبير ثم التحق به في غمارة.

- عثمان بن عبد الحق المريني : لما ولي الحكم بعد وفاة والده في "حرب رياح"، فرض عام "619هـ" الخراج على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول[148].

- العربي بن محمد المهدي القصري بن احمد بن علي بن يوسف 1063هـ /1653 له (مطالع المسرات في شرح دلائل الخيرات)[149]

- علال بن بوسلهام الزرهوني : مدير المعهد الديني توفي عام 1965 "أو 1966".

- علي بن أحمد بن أبي قرة بن ابراهيم بن سلمة الأزدى الداني قاضي قصر كتامة كان محدثا مكثرا ضابطا ثقة له رد على ابي غرسية في رسالته الشعوبية توفي بمراكش 608هـ /

---

(143) الدوحة ص : 73 / الإعلام للمراكشي.

(144) تاريخ تطوان داود ج 2 ص : 305.

(145) الإتحاف لابن زيدان ج 3 ص : 347 / شجرة النور الزكية ص : 433 / تاريخ الضعيف ص : 177. مخطوط. الرباط.

(146) خع : 158 د.

(147) شجرة النور الزكية ص : 438.

(148) الاستقصا ج 2 ص : 5.

(149) نسخ في ليزيغ - باريس - مدريد - القاهرة والقرويين (753) والزيتونة وكلكتة (505) ونابل (13 ص) وقسطنطينية (87) والجزائر (823).

1211م[150] وابن غرسية هذا هو الذي كتب في "تفضيل العجم على العرب" كما كتب ابن عرس، وأبو عامر بن عبد الله السبتي[151].

- علي بن احمد الشريف الصرصري اللنجري: "1037هـ/ 1672م" ذكر الشيخ الطيب بن محمد ابن عبد القادر الفاسي في فهرسته انه مات عام 1017هـ مع ان الذي مات في ذلك التاريخ هو والده أحمد[152] من صرصر (جبل في مصمودة كتامة) وصرصرأيضا قرية على فرسخين من بغداد ينسب إليها أبو القسم إسماعيل بن الحسن الصرصري "403هـ /1012م"[153].

- علي بن عبد الله الحمامي : قائد تطوان من أقرباء عمر بن حدو خلفه كقائد على القصر الكبير ونائب السلطان في الغرب عام 1093هـ 1682م. توفي عام 1125هـ / 1713م[154].

- علي بن عثمان الشاوي : استشهد "حسب الدوحة" في "وقعة الحمر" في حدود "940هـ" وقد احتدمت بين البرتغاليين وقائد القصر الكبير عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من أصيلا ويقول صاحب "المرآة" إن الشيخ الشاوي توفي في الجهاد عام "925هـ"[155].

- علي بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بالمراكشي الأقاوي الأصل من بني صالح بسوس، قاضي القصر الكبير في عهد مولاي رشيد توفي بمكناس عام "1090هـ 1675م" له شرح على "وجيزة ابن سعيد المجلدي في التوقيت" "قرى العجلان على إجازة الأحبة والإخوان" لأحمد أحزى. (الصفوة للإفراني ص 324).

- علي بن محمد بن عبد الله سلطان المغرب ت 1198هـ / 1783م عينه والده عام 1179هـ / 1765م خليفة عنه بفاس الجديد مع قبائل جبالة والريف[156].

- علي بن يوسف أبي المحاسن الفاسي توفي بالقصر الكبير عام "1030 هـ /1621م"[157].

- علي بن خلف بن غالب القرشي الشلبي نشأ بشلب وقرأ واستقر أخيرا بالقصر، حل بفاس قبل ارتحاله إلى القصر الكبير وهو تلميذ ابن العريف، كان يدرس الحديث أخذ

---

(150) الذيل والتكملة لابن عبد الملك ق : 5 ص: 154.
(151) كشف الظنون ج 1 ص: 417.
(152) (دم = 1308) ورد في الصفوة ص 192 أنه توفي عام 1027 هـ
(153) الشذرات ج 3 ص: 165.
(154) دوكاستري - س. - 2 - فرنسا م. 1 ص: 671.
(155) الاستقصا ج 2 ص: 176.
(156) الاستقصا ج 4 ص : 101 / تاريخ تطوان داود ج 2 ص : 272.
(157) مرآة المحاسن ص : 151 / النشر ص: 211 / شجرة النور ص : 297.

عنه أبو مدين الغوث توفي بالقصر عام 567هـ/ 1171م. وتوجد بالقصر أوقاف منسوبة إليه منها دار سكناه بدرب عشواء والفندق المعروف بفندق سيدي علي بوغالب بالجزارين، بنى قبته القائد المجاهد أحمد بن حدو البطيوي في القرن الحادي عشر وقد صار إمام الصوفية له كتاب اليقين[158] وفي عام 1209هـ وجه المولى سليمان أربعة قناطير بما بنايق "جمع بنيقة أي غرفة" عازلا النساء عن الرجال في ضريح سيدي علي بوغالب وقد قال فيه أحد الشعراء :

أبو غـــالب بنـــاه من له العـــلا على القوم بالسداد وبالعقل
سليمان اتقى الله آية ملكـــــه ونفعه بأجره قرة النـــجـــل[159].

وقال آخر:

إذا ما الخوارج قـــد خـــرجت بجسمي وضاقت بما حيـــلى
دعوت الإمـــام أبـــا غـــالـــب وهل للخوارج إلا علـــــي[160].

وهنالك بفاس سيدي علي بوغالب بن جمال بن عدو الإدريسي تعلم بفاس الحجامة وعلاج الجراح والقروح وأصبح شيخ الحجامين، ربما توفي في منتصف القرن الثامن يوجد ضريحه بباب فتوح بنيت قبته عام 1090م وتوجد في (سلوه الأنفاس) قصائد في مدحة[161].

- علي الشلي : "981هـ /1573" دفن بقرية "بوجديان" قرب القصر الكبير ينسب إليه تأسيس زاوية تجكان الغمارية المعروفة اليوم بزاوية تاسيفت.

- علي الصفاقسي القصري من كبار علماء المذهب أيام بني عبد الحميد العروسيين (توفي عام 961هـ).

- علي المجول علامة زاهد كان يدرس بجامع السويقة، عاش طويلا بفاس حتى توفيت عائلته كان يزوره الشيخ أبو الشعيب الدكالي والشيخ أحمد الرهوني للأخذ عنه وكان يتقن تسعة علوم محكمة لم يساله عنها أحد.

---

(158) الذيل والتكملة ص : 208 / 159/ الاستقصا ج 1 ص : 178.
(159) تاريخ الضعيف : ص : 218.
(160) رفع النقاب – أحمد سكيرج ص : 102.
(161) نشر المثاني ج 4 ص : 222. / السلوة ج 2 ص : 17.

- علي نخشى : توفي عام 1351هـ 1932 مشارك في شتى العلوم، استقضي على أصيلا ثم القصر الكبير فتوفي في القضاء، وهو من تلاميذ ابن يرمق وأحمد بلخياط ومحمد العلمي الفلكي. له شرح علي ابن بري في القراءات وكان داعية للجهاد ضد الإسبان في الريف عارفا بالطبوع الأندلسية يعطي للحياة العصرية حقها في مروءة وهدى وقد فقد أحد أبنائه في إحدى المعارك.

- عمر بن حدو : قائد القصر الكبير عام 1090هـ احتل طنجة عام 1091هـ واصطلح مع النصارى الذين نزحوا في نفس السنة عبر مدينة البوغاز[162]، كان أخوه أحمد خليفة له، شارك في حصار المهدية التي حررها عام 1681م.

- العياشي : قائد القصر الكبير كان قائدا على شفشاون فعينه الخليفة محمد بن عبد الله عاملا على القصر الكبير بعد أن حاصره أهل شفشاون فهجم عليهم الخليفة وقطع أشجار شفشاون[163].

- عيسى بن الحسن المصباحي : أبو مهدي دفين الدعادع على وادي مضا من ناحية القصر، استشهد خلال (وقعة الرملة) بأبي غاص فحص طنجة قرب قنطرة عصماء عام 982هـ/1574م.

- عيسى بن مريم القصري المتنبي[164] ومن جملة المتنبئين محمد الكتامي المعروف بابن أبي الطواجين الذي كان بجبال غمارة عام 625هـ.

- الغالي الطود : كان من العلماء وهو أول مدير للمدرسة القرآنية المجاورة للمسجد الأعظم.

- غانم القصري : نظّام ملحون له قصيدة مشهورة في السيرة النبوية تسمى الكهفية.

- فاتح أو فتح بن موسى بن حماد نجم الدين الأموي الجزيري القصري الشافعي ولد بالجزيرة الخضراء ودخل القصر الكبير وبغداد ودمشق ومصر وولي قضاء أسيوط ودرس بالنظامية (663هـ/1265م)[165] كان يدرس بالمسجد الذي يحمل اسمه وهو (مسجد الجزيري).

---

(162) تاريخ الضعيف ص : 64.

(163) تاريخ الضعيف مخطوط.خع ص : 160.

(164) الدوحة ص : 27.

(165) بغية الوعاة ص : 372.

مصنفاته : 1 - نظم المفصل للزمخشري[166]. 2 - الوصول إلى السول "المجلد الأول في نظم سيرة ابن هشام 8184 بيتا" يوجد مجلده الخامس في خم 1668 يحتوي على 8185 بيتا. 3 - نظم اشارات ابن سينا 4 - منظومة في العروض. وكان الفتح بن موسى القصري يدرس بمدرسة "رأس العين" يوجد مسجد يحمل اسمه بحي الشريعة.

- فاطمة بنت عبد الرحمن الأندلسية من القصر الكبير وهي عمة ولي القصر الكبير علي بن خلف بن غالب ذكرها ابن الزيات في التشوف (ص 331) وعليها قبة بباب الواد.

- الغزواني عبد الله : من غزوان قبيلة من عرب تامسنا كان في ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس وبعد أخذه عن الشيخ التباع بمراكش انتقل إلى بلاد الهبط فنزل بها بقبيلة يقال لها بني فزنكار[167].

- فرانسيسكو دو الدانا : Francisco de Aldna الشاعر الاسباني الشهير المدعو القبطان الالاهي من جملة قتلى معركة وادي المخازن وهو ممن اعجب به "سرفا نطيس" وقد دخل الى المغرب عام 1577 في زي تاجر يهودي مع دييكودوطوريس Diego de Torres مؤلف تاريخ الشرفاء ويقال بأن الغاية من هذه الرحلة هي أن "فيليب الثاني" ملك اسبانيا الذي وجه الشخصين إلى المغرب أراد اقناع سبستيان بخطر الهجوم على المغرب بواسطة شاهد عيان هو "الدانا"، ولكن العكس هو الذي وقع لأن سبستيان أصر على عناده وأغرى "الدانا" فرجع هذا إلى إسبانيا واعدا بالمشاركة في الغزو وجعله الأمير البرتغالي قائدا للمشاة فقتل وعمره لا يتجاوز إحدى وأربعين سنة[168] وكان "طوريس" قد أخبر "فيليب الثاني" بالمصير المحتوم لهذه المغامرة لأن ملك اسبانيا كان عليه أن يمد سبستيان بثلاثين مركبا وستة آلاف جندي.

- فضول المستاري القصري (من رجالات القرن التاسع عشر).

- قاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل ولي البصرة[169]

- قاسم بن ادريس الخلطي : قائد القصر الكبير كان من القواد المنصاعين لأشراف وزان.

---

(166) معجم البلدان ج 7 ص : 106.

(167) الاستقصا ج : 2 ص : 172.

(168) الوثائق الغميسة السلسلة الأولى السعديون ج 3 ص : 443.

(169) الحلة السيراء ج : 1 ص : 131 – طبعة القاهرة 1963.

- قاسم الحاج بطل معركة وادي المخازن "ت 1018هـ" معاصر وصديق الشيخ سيدي محمد بن علي ابن ريسون.

- قرقوش "الحاج .." رئيس أرمني ثائر ظهر ببلاد الهبط وغمارة "عام 993هـ/1585م" وتلقب بأميرالمومنين، تزهد وتبعته العامة فقتل وحمل رأسه إلى مراكش[170].

- القصري "الشيخ.." في عام 1226هـ قدم للحضرة التونسية المولى سلامة بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله وكان قد بويع بعد أخيه مولانا اليزيد فخلعه أهل فاس وقدموا أخاه المولى سليمان فخرج إثر خلعه إلى مصر حيث أقام مدة ثم وفد لتونس وأكرم حمودة باشا مثواه ورتب له جراية وأخرى لولي عهده وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصري أولدها ذكرا توفي صغيرا[171] فهل القصري هذا من القصر اكبير وهل اختار الأمير المغربي مصاهرة رجل مغربي حنينا إلى بلده؟.

- القنطري (راجع محمد علي)

- كنون بن محمد صاحب "يجاجين" من بلد جنيارة سكانها بنو مسارة الذين انطلق معظمهم من قبيلة قرب وزان.

- مامي اسم عائلة غرناطية دخلت عام 1017هـ إلى كل من القصر الكبير وتطوان وفاس وكانوا ثلاثة إخوة وقد اختفت العائلة الآن[172].

- محمد بن إبراهيم بن حم القصري.

- محمد بن ابراهيم بن عمر بن علي الملالي : "897هـ/1492" له "المواهب القدوسية في المناقب السنوسية"[173]

- محمد بن إبراهيم القصري الشدادي[174]

- محمد بن ابراهيم بن يوسف القصري السبتي[175]

- محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الشافعي : أصله من قصر كتامة له شيوخ ببغداد ودمشق والأندلس ومصر وهو صاحب (الوتريات) في المدح النبوي ورد على

---

(170) نزهة الحادي للبفرني ص : 138.

(171) تعطير النواحي لعمر الرياحي ج 1 ص: 26 / الجيش العرمرم ص: 286 / الروضة للزياني ص : 300.

(172) العمدة ج 3 ص : 231.

(173) جع 66 د/ 1245د.

(174) طبقات القراء ص : 47.

(175) درة الحجال ج 1 ص : 279.

مراكش صدر 655هـ، أقام بها بعد ذلك وتوفي بتونس عام "663هـ/1264م" وقد خمس وترياته محمد الفاطمي الصقلي "طبعت بفاس"[176]

- محمد بن أبي الطواجين الكتامي المتنبئ : ثار بغمارة عام "625هـ" وكان أبوه من قصر كتامة ينتحل صناعة الكيمياء فقتله بعض البرابرة غيلة بوادي لاو، وهو الذي قتل الشيخ أبا محمد عبد السلام بن مشيش[177].

- محمد بن أحمد بن الحسين الفحصي البحمدي نزيل مكناس كان حيا عام 1166هـ/1753م رتب كناشة والده التي كان قرأها للمولى إسماعيل ودونها باسم (مدد التأييد في ترتيب المحفوظات والتقاييد)[178].

- محمد بن ابراهيم ابن حم القصري : وقيل الصرصري الشاوي عرف بابن حم القصري كان قاضيا بالعرائش توفي عام 1107م ودفن في بيت قرب سيدي علي بوغالب[179]

- محمد بن مجير بن أحمد المساري : النحوي "983هـ/1576-1577"[180]، له تعليق على شرح المكودي على الخلاصة[181]

- محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي القصري ولد عام 1033هـ (الصفوة ص 352) ..... في .....القرآن توفي عام 1109هـ (طبقات الحضيكي ج 2 ص 68).

- محمد بن أحمد الجابري : قاضي القصر الكبير خلف الشيخ سيدي أحمد التجاني في التدريس والتصوف في الزاوية التجانية الأم بفاس بعد وفاة الشيخ عام 1230م.

- محمد بن أحمد الجبلي : مقرئ السبع[182]

- محمد بن التهامي بن المقدم التجاني علي بن الأشهب الودراسي أصلا القصري مولدا وقرارا ازداد به عام 1222هـ[183]

---

(176) الاعلام للمراكشي ج 3 ص : 152 الطبعة الأولى نقلا عن الذيل والتكملة / عبد الله كنون مجلة البحث العلمي عدد 70 (العام الثالث).

(177) الاستقصا ج 1 ص: 197.

(178) (خح 1034) (3985) السفر الثالث / الإعلام للمراكشي ج 5 ص : 62.

(179) نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب ج 5 ص : 1839.

(180) فهرسة المنجور ص : 32 /الجذوة ص : 154 النيل (ص : 370) مرآة المحاسن (ص : 10) السلوة (ج 3 ص : 128 (وفاته 984 هـ بدل 983هـ) / درة الحجال ج 1 ص : 256.

(181) خح 3818-4325.

(182) الإعلام للمراكشي ج 7 ص : 33 ط الرباط.

(183) خزانة أدبية لأحمد سكيرج ص : 21.

- محمد بن الحسن ابن ميمونة الخمسي الشفشاوني ولاه المولى محمد بن عبد الله قضاء القصر الكبير ثم نقله للعرائش وبها توفي عام 1214هـ وكان السلطان المذكور يخاطبه في جماعة الفقهاء بسيبويه وقته (فهرسة ابن ريسون مؤسسة علال الفاسي رقم 424).

- محمد بن الحسن الجنوي الأزجني الحسني العمراني الفاسي المفتي المحدث المفسر اللغوي قرأ بالقصر ثم بزاوية تازروت الريسونية كان الشيخ التاودي يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب اليه وكان محققا يعارض بين النقول ويراجع الشروح والحواشي المختلفة في المسألة الواحدة لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة[184] ذكره تلميذه محمد بصري المكناسي في فهرسته (إتحاف أهل الدراية والتوفيق والسداد بما يهمهم من العلم والتلقين من طرق الاسناد)[185]، مجتهد في التصوف كان يمثل - حسب سيدي عبد القادر بوخريص - بعمر بن عبد العزيز في وقته، وكان له اتصال بالمولى محمد بن عبد الله حيث تنقل بأمر منه بين طنجة وتطوان وحاول السلطان استمالته لمذهبه في الطرقية له مناظرة في الطريق مع الكوهن[186] ومعلوم أن زاوية "تازروت" العلمية هي زاوية الشرفاء (أولاد ابن ريسون) كانت مهبط علماء أفذاذ أقاموا بها لطلب العلم.

- محمد بن الخطيب القصري : كان يحمل راية ركب الحجيج الفاسي حسب معاصره أبي المحاسن الفاسي[187] وكان مع الراية طبل يوضع بمارستان فاس وهو من الأحباس العامة.

- محمد ابن سالم : أحد قواد معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك وعين بعد ذلك صاحب الشرطة بفاس في عهد المنصور[188].

- محمد بن طاهر بناني : فقيه يعرف بالقاضي بناني لتوليه القضاء مدة طويلة بالدار البيضاء والقصر الكبير، حصل له خلل في عقله ثم استرجع حالته فعاد إلى التدريس والإفتاء إلى أن توفي عام 1346هـ/1928[189].

---

(184) الإعلام للمراكشي ج 6 ص : 93 (طبعة الرباط).

(185) فهرس الفهارس ج 1 ص 261 و394/ تاريخ تطوان ج 3 ص 99/ حاشية الرهوني على الزرقاني ج 1 ص 16/ إجازة له بقلم محمد بن سالم الحفني خع 2238 د (م= 21 - 24).

(186) الإعلام للمراكشي ج : 6 ص : 93 الرباط / الاتحاف لابن زيدان ج 4 ص : 136.

(187) المرآة ص : 86.

(188) مناهل الصفا ص : 48 ط الرباط 1972.

(189) إتحاف المطالع لابن سودة 1346هـ.

- محمد بن عبد الرحمن القصري[190]

- محمد بن عبد السلام القصري عارف بالتوقيت والطب مقدم روضة مولاي عبد الله الشريف (راجع الروض المنيف).

- محمد بن عبد الله أزيات : بن موسى يدعى الفقيه قاضي القصر الكبير، ربما كان أصله من تلمسان موطن الزياتيين الذين وردوا على القصر الكبير أواخر القرن السابع الهجري، وقد صاحب أبا المحاسن الفاسي مدة إقامته بالقصر وأنشد قصيدة "130 بيتا" يرثي فيها العرائش بعد تسليمها للنصارى من طرف محمد الشيخ وله أيضا "تأليف في السير والتاريخ" فرغ منه عام 1026هـ وقد ورد في (المرآة) أنه مات قبل هذا التاريخ وهو "عام 1021هـ".

- محمد بن عبد الله بن المولى إسماعبل : لما أوقع بالعبيد وخاصة منهم عبيد طنجة والعرائش عام 1189هـ عفا عمن بقي منهم بعد أربع سنوات واستردهم من القبائل إلى الجندية لكنه ميزهم وجعلهم قبائل في الخلط وطليق منهم من أنزلهم بقصر كتامة وأنزل عبيد سفيان وبني مالك بمسعيدية وعبيد بني حسن بسيدي قاسم والحياينة وأنزل عبيد اهل الجبل ب "تامدارت" من أعمال فاس ثم جمعهم ونقلهم إلى مراكش وبعث عبيد السوس إلى تارودانت وعبيد حاحة والشبانات إلى الصويرة وعبيد السراغنة وتادلة ودمنات إلى تيط الفطر وعبيد دكالة إلى أزمور وعبيد الشاوية إلى انفا وعبيد زعير إلى المنصورية وعبيد بني حسن إلى المهدية وأبقى معه بمراكش عبيد سفيان وبني مالك والخلط وطليق[191].

وقد قدم إلى القصر ونزل به وهو خليفة لوالده بمراكش عام 1170هـ[192]

- محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن المجدوب القصري المكناسي كان حيا عام 1228هـ/1813م. وهنالك محمد المجذوب بن أحمد بن عبد الحميد الحسني العمراني العلامة المحقق خاتمة قضاة العدل ومحقق الفتوى بجبال غمارة وقبائل الهبط (فهرسة ابن ريسون – مؤسسة علال الفاسي رقم 424).

---

(190) الوثائق المغربية ج 24 ص : Archives Marocaines 175.

(191) الاستقصا ج 4 ص : 112.

(192) تاريخ الضعيف ص : 161.

- محمد (فتحا) بن عبد الله الفاسي القصري مقدم الطريقة التجانية ومؤسسها بالقصر اجتمع مع الشيخ أحمد سكيرج (الرحلة الحبيبية الوهرانية)

- محمد بن عبد الله القنطري القصري 1062هـ-1652م له تكميل "زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عيلض" لمحمد بن عبد الله الخيضري[193]

- محمد بن عبد الله الكِنكْسي خطيب الجامع الأعظم بالقصر الكبير شيخ مشائخ مرتضى. الزبيدي (تاج العروس ج 16 ص 455) انتصب للتدريس والإفتاء وأسس زوايا وزانية بالقاهرة والإسكندرية حيث أخذ عنه علامة مصر ومسندها أحمد الجوهري الشافعي والعلامة أحمد الدمنهوري شيخ الجامع الأزهر في زمانه والشيخ عبد الوهاب العفيفي والشيخ أحمد الملوي الذي أخذ عنه الشيخ مرتضى (مدينة القصر الكبير الذاكرة والحاضر ص 164)، وقد زاول القضاء في القصر الكبير عام 1116هـ.

عندما قام المستضيئ ضد أخيه المولى عبد الله هب الأمير الشاب المولى محمد بن عبد الله لمناصرة والده فحضر وقعة عام 1156هـ على وادي لكوس قرب القصر الكبير بين فيالق القائد الريفي وارحية الجيش السلطاني الذي وحد عناصره بإقامة الرماة من العبيد وأهل فاس وفرقة الخيالة من الودايا وزرارة وأهل سوس، فانهزم الخصوم وقتل الريفي وواصل المولى عبد الله زحفه أواخر عام 1158هـ. نحو دكالة والسراغنة ومسفيوة متعقبا أخاه المستضيئ الذي لجأ إلى طنجة بعد أن لفظته حواضر الجنوب، وهنا استخلف السلطان ولده الأمير مولاي محمد بإقليم مراكش بينما وجه أخاه الأكبر المولى أحمد خليفة برباط الفتح[194].

- محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ التاودي بنسودة : قاضي قصر كتامة "1299هـ/1881م"[195]

- محمد بن العربي الإملاحي : خليفة قاضي القصر الكبير كان يدرس العاصمية بمسجد القطانين.

- محمد التهامي : بن العربي القصر المكناسي "1244هـ/1829م"

---

(193) حج = 28 / النشر م 205 / بروكلمان ج 2 ص: 97.

(194) معلمة المغرب للمؤلف ج 2 ص : 320.

(195) السلوة ج 1 ص 121.

وورد ذكر محمد بن علي بن العربي وعبد الوهاب الذين كانا قاضيين في القصر الكبير بالتناوب نصف سنة لكل واحد وذلك عام 1205هـ وورد في وثيقة أخرى ضمن وثائق لم تنشر له (لمحمد أخريف).

وورد إسم محمد بن العربي قاضي القصر الكبير عام 1206هـ، كان عدلا بفاس.

- محمد بن علي الخطيب : القصري "955هـ/1549م"(196) كان عدلا بفاس (لقط الفرائد ص 28 درة الحجال ج 2 ص 189).

- محمد بن علي القصري(197)

وهنالك محمد بن علي القنطري بأعمال إشبيلية درس التفسير بالجامع الأعظم عام (1000هـ) أخذ عنه أبو المحاسن الفاسي حارب البرتغاليين وتوفي في معركة (الفتوح بفاس خلال مواجهة زيدان لابن أخيه عبد الله عام 1018، وقد أشارالحضيكي في طبقاته (ج 2 ص 94 إلى محمد بن علي صاحب عمر بن الخطاب الزرهوني وتلميذ أبي المحاسن الفاسي وهو دفين خارج باب سبتة.

- محمد الطيب بن علي الحسني "بخارق" القصري "1167هـ/1754م" كان وراقا(198).

- محمد بن عمر بن ابراهيم الملالي : من الملاليين وهي إحدى جماعات دائرة جبالة ومنهم محمد الملالي قائد القصر الكبير قبيل الاستقلال.

- محمد بن الفقيه المستاري محتسب القصر الكبير عام 1252هـ.

- محمد بن قاسم البادسي : ولد بفاس فلكي مؤقت أديب لغوي 1341هـ/1922م انتقل إلى الجديدة ثم عاد إلى فاس ثم القصر الكبير حيث تمتع بحظوة كبيرة عند الناس وعند القائد بوسلهام الرميقي، وكان يتعصب للمذهب الوهابي وينكر على الطرق زيارة الأضرحة، فأفتى بعض الفقهاء بإبعاده فاضطر إلى الانزواء في ضريح أبي عسرية الفاسي بحومة القطانين(199).

---

(196) (الجدوة ص : 151) راجع محمد بن علي القصري (عنوان الدراية ص: 108).

(197) الدراية ص : 108.

(198) تاريخ الوراقة للمنوني ص : 119.

(199) إتحاف المطالع لابن سودة / معلمة المغرب محمد حجي ج 3 ص : 990.

- محمد بن علي بن قاسم القنطري : القصري أصلا ومنشأ والفاسي وفادة شاعر مجيد مدرس للعلوم بالقصر منفرد بالتفسير بُلي البلاء الحسن في الجهاد له نظم على الحكم العطائية أخذ عن رضوان الجنوي وأبي المحاسن[200].

- محمد بن محمد الدغاي : توفي في الستينات كان مدرسا في المعهد الديني وتولى خطة العدالة.

محمد بن يوسف الترغي المساري : توفي بفاس عام "1009هـ/1600م" عنه انتشرت القراءات في المغرب[201].

محمد القصري : النحوي المكناسي 1327هـ/1909 من ذرية الشيخ عبد الله القصري، صاحب المزارة بمكناسة الزيتون[202].

محمد الأشقر السبتي : أستاذ مقرئ انتقل لتجويد القرآن من "سبتة" إلى القصر الكبير ثم فاس وأغمات حيث شارك ثلاثة أعوام "القرن السادس"[203].

محمد البغدادي : اسم مستعار اتخذه المغامر الإسباني خوسي José Maria de Murgay Mogarlegui زار المغرب مرتين وهو يرتدي جلبابا مغربيا مدعيا أنه اعتنق الاسلام، وكان قد تعلم العربية خلال مقامه بباريس، قام بدور العطار المتحول ودامت رحلته من 1863 إلى 1866 حيث زار طنجة وأصيلة والعرائش والقصر الكبير وسلا والرباط ومكناس وفاس وفي عام 1866 عاد إلى اسبانيا وحرر كتابه (ذكريات مغربية) Recurdos Marroquies (طبعة بلباوا Bilbao عام 1868م)، وله رحلة ثانية إلى المغرب عام 1872م. وقد تحدث في كتابه ذكريات عن المرتدين وتاريخ العلويين ومعركة وادي المخازن وبني حيفة "اليهود"[204].

- محمد بوعسرية : المصباحي القصري "1361هـ/1942م".

- محمد الزواقي : أخو أحمد كان قاضيا بالقصر الكبير توفي عام 1346هـ.

- محمد الساحلي : تولى خطة العدالة كان كاتبا للباشا الملالي.

---

(200) (نشر المثاني) من موسوعة أعلام المغرب ج 3 م 1169.

(201) السلوة ج 3 صك 284 / الإعلام للمراكشي ج 4 ص : 209 (الطبعة الأولى).

(202) الإعلام للمراكش ج 7 م 53 (طبعة 1975) .

(203) الجذوة ص : 134.

(204) ابن عزوز محمد حكيم.

- محمد الغماري : المعروف بالمداغ قاضي القصر الكبير.

- محمد القصري : الوصي المريني على فاس[205].

- محمد القصري العبدري[206] : توفي بمكناس عام 1324هـ/1906م.

وورد في الإعلام للمراكشي اسم محمد القصري النحوي المكناسي المتوفى عام 1327هـ وهو من ذرية الشيخ عبد الله القصري صاحب المزارة بمكناس.

- محمد المرير التطواني : قاضي القصر الكبير عام 1929 على رأس الأربعين داود (ص 1 ص 21).

- محمد الناصري : علامة خليفة القاضي وناظر الأوقاف وخطيب بالجامع السعيد من تلاميذ ابن يرمق محمد.

- مسرور : "الباشا" عامل القصر الكبير عينه الأمير محمد بن عبد الله أيام خلافته[207].

- مسعود بن سلطان : أقام مع رياح "وهم بطن من هلال" في بلاد الهبط إلى عام 590هـ بعد ان نقلهم المنصور الموحدي عام "584 هـ" من القصر الكبير إلى أزغار.

- مصطفى الشتيوي : قائد فرقة المدفعية في معركة وادي المخازن[208]

- المكي القصري : أحد شيوخ محمد بن عبد السلام بنعبود المكناسي السلاوي "1344هـ / 1923م"

- مندوسا : Jerénimo de Mendoça شارك في معركة وادي المخازن وأقام بعد ذلك في فاس ومراكش وكتب "يومية افريقيا" Jornada de Africa التي صدرت في لشبونة عام 1607 تحدث فيها عن المعركة وسوابقها وعواقبها المباشرة، وهو مصدر لمعظم من كتب عن وادي المخازن وعصر المنصور السعدي بعد المعركة، وقد تحدث عن البرتغاليين الذين امتحنوا بمراكش عام 1585 وصنف كتابه قبل وفاة فليب الثاني "1598" وهو نفسه ينقل عن تاريخ الشرفاء وعن مارمول وكذلك عن Diego de Torres, Historia de los Xarifes

---

(205) دوكاستري - السعديون- س أ – م ا .ص : 149.

(206) وثائق ونصوص لمحمد المنوني ص : 149.

(207) تاريخ الضعيف ص : 157.

(208) دوكاسري فرنسا ج ا ص : 57.

- المهدي الطود : من المدينة شاعر أديب أول مدير للمعهد الديني بالعرائش.

- المجول محمد : القصري قال صاحب ممتع الأسماع : كان صاحب غيبة توفي في العام العاشر من العشرة السادسة، أخذ عن الشيخ محمد بن علي البقالي دفين الحدائق من بلاد غصاوة والاخماس[209].

- مولاي سلامة بن السلطان محمد بن عبد الله حارب أخاه اليزيد كأمير للقصر الكبير (الضعيف أحداث 1205هـ).

- الهاشمي بن عبد المجيد بن محمد الخطابي : من "خطاطبة أبي الجعد" فقيه صوفي كان مؤدبا، أخذ الطريقة الدرقاوية على الشيخ ابي بكر بناني، وهو ليس بقصري ونسبته راجعة لكون المولى سليمان وجه جده الأعلى محمد الخطابي إلى الخلوط بحوز القصر الكبير لإقراء العلم فمكث هناك، فصار يعرف بالقصري وقد توفي عام 1327هـ ودفن بالزاوية البنانية بالسويقة[210] وهو شاعر تصوف على يد الشيخ ابي بكر ويقول في مدحه :

يا فتح قد حزت السيادة والعلى بوئت من أعلى المكارم منزلا

(مجالس الانبساط – دينية – ج 2 ص 291).

- الهبطيون : ذكر الشيخ الرهوني في الجزء التاسع من عمدته "وهو عبارة عن فهرسة ضمنها مع الجزء العام ترجمة شيوخه، ان الهبطيين ثلاثة بفاس أولهم محمد بن أبي جمعة الصماتي المتوفى بفاس عام 930هـ، وليس هو صاحب وقف القرآن والثاني صاحب الوقف وهوأيضا محمد بن أبي جمعة الهبطي دفين رأس القليعة بفاس توفي عام لقياه لقطب عصره سيدي محمد بن يوسف السنوسي، قرأ عليه قوله تعالى "**قل الله أذن لكم أم على الله تفترون**" فوقف على لكم وأبى الهبطي الوقف عليها فكرر السنوسي الوقف ورفع بصره الى السماء فغاب حدسه لأنه في اللوح المحفوظ ما قاله الهبطي فأذعن له.

الوافي البقالي : راجع البقالي

- الورياغلي عبد الله : "الورياكلي حسب الاستقصا" كاد أن يبلغ درجة الاجتهاد أو بلغها في زمانه كان يقرأ المذاهب الأربعة وينتصر لمذهب مالك وكان يدرس العلم بمدرسة كتامة يقضي ويفتي به في سائر البلاد الهبطية وكان سكناه بالمدرسة كان يشتغل

---

(209) نشر المثاني في موسوعة أعلام المغرب ج 4 ص: 1439.

(210) مجالس الأنبساط ص: 291.

بالتدريس ربيعا وشتاء ويخرج صيفا وخريفا للرباط في ثغور قبائل الهبط لحراسة المسلمين ويرى صاحب السلوة[211] أنه كان قاضيا في قصر كتامة وروى صاحب الاستقصا[212] أن الشيخ الورياكلي عزم على الرحلة الى بلاد المشرق لطلب العلم فقال له شيخه ابن مرزوق "شارح مختصر خليل" ليس أمامك أحد أعلم منك فرجع.

- يحيى بن خلف السبتي : أصله من بصرة المغرب رحل إلى المشرق وحدث كثيرا ودخل الأندلس مجاهدا وتاجرا وتوفي بسبتة[213]

- يحي بن علال القمري الخلطي من أصحاب عبد العزيز التباع له زاوية في تيزغري بأزغار توفي حوالي 450هـ الدوحة ص 126.

- يحيى بن محمد البرتغالي : أخو أبي العباس الوطاسي، كان أميرا للقصر الكبر وقد أسر في وقعة درنة من تادلا عام 952 هـ/1545م حيث مات بعد أيام منها غما[214]

- اليزيد بن المولد محمد بن عبد الله سلطان المغرب : في عام 1204هـ خرج المولى يزيد من ضريح سيدي علي بوغالب بالقصر الكبير حيث كان محترما بعد وفاة والده فامر بنهب اليهود حيثما وجدوا وكان يكرههم كما يكره النصارى، وكانت أمه علجية اسمها "شهرزاد" وعندما بويع خرج على القصر وكان أخوه مولاي سلامة محترما أيضا بسيدي بوغالب[215]

- يعقوي المجلسي الغماري القصري أقرأ بسبتة القراءات السبع (توفي عام 912 هـ).

- يوسف بن عبد الرحمن جد سميه أبي المحاسن الفاسي نشأ بالقصر الكبير وهو أول من تلقب بالفاسي بسبب تتروده من فاس إلى القصر في التجارة (الصفوة ص 78).

- يوسف بن محمد بوعسرية : بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفهري القصري "1115هـ/1703م"[216] له زاوية بتطوان ومكناس.

- يوسف بن عبد الله .....من أعيان القصر الكبير (المقصد الشريف ص 95)

---

(211) السلوة (ج 2 ص 303).

(212) الاستقصا (ج 2 ص 1570).

(213) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ط: بحريط ج 2 ص: 61 . 1891. 1309 هـ.

(214) راجع مرآة المحاسن في ترجمة صاحب الكتاب محمد بن يوسف الفاسي.

(215) تاريخ الضعيف ص : 202 و205.

(216) عناية أولي المجد ص : 47 / الصفوة ص 173.

- يوسف بن محمد بن علي القسطلي القصري الفقيه (الأنيس المطرب في روض القرطاس ص 75).

- يوسف بن محمد بن يوسف الفهري القصري الفاسي

- يوسف بن يحي من علي سكن القصر وهو سلوي الأصل (ابن عبد الملك).

- يوسف البادسي القصري يعرف بابن الشقاق[217] وهو غير يوسف بن محمد بن عبد الله البادسي المعروف بابن الغماز الذي اعتزل بالرابطة الواقعة خارج مدينة باديس وتوفي عام 734هـ/1333 ببادس وقد نسب إليه "وصول العبد بالسمو إلى محل القدس العلو"[218]

- يونس بن عطية الونشريسي : قاضي كتامة "شيخ ابن الخطيب"[219]- يونس طربية : القصري تولى قضاء طرابلس الغرب والتدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة "641هـ/1243م"[220] خلفا لابن الخطاب المعروف بابن دحية.

يوسف أبو المحاسن بن محمد بن يوسف الفهري الأندلسي القصري (1013هـ /1604). السلوة ج 2 ص 306/المرآة ص 6/ الممتع ص 132/ الصفوة ص 127 النشر ج 1 ص 89/ الجواهر الصافية من المحاسن اليوسفية (خع 471) أنيسة المساكن بذكر أولاد الشيخ أبي المحاسن (وهي 150 بيتا توجد نسخة منها بالخزانة الفاسية بخط ناظمها عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي) وفي ضمن هذه الرسائل دراسات عن الأسرة الفهرية التي قطنت القصر الكبير حيث توجد مقبرة خاصة للأسرة، ومنهم عبد الرحمان بن محمد العارف وأحمد بن يوسف ومحمد المهدي ابن يوسف وغيرهم.

وقد أطلت في ترجمة ءال الفاسي في كتابي "موسوعة الاعلام الحضرية والبشرية".

- يطو بنت قائد القصر الكبير طلحة بن عبد الحميد العروسي تزوجت الأمير ابراهيم بن راشد "عام 916هـ/1510" والذي تولى إمارة الشاون كخليفة لأبيه علي "914هـ/922هـ"، ثم أميرا لها عام 946هـ، ثم حكم تطوان بين "925هـ/931هـ" ثم أصبح وزيرا للملك أحمد الوطاسي بفاس إلى أن توفي عام 946 هـ.

---

(217) المقصد الشريف ص : 54.

(218) (نسخة بمكتبة ابن عرضون) المعلمة المغربية ج 3 ص : 972 سعيد أعراب.

(219) النفح ج 7 ص : 271.

(220) الذيل والتكملة / تكملة الصلة ربن الابار ج 3 ص 741.

قضاة ومفتو القصر الكبير

- ابن ريسون الصادق بن محمد : قاضي قبيلة الأخماس ثم القصر الكبير عام 1333هـ.

- ابن عسكر محمد بن عبد الله بن عمر : "986هـ/1578م" قاضي القصر الكبير.

- ابن عطية يونس الوشريسي : قاضي قصر كتامة "القرن الثامن الهجري".

- ابن عمران عبد الكريم القصري قاضي مراكش.

- أبو بكر بن عثمان بن صالح المسراتي : قاضي أنفا وقصر كتامة وأزمور وحصن القاهرة بالأطلس.

- أبو بكر الشريف الادريسي : أبو يحى قاضي سبتة والقصر الكبير إلى وفاته عام 809هـ/1407م.

- أبو تميم المعز الزهيلي : قاضي قصر كتامة في عهد الموحدين.

- أحمد بن ابراهيم الجرفطي : مفتي القصر الكبير[1].

- أحمد بن عبد الرحمان التلمساني : قاضي القصر الكبير.

- أحمد الزواقي : قاضي القصر الكبير أخوه محمد "راجع محمد".

- أحمد الشدادي بن العلامة محمد قاضي سريف عام 1939.

- أحمد الطود : 1371هـ خليفة قاضي القصر الكبير إمام وخطيب مع الإفتاء. وهو أحمد بن عبد السلام الطود المنعوت بمالك القصر الكبير نظرا لتضلعه في المذهب تولى القضاء والإفتاء ونظارة الأوقاف توفي عام 1371هـ/1951م).

- أزيات محمد : بن عبد الله المدعو الفقيه قاضي القصر الكبير.

- أفيلال الحسن : بن المفضل التطواني قاضي القصر الكبير "حوالي 1358هـ".

---

(1) الدوحة ص: 31.

- فاتح أو فتح بن حمادة : القصري الشاعر ولد بالجزيرة الخضراء وانتقل الى القصر الكبير تولى قضاء أسيوط بمصر حيث توفى عام "663هـ/1265" وقد درس بالنظامية ومدرسة رأس العين.

- عبد الحق بن عبد الله المراكشي : القصري قاضي غرناطة ثم اشبيلية ثم تولى قضاء الجماعة. بمراكش "وفاته عام 631هـ موافق 1234م" مات والده التونسي الاصل بالقصر الكبير عام 586هـ.

- عبد الكريم بن عمران : القصري قاضي مراكش.

- علي بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بالمراكشي : الأقاوي الأصل قاضي القصر الكبير في العهد الرشيدي.

- علي نحشى : المتوفي عام "1325هـ" قاضي أصيلة والقصر الكبير.

- محمد بن أحمد الجابري : قاضي القصر الكبير.

- محمد بن الحسن ابن ميمونة الخمسي قاضي القصر الكبير والعرائش.

- محمد بن الطاهر بناني : فقيه يعرف بالقاضي بناني لتوليه القضاء مدة طويلة بالدارالبيضاء والقصر الكبير وكان من رجال الإفتاء إلى وفاته "عام 1346هـ/1928م"

- محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ التاودي : بنسودة قاضي قصر كتامة1299هـ.

- محمد بن العربي الإملاحي : خليفة قاضي القصر الكبير

- محمد بن الفقيه المستاري محتسب القصر الكبير عام 1252هـ

- محمد الدويري الفاسي : قاضي صفرو والقصر الكبير

- محمد الزواقي : أخو أحمد كان قاضيا بالقصر الكبير ت 1346هـ.

- محمد المجذوب العمراني القاضي محقق الفتوى

- محمد المرير التطواني قاضي القصر عام 1929.

- محمد الغماري : المعروف بالمداغ قاضي القصر الكبير.

- يونس بن طربية : قاضي طرابلس الغرب درس بدارالحديث الكاملية بالقاهرة

- يونس بن عطية الونشريسي : قاضي كتامة "الشيخ ابن الخطيب"

ولاة القصر الكبير

- إبراهيم بن محمد بن القاسم بن المولى إدريس صاحب مدينه "زهجوكة حول القصر الكبير"

- ابن تاكفت محمد بن يحيى المسوفي والي سبتة وقصر كتامة "عام 595هـ".

- ابن تودة رحو قائد بالقصر في عهد عبد الله الغالب.

- ابن تودة عبد الكريم بن رحو حاجب السلطان عبد الله الغالب سيطر على القصر الكبير في 984هـ.

- ابن تودة عبد الرحمن قائد أصيلا والقصر الكبير والعرائش في عهد عبد الله الغالب السعدي.

- ابن مخلوف عبد الله بن أبي مدين شعيب واضع العلامة وحاسب الخراج.

- أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله البرتغالي أمير القصر الكبير.

- إدريس بن القاسم بن إبراهيم صاحب كتامة قرب القص الكبير.

- إدريس الريفي : باشا أصيلا إلى عام 1931 خليفة الوافي البقالي القصري ثم في شفشاون مرتين.

- بوسلهام الرميقي : باشا القصر الكبير عام 1340هـ وتولى بعده ابن أخيه محمد الملالي الرميقي ثم الخمال ثم الباشا خالد الريسوني ومن الرميقيين عبد السلام باشا ومحمد الرميقي المالكي باشا القصر الكبير.

- بوشتى ابن البغدادي الجامعي : باشا القصر الكبير وعامل وجدة عام 1291هـ.

- الحكماوي : عامل طنجة والعرائش والجبل والقصر الكبير وما والاه، وهو غير ابراهيم الحكماوي عامل الصويرة.

- طلحة العروسي قائد القصر الكبير في العهد الوطاسي وهو مؤسس حركة المقاومة ضد أصيلا المحتلة عام 1471 كما قام بعد البرتغاليين عن القصر الكبير Bernardo Rodrigues Anaes de .....

- عبد الكريم الكتامي : مؤسس قصر كتامة أو القصر الكبير.

- عبد الله بن علي القصري : عامل سلا وحاكم رباط الفتح.

- عبد الله الجباري وال بالقصر الكبير في العهد السليماني.

- عبد الواحد بن طلحة العروسي : من امراء بني عبد الحميد أصحاب قصر كتامة وكان قائدا للقصر الكبير في عهد السلطان محمد بن محمد البقالي الوطاسي.

- علي بن عبد الله الحمامي : قائد تطوان والقصر الكبير.

- عمر بن حدو اليطوتي قائد القصر الكبير عام 1090

- القائد العياشي قائد شفشاون وعامل القصر الكبير.

- قاسم بن إدريس بن ادريس والي البصرة.

- قاسم بن ادريس الخلطي قائد القصر الكبير.

- مسعود الطود محتسب القصر الكبير في عهد عبد الملك بن المولى إسماعيل.

- مسرور : "الباشا.." عامل القصر الكبير في عهد محمد بن عبد الله.

- مولاي سلامة بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله أمير القصر الكبير.

- يحيى بن محمد البرتغالي : اخو العباس الوطاسي كان أميرا للقصر الكبير.

مراحل الاحتلال البرتغالي

تبلورت أطماع البرتغال في شواطئ المغرب بصورة خاصة وصفها "جان موكى"[1] وانصب حديثه خاصة على جنوب المغرب الذي شبهه ب El dorado "البلد الاسطوري الثري في أمريكا" وكانت البرازيل قد أصبحت منطقة نفوذ برتغالي أقيمت فيها أسواق النخاسة لبيع الأفارقة المختطفين وقد أكد " فاسكو دو كارفالهو Vasco de Carvalho في رسالة حول السطو البرتغالي على المغرب أكد فيها أن منطقة الغرب عرفت هي أيضا حروبا صليبية ضد المسلمين في الجزيرة باركها البابا كما بارك الحروب الصليبية في الشرق وقد هب متطوعون من جميع الأجناس للمشاركة في هذه الحملة، ومن بينهم على سبيل المثال هنري دوبوركوني Henri de Bourgne من حفدة روبير الثاني ملك فرنسا وهو الذي عمل على طرد مسلمي الأندلس إلى أقصى الجنوب إذ بعد استرداد العدو لمدينة لشبونة عام 1147م استمر الصراع نحو مائة سنة إلى عام 1250م حيث استرجع مجموع الغرب Algarve فاستقرت البرتغال منذ ذلك في حدودها الحالية وظلت غرناطة في قبضة بني الأحمر وبعد غزوهم طريفة عام 1340م بدأ العدو يفكر في احتلال سبتة التي كان لها فضل الإشراف على الزقاق مع جبل طارق وبدأت البرتغال تنتعش بسبب موقع مرساها بين ايطاليا والفلاندر، بل نافست البندقية في حركتها التجارية لاسيما بعد إنشائها أسطولا اتجه نحو احتلال سبتة التي كانت في نظرهم منطلقا لغزو الأندلس ولا تزال موردا لإمداد غرناطة بالرجال والعتاد، هنا تم احتلال سبتة عام 1415م بمدد عسكري من الفرنسيين، والانجليز، الذين نقلتهم إلى المنطقة خمس سفن مشمولة بالجند ضمن 242 سفينة، هبت من مرسى لشبونة للمرابطة في مرسى الجزيرة الخضراء ثم الانقضاض "يوم 21 غشت 1415" على سبته.

وقد رأى الصليبيون في احتلال هذا المركز الاستراتيجي منطلقا للعصور الحديثة عصور الكشوف العلمية والكونية، ورغم هذه المفاجأة المريرة هب بنو الأحمر بعد ثلاث سنوات "عام 1418" لمهاجمة المدينة السليبة حيث حاصروها برا و بحرا.

---

(1) Jean Mocquet في رحلته إلى افريقيا وآسيا والهند طبعت ثلاث مرات (1617-1645-1665).

وكانت البرتغال تطمع في الخيرات الإفريقية من حيث يوجه الذهب عبر السودان نحو تونس ومصر، بالاضافة إلى بلاد الهند التي كان الإسلام جاثما في ربوعها، كل ذلك حدا البرتغال إلى التفكير في وضع اليد على جيوب مغربية كمنطلق نحو جنوب إفريقيا ومنها إلى آسيا، فبدأوا بطنجة عام 1437 وكانوا يسابقون اسبان قشتالة المتغمرين في معركة غرناطة وقد تحاشوا الساحل الذي رابط فيه المغاربة للدفاع عنه واختاروا طريق وادراس وتطوان التي حطموها قبل الوصول يوم 3 أكتوبر 1437 الى مشارف طنجة مع محاولة تشتيت قوات الجيش المغربي بإثارة مناوشات في القصر الصغير وأصيلا، وكانت طنجة آنذاك تحت حكم والي سبتة السابق، ولم تمض سوى أيام حتى توارد المدد للدفاع عن طنجة حيث اتجه ما بين أربعين وخمسين ألف متطوع هبوا من قلب المغرب وخاصة من الشاوية، فانهزم البرتغاليون واحتفظ المسلمون ببعض قادتهم رهانا فكانت أول نكبة مني بها البرتغال داخل المغرب حتى فكر في التنازل عن سبتة لتحرير بعض أسراه من القادة والأمراء ولكن البرتغال لم تتنازل عن سبتة وظل الأمير "فرديناند" أسيرا بفاس نحو ستة أعوام حيث قتل وعلق رأسه في "باب الدكاكين" فكان في ذلك نكبة ضد الغزو البرتغالي الذي كاد يفقد أطماعه في القارة الإفريقية، ولكن تواطؤ الصليبين حداهم إلى تجاوز الهزيمة لمواصلة سحق الفكر الإسلامي في العالم وفتح المجال لانبعاث المسيحية وحماية الحضارة الأوربية المهددة، لاسيما وأن الأتراك كانوا آنذاك قد بسطوا نفوذهم في البلقان مواصلين كفاحهم ضد السربيين والهنغاريين، غير أن الأستانة سقطت هي الأخرى تحت ضربات الأتراك "يوم 29 ماي 1453" مما حدا البابا إلى مزيد من الدعم للحركة الصليبية التي أفل نجمها ومعها الوحدة الأوروبية، غير أن البرتغال ظلت وحدها في الميدان توالي ضرباتها ضد الأتراك بدءا بالمغرب فهب "يوم سابع عشر أكتوبر 1458" أسطول برتغالي مكون من 280 قطعة وخمسة وعشرين ألف رجل للانقضاض على المغرب من جهة القصر الصغير نظرا لمناعة طنجة التي كانوا يأملون الوصول إليها عن طريق قصر المجاز "القصر الصغير" وتم الهجوم على هذه المدينة الحرة يوم 23 من نفس الشهر فانتفض سلطان فاس لمهاجمتهم طوال شهري نونبر ودجنبر، ثم عاد في العام التالي ولكن البرتغاليين كانوا قد حصنوا أنفسهم خلف الأسوار تحت إمرة حاكمهم الدون دوارت Don Duarte de Menezes. وبعد هذا الانتصار حمل ملك البرتغال الفونس الخامس لقب الافريقي مما حداه إلى الكرة من جديد على طنجة عام 1463 ثلاث مرات انطلاقا من القصر الصغير ولكن الحامية المغربية تصدت للغزاة فمات منهم مائتان حسب المصادر البرتغالية، ولم ييأس البرتغاليون

في مواصلة الغزو فاحتلوا أصيلا بأربعمائة قطعة حربية وأربعة وعشرين ألف رجل رغم هبوب مولاي الشيخ لإنقاذ المدينة ولكن فوضى الدفاع المغربي حدت رجالات أصيلا إلى إخلائها وتبعتها العرائش ثم طنجة وأنفا وباقي الشمال المغربي إلى شواطئ الجنوب الأقصى، وقد حسب البرتغاليون أنهم نجحوا في أطماعهم التوسعية فبدأوا يؤسسون التحصينات كالحصن الذي اعتزموا إقامته باسم كراسيوزا Graciosa عام 1489 بين العرائش والقصر الكبير ولكن السلطان وقف في وجههم بتحصين القصر لقطع طريق فاس على العدو فهاجم التحصينات وتوقف البرتغاليون عن البناء بإذن من لشبونة، وهنا اتجه البرتغاليون إلى تعزيز أسطولهم جنوبي المحيط الأطلنطيكي لمواصلة الكشف عن الأراضي الإفريقية والوصول إلى الهند مع العمل على إبعاد إسبانيا عن ذلك بعد معاهدة طوردوزيلاس Traité de Tordesilles على أن الملك "يوحنا الثاني" كان قد شعر بوجود قارة جديدة وراء المحيط قبل رحلة كريسطوف كولومبس لكن دورات Duarte Pacheo سبقه إلى البرازيل وهنا توالت حركات الاحتلال للجيوب المغربية فسطا البرتغاليون على أكادير عام 1505 والصويرة عام 1506 وأسفي عام 1508 ثم ازمور عام 1513 والجديدة عام 1514.

معركة وادي المخازن

كان من أسباب معركة واد المخازن هبوب الأمير المخلوع المتوكل ضد الأمير عبد المالك للعودة إلى العرش بمساعدة البرتغال التي كان لملكها الشاب الدون سيبستيان Sebastien أطماع في المغرب فأراد استيئناف سياسة البرتغال العدوانية بافريقيا ضد ما وقع في عهد يوحنا الثاني "1521م-1557م" الذي تنازل عن سبتة وطنجة والقصر الصغير لتوجيه ضرباته إلى البرازيل بعد اكتشاف القارة الامريكية، وكان سيبستيان تواقا إلى أن يصبح فارس الدعوة الكاتولكية ضد البروتستانت والمسلمين معا، وقد شبت المعركة يوم رابع غشت 1578 بناحية القصر الكبير والعرائش واصيلا بين واد لكوس ورافده وادي المخازن، وقد ظهر في المعركة مدى بطولة ودربة الجيش السعدي وعدم تجربة العسكر البرتغالي حيث انتصرت خيالة عبد المالك على جنود الدون سبيبستيان، فمات ثلاثة ملوك عبد المالك والمتوكل وسبيبستيان فضمت البرتغال بعد موت ملكها إلى إسبانيا وملكها "فيليب الثاني" واعتلى عرش المغرب أحمد السعدي الذي لقب بالمنصور فخطبت وده الدول الأوربية وأغدقت عليه غنائم المعركة أموالا طائلة فلقب بالذهبي، وهنا توادرت الوفود الأوربية لتهنئته ورابطت السفن الأجنبية في مراسيه فاغتنم المغرب الفرصة لتطوير علاقاته التجارية.

أما البرتغال ومن قاتل حولها فقد صعب عليهم التسليم بموت الملك الشاب، فروجوا أخبارا تزعم أن الشاب لا يزال حيا وأن جسده قد صعد إلى السماء، واستمرت الأسطورة قرونا وانتظر المهوسون أن يعود سبيبستيان من السماء مع المسيح عليه السلام، وكان الغرض من كل ذلك تغطية هزيمة البرتغال في المعركة وتأجيل سقوط البرتغال في قبضة فيليب الثاني ومسح آثار مقدرة المسلمين على تحقيق النصر على المسيحيين، ولكن الوثائق جاءت لتؤكد ان سيبستيان قد قتل فعلا وأن جثته قد سلمت من طرف السلطان احمد المنصور عن طريق عامل سبتة التي كانت خاضعة للبرتغال وتشهد بذلك الوثيقة المنشورة أسفله.

وقد وصف لنا المعركة ضابط في جيش سيبستيان لاحظ ان المسلمين المنتصرين واصلوا زحفهم وأنهم طوقوا فرسان ورجال الخصم فقتل وأسر منهم الكثير وخسروا

عددهم من بارود وعتاد أحرقوها عندما صوبوها ضد زملائهم للاستيلاء على عربات الفرار، فاختل نظامهم وتكدس بعضهم فوق بعض من فرط الزحام وشدة الاصطدام، وكان عدد جند البرتغال ثمانية آلاف لم تفدهم قواهم شيئا وتوجهوا نحو "أصيلا" ساقطين في معظمهم ضحايا سيوف وبنادق الخيالة المغربية، وظل الملك الشاب يقاتل وحده وسط سبعة أو ثمانية من جنود طنجة الذين بقوا ملتفين حوله حتى هوى صريعا من صهوة فرسه بعد أن تكتل نحو الستين من الجند المسلمين لقتله وطارد المسلمون البرتغاليين إلى أن أظلم الليل فكان حظ جميعهم القتل أو الأسر. وظل موقف الباب العالي معاديا لأن العثمانيين لم يرضهم تفوق القوة المغربية في ساحة القتال فاستعدوا لمجابهة السلطان الجديد الذي استطاع أن يهزم دولة كانت تحتل البرازيل والهند وافريقيا علاوة على احتلالها لسبتة عام 1415 وللقصر الصغير عام 1458 ثم طنجة وأصيلا عام و1471 ومليلية 1497 وغيساسة 1506 وبادس 1507، بل كانت تقف حاجزا منيعا في المضيق دون تواصل المغرب وغرناطة التي سقطت عام 1492 تحت ضربات ايزابلا الكاتوليكية، غير أن هزيمتهم في معركة واد المخازن عام 1578 أفقدتهم بعض مراكزهم على شاطئ المحيط عدا الجديدة وطنجة وسبتة، والذي أغاظ الأتراك بعد انتصار المغرب أن أسطولهم انهزم في البحر المتوسط في معركة ليبانطي "lépante" التي انتصر فيها بحل "شارل الخامس" "الدون جوان النمسا" عام 1571 أي قبل معركة واد المخازن بسبع سنوات كما انهزموا قبل ذلك في معركة واد اللبان عام 1558 بعد أن انطلقت جيوشهم من الجزائر ضد المغرب، وقد شعر الأتراك بان المغرب قد تمكن من السيطرة على الجيش البرتغالي العتيد الذي بلغ عدد رجاله مائة وعشرين ألفاً فيهم نبلاء البرتغال ومرتزقة من مختلف الأجناس بالإضافة إلى 1.300 مركب شراعي، في حين كان الجيش المغربي يضم سبعين ألف فارس وثلاثين ألف راجل واثني عشر ألفا من الرماة مع أربعين من المدافع والأنفاض، وقد اختلفت المصادر العربية والبرتغالية حول هذه الأعداد مقتصرة على 60.000 برتغالي.

غير أن المنهج العسكري الرصين الذي سلكه الأمير أحمد السعدي هو الذي أطاح بطليعة الجيش البرتغالي حيث قطع عليه فوج من الفدائيين طريق الانسحاب جنوبي واد المخازن، وكان "سيبستيان" يحمل في حقائبه إكليلا كان ينوي أن يتوج ملكا للمغرب بعد الانتصار لأنه رأى في هذه المعركة حملة صليبية تستهدف تنصير المغرب ثم سائر بلاد الشرق، وقد وقع في الهوة التي احتفرها فقتل وضم "فيليب الثاني" البرتغال إلى إسبانيا بعد

سنتين إلى عام 1640 فلم تستطيع البرتغال أن تستعيد المجد الذي فقدته في بسيط وادي المخازن.

والواقع أن إسبانيا كانت تذكيها منذ أواخر القرن الرابع عشر أطماع في المغرب لاسيما بعد أن احتلت الجزر الخالدات عام 1403 وتفاقم نزاعها مع البرتغال في هذا الصدد، غير أن تدخل الفاتكان صالح بين الجانبين لأن الفرصة كانت فريدة وهي تاجيج الحرب الصليبية من جديد ضد الإسلام في إفريقيا وهو ما وقع عام 1509 عندما أمضى الجانبان "معاهدة سنترا Traité de Cintra" متفقين على طريقة اقتسام المغرب بينهما، فكان لإسبانيا نصيب احتلال الشاطئ المغربي ابتداء من بادس نحو الشرق ومن ضمنها ميليلة وغيساسة، وناب البرتغال ما امتد من بادس غربا إلى بوجدور عدا سانطاكروز التي ظلت في قبضة الإسبان.

فليس من العبث إذن أن تنهزم دولة مثل البرتغال التي كان أسطولها يمخر عباب البحار خاصة على الشواطئ الافريقية منذ عام 1460 بزعامة Henri le Navigateur ثم الفونصو الخامس بل وصل هذا الأسطول إلى مياه الخليج العربي الفارسي والمحيط الهندي مطوقا القارة الافريقية من جهة الجنوب، وقد نتج عن انهزام البرتغال في المغرب اضطرارها للعدول عن احتلال الخليج العربي الذي واصل رجاله الجهاد للتحرر من ربقة الاستعمار الغربي الذي كان يطمع من احتلال فلسطين وبيت المقدس، وكانت البرتغال قد قامت منذ عام 1415 بأول حملة ضد المغرب بإمرة الملك يوحنا الأول أدت إلى احتلال سبتة لأنها كانت تعيش في ضائقة ترابية تضغط عليها جارتها قشتالة فرغبت في مد حدودها على حساب المغرب لاسيما وأنها كانت تطمع أيضا في ثروات المغرب الفلاحية وفي اتخاذه قاعدة للإنطلاق في غزو القارة بكاملها، على أن اسبانيا كان لها نفس الأطماع حيث أصبحت أول دولة أوروبية بعد امتلاكها غرناطة عام 1492 وهنا بدأ عصرها الذهبي فامتلكت جزءا من أمريكا بعد اكتشافها بل إن "شارل كين" "شارل الخامس" ثم نجله "فيليب الثاني" نقل الحرب إلى أقطار مختلفة من أوروبا باسم الكاثوليكية ونصبا نفسيهما زعماء المسيحية ضد الخلافة العثمانية وكان احتلال الأتراك لجزء من الشمال الافريقي يخز في نفوس السعديين الذين بدأوا يجرؤون على ملاحقة السلطات التركية داخل الجزائر فنتج عن ذلك حالة تأزم خطيرة في الحدود الغربية مع الجزائر حيث أصبح الأتراك يدسون ويحيكون المؤامرات متجاوزين حدود الجزائر إلى الريف، وقد حدتهم انهزاماتهم المتوالية إلى

نهج سياسة تقارب مع السعديين يضربون أدعياء العرش بعضهم ضد بعض، ولكن السعديين كانوا يحترسون مع الاستفادة من تجارب الأتراك عسكريا وإداريا على أن الإسبان الذين حاربوا تدخل الأتراك في الشمال الافريقي اضطروا إلى قبول استيلائهم على كل من تونس والجزائر ولكنهم قاوموا بشدة وصول الأتراك إلى ضفاف مضيق جبل طارق فكان الإسبان يمدون اليد إلى السعديين مخافة تحالفهم مع الأتراك.

ولكن المنصور عرف كيف يستفيد من انتصاره فعزز علاقته السياسية والتجارية مع دول عظمى مثل انجلترا التي وجهت وفودا رسمية بل حاولت القيام مع المغرب بحملة مشتركة في الهند وأمريكا الجنوبية فعين السلطان أول سفير له بلندن هو مرزوق الرايس.

وحق لثلة من الشعراء التنويه بانتصار المغرب في هذه الوقعة الصليبية التي خاض غمارها بتبريك بل بدعوة من الفاتكان وآلاف المرتزقة من مختلف الأجناس الذين كان همهم تأجيج أوار الصليبية من جديد في أرض افريقيا وقد أطر هذه الكتائب رجالات أفذاذ لم تشر المذكرات إلى الكثير منهم، ولكن الأسر فضح بعضهم فالوثائق الأجنبية قد سكتت عن دور جنود انجليز في المعسكر البرتغالي عدا ستوكلي Stukley وكذلك السفير الأسباني مندوزا Mendoza وقد أخبر فيليب الثاني في رسالة بوجود هذه العناصر[1]

ومن جملة أسرى معركة وادي المخازن نجل الدوق دوبراكانس Duc de Bragance وهو ثالث ثلاثة كانوا يطمحون لعرش البرتغال زيادة على الدون أنطونيو وملك اسبانيا وكان براكانس هذا محظوظا عند الوصي هنري والجزويت وبعض النبلاء ولذلك كان البرتغاليون يخشون أن يطالب المغرب بالمراكز المحتلة فدية للأمير الشاب[2] حسب رواية بطلها هو Stukly الذي كان المشرف على جيش الإيطاليين وعدده 600 جندي في معركة وادي المخازن[3]

---

(1) السلسلة الأولى السعديون ج 1 ص : 339. (من الوثائق الغميسة لدوكاستري).
Peele ,la Bataille D' Alcazar, 1594 .354 : السعديون ج 1 ص (2) (دوكاستري) س أ
(3) ابراهيم شحاتة : وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ، الدار البيضاء 1972 - محمد الخريف : اطلالة على أولياء من القصر الكبير مارس 1989- القصر الكبير قاعدة بلاد الهبط نشره، مجموعة البحث حول جبالة - محمد بوخلفة : الطريق لمعرفة القصر الكبير 1972 تطوان - محمد بن عبد الرحمان بن خليفة (اعلام أدبية وعلمية وتاريخية) طبعة القصر الكبير 1994- وادي المخازن (معركة)
E.W.Bovill, The Balte of Alcazar .An account of the defeat of Don Sebastian of Portugal at El ksar El kébir. London 1952 (198 p)

Penzoldt, Ernst 1930 المعركة البرتغالية مونيخ
- حديث عن معركة وادي المخازن 1578 وما ظهر بعدها من قصص وخرافات اعتقدها المسيحيون.

كتبها بعد عودته من المغرب إلى هولاندا بطلب من الولايات العامة وهي صفحة متماسكة من تاريخ المغرب في عهد المنصور السعدي إلى عام 1609 أي بعد هزيمة وادي المخازن وتعقب مولاي زيدان خصومه من وادي أبي رقراق إلى القصر الكبير وفاس[4]، ولاحظ نيتو في رحلته حول معركة وادي المخازن[5] أن المولى عبد المالك كان يتكلم الاسبانية ويكتبها بسهولة كما كان يتقن الايطالية والتركية واشتهر في اللغة العربية كشاعر كما أكد "أكريبا" أنه كان يعرف حتى الارمينية والصقلية[6]، واستتب نفوذ الأمير عقب وفاة والده "923هـ" فشمل مراكش إثر"درعة" و"السوس" بعد القضاء على الناصر ابن شنتوف عامل المدينة وكان الأعرج قد تولى ولاية العهد (918هـ) وظل السعديون يواصلون الجهاد إلى أن زحف على مراكش فانهزم في التحام شديد بتادلا (942هـ) واتسعت شبكة المملكة السعدية في الجنوب، ولكن التاريخ أبى إلا أن يعيد نفسه، فاختلف الاخوان الأعرج ومحمد الشيخ المهدي الوزير المستخلف بالسوس فاستقل هذا بالملك (946هـ) وزج بأخيه في غياهب السجن، واكتمل تحرير الثغور الجنوبية باحتلال فونتي (947هـ) واختطاط مرساها "اكادير" ثم الدخول إلى أسفي وأزمور (948هـ) اللتين نزح عنهما البرتغاليون، وكذلك إخضاع مراكش الحيرى التي ظلت متأرجحة بين السعديين والوطاسيين.

وفي هذه الفترة وقعت مهادنة بين الوطاسيين والسعديين (942-955هـ) استغلها هؤلاء لتعزيز تحالفهم مع صنهاجة الدلائيين بالأطلس الأوسط وأمراء هنتاتة بالأطلس الكبير، وبعض صوفية الريف الذين خذلهم الوطاسيون في حركة الجهاد ضد البرتغاليين.

---

(4) راجع وثائق دوكاستري- السلسلة الأولى السعديون ف 1 من 463-482 عام 1906.

وغوت تسايت (يوهانس) Gutezeit, Yohannes (الفرار من المغرب مشيا على الأقدام) طبعة Dresden 1912. (16 فصلا حول سلطان المغرب وعن الحياة بفاس وتنظيف الشوارع وحيانة بنموسى والقصر الكبير ورأس أشقار وطنجة).

John Harrison ; 8 relations au Maroc entre 1610 et 1632.

Muley Abdal Malek; the late King of Barbare. De Castries, S. I. Saadiens T. 3, p. 137 – 151 (1935)

Michaux – Bellaire – E – Salmon, G.

El Qçar El Kebir : une ville de province au Maroc, Arch. Mar. 1904.

(5) دوكاستري س- أ - السعديون ق 2 ج 1 ص : 503.

(6) راجع رحلة أكريبا في Universelle 1926 Hiotone وكل ما كتب نيتو دقيق مطابق لما كتبه الإفراني.

وقد ظهر السعديون بمظهر أبطال الجهاد الأشاوس وذاع صيتهم في طول البلاد وعرضها فأحبهم الناس.

وقد حاول خلفه عبد الله الغالب عند مقتل والده عام 965هـ/1557م الزحف ضد البرتغاليين في البريجة "الجديدة أو مزغان" في نفس السنة بقيادة ولده "المسلوخ" فمني الحصار بالفشل وبعد وفاة الغالب تولى ولي عهده (محمد المتوكل) (981هـ/1574م).

وقد واجه منذ اعتلائه العرش مشكلة خطيرة هي وجود عميه "عبد المالك وأحمد" في القسطنطينية لاجئين عند السلطان سليم يستحثانه لإمدادهما بالجيش والعتاد لاعتلاء أريكة المغرب الأقصى، وقد امتاز مولاي عبد الملك بأصالة في الرأي نتجت عن تقلباته في الخارج واحتكاكه بشتى الحضارات التي كانت تتفاعل إذ ذاك في الامبراطورية العثمانية حيث أجاد الاسبانية والايطالية والتركية.

وبعد مبايعته بفاس اتجه نحو مراكش في جيش جديد تعزز قوامه بالفاسيين والأندلسيين والأتراك وجزائريي "زواوة" وعرب. واصطدم الأميران في "وادي الشراط" فانهزم المتوكل، وسار الأمير أحمد في اعقابه إلى مراكش فانحاز إلى الأطلس بينما دخل أبو العباس إلى المدينة وتبعه أبو مروان لأخذ البيعة (984هـ) ثم استخلف أخاه بفاس وكلفه بتجهيز العرائش لمواجهة حركة البرتغاليين بأصيلا، وتعقب أبو مروان المتوكل في سلسلة من الانتصارات إلى أن يئس فتوغل في شعاب الأطلس نحو بادس وطنجة لاستصراخ البرتغاليين حيث وصل إلى لشبونة فتطارح على ملكها الشاب الدون سيبستيان الذي كانت نفسه الطموح تحدثه بغزو المغرب في حملات صليبية جديدة، وحسب الأمير المغرور الفرصة سانحة فاهتبلها رغم نصح رجال الدولة بالعدول عن هذه المغامرة الزائفة.

وقد سبق له أن زار سبتة في السنة التي اعتلى المتوكل أريكة العرش بدعوى الصيد في الأرباض كما خاض معركة في حوز طنجة ضد كتيبة من فرسان السلطان آنذاك واشترط سيبستيان مقابل الإعانة امتلاك أصيلا وتبعية المملكة المغربية للبرتغال، وتنافس أبو مروان لإحباط مسعى ابن أخيه، فاقترح على ما قيل التنازل عن ثغر مغربي تختاره لشبونة مع مقاطعة تبلغ مساحتها ثلاث عشرة مرحلة حول الجديدة وسبتة وغيرهما غير أن الحشود[7] البرتغالية كانت قد تجمعت في طنجة وأصيلا "ربيع الثاني عام 986هـ" وبرر

(7) بلغ عدد الجنود البرتغاليين 125000 حسب (نزهة الحادي) و(المنتقى المقصور) و60000 حسب (الذخيرة السنية) ونحو 200 مدفعا، أما المراجع الأجنبية فإنما تتحدث عن 14000 راجل و2000 فارس و36 مدفعا مقابل 50000 راجل في الجيش المغربي و22000 فارس معظمهم أعراب من الخلط وغيرهم و1500 من الرماة و20 مدفعا.

المتوكل هذه الحملة الصليبية على المغرب وفتح أبواب أصيلا للمسيحيين وكانوا قد جلوا عنها أيام محمد الشيخ بتقاعس المسلمين عن نصرته فأجابه العلماء والاجناد برسالة حملوه فيها تبعة الفرار من المسؤولية والنـــزول على العرش الذي عهد محمد الشيخ به للأكبر فالأكبر تبعا لتقاليد الملك العضود في صدر الاسلام وسار الأجناد البرتغاليون في حركة بطيئة بعرباتهم ومعداتهم الثقيلة فوصلوا إلى أرباض القصر الكبير في ظرف زهاء عشرة أيام، واستنفر أبو مروان في هذه الأثناء جيش فاس بقيادة أخيه لمواجهة هذا الزحف الأجنبي الذي نصح المتوكل تعزيزه باحتلال تطوان والعرائش للاستعانة سلفا بقبائلهما، ولكن أبا مروان استعجل سيبستيان بالتحدي[8] فعبر وادي المخازن وعسكر قبالته وبادر أبو مروان بعد وصوله بنسف قنطرته فانحبس البرتغاليون بين نهرين وتعذر عليهم كل تراجع إلى الخلف لانعدام المشارع في الوادي وانتظم الرجالة المسيحيون ضمن مربع قبعت في قلبه قوافل عربات المؤن والذخيرة ووقف الرماة في الطليعة والفرسان ميمنة وميسرة وواجههم المسلمون في نفس النسق في شكل هلال مسرح الاجنحة للانقضاض من الجوانب عند الاقتضاء.

وبدات المعركة في الهجيرة متم جمادى الأولى عام 986هـ - 4 غشت 1578 م وأشعة الشمس تبهر عيون العدو ولهيبها يلفح، وسارع جيش أبي العباس إلى الهجوم فانقضت ميمنته على مؤخرة العدو بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة وانحازت الفلول الفارة فغرقت في اليم ومن ضمنها سيبستيان والمتوكل ولفظ أبو مروان نفسه الأخير بعد استعصاء مرضه فسلخت جثة المتوكل وحشيت تبنا وطيف بها في المدن وسلمت أشلاء الأمير البرتغالي من طرف الأمير أبي العباس إلى ذويه بعد دفنه موقتا بالقصر الكبير ونقل رفات أبي مروان الشهيد إلى مقبرة الأسرة بمراكش وبويع أحمد خليفة، حيث أسرع للقبض على زمام الأمر بعد استتباب النصر وإعلان موت السلطان بينما تسارعت الفلول المهزومة لاجئة لاصيلا حيث بقي الأسطول رابضا.

وإذا كانت هذه المعركة الفاصلة فترة عارضة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والاسلام كما يقول (طيراس) فإنها كانت انتفاضة شعبية ضد الصليبية المعتدية أنزلت الضربة الأخيرة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال دولة البرتغال لأن الدون سيبستيان

---

(8) تقول النزهة بان أبا مروان كتب رسالة إلى الأمير البرتغالي يستفز نخوته للمجيء إلى وادي المخازن وكانت مكيدة من الخليفة السعدي.

مات بدون وارث فخلفه عمه فيلب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ولكن الأساطير انبثقت لتحيط هذا الجانب أو ذاك بهالة من القداسة ربما كان الكثير منها بعيدا كل البعد عن الواقع الذي لم يكن أكثر من معركة قضت على الوجود البرتغالي بالمغرب كما قضت (وقعة طريف) البسيطة العادية على الوجود المريني في الاندلس ولكن صدمتها كانت من مظاهر عناية الله بالدولة الناشئة التي خطبت ودها الدول العظمى لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالشيء الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير إعجاب العالم مهما تكن حقيقة الأوضاع والملابسات وأشع هذا الانتصار ففتح عهدا جديدا في علائق النصرانية والإسلام.

وقد جاهد في معركة وادي المخازن إلى جانب علماء من مختلف أنحاء المغرب أفذاذ من القصر الكبير أشرنا إلى أمجادهم في قسم الأعلام منهم ءال بني ريسون الذين كان لهم دور كبير في معارك جهادية مختلفة كمعركة تاهدة و(معركة العنصرة) أو (عيطة القصر) الذي دعا إليها السيد أحمد الريسوني ...(الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة لابن عزوز الحكيم).

معدات المغرب الحربية

كان المغرب يتوفر منذ عهد المرينيين على آلة حربية عتيدة كان لها وزنها آنذاك وهي البارود.

استعمل يعقوب المريني البارود عام "672هـ/1274م" في حصار سجلماسة واستخدم المجانيق Mangonneaux والعرادات Baliste وهندام النفط وهي آلة تقذف حصن الحديد من خزنة بالنار الموقدة في البارود[1] وهو اختراع مغربي رائع أنكره D.Ayalon في : موسوعة الإسلام[2] وفي عام "724هـ/1324م" استخدم أمير غرناطة اسماعيل في حصار وشقة Huesca " الآلة العظمى المتخذة بالنفط" وهي كرة حديدية محماة نزلت على المحاصرين كالصاعقة من السماء[3] وبدأت النصوص تتحدث عن "البارود" و"الانفاض" آخر أيام بني نصر "1482-1492م". وفي عام 1486م استعمل القشتاليون "صخورا من نار" تشتعل نارا فوق المدينة و قد قدم رجل مغربي لأول مرة بندقية Arquebuse إلى السلطان مملوك الغوري "906-922هـ/1500-1516م". وقد أشار أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجاري بفاس إلى حدوث البارود عام "768هـ/1366م" وما أكده أبو عبد الله بناني في حاشيته على مختصر خليل حيث أشار إلى منتصف المائة الثامنة أيضا[4].

وورد أن المدعو يعزى وهدي هو الذي استحدث البارود في الصحراء وقد توفى عام (727هـ/1326م) وذكر أن أبا الحسن المريني حارب أخاه أبا علي في سجلماسة بمدافع البارود قبل عام (740هـ/1339م) وقد جرى لدى لسان الدين بن الخطيب ذكر استعماله عام 724هـ في عهد أبي الوليد اسماعيل بن الفرج من بني الأحمر في منازلة لمكان في نواحي بسطة[5] وقد تحدث الحسن الوزان في القرن العاشر الهجري عن مدافع وبندقيات جيش بني وطاس المحمولة على الأفراس ثم انتظم ذلك أيام السعديين بتشكيل فيالق للرماة الأتراك

---

(1) العبر – طبعة بولاق 1284 ج 4 ص : 188.

(2) موسوعة الإسلام م 1 ص : 1089.

(3) الاحاطة لابن الخطيب– القاهرة 1319هـ ج 1 ص 231 / اللمحة البدرية له أيضا – القاهرة 1347هـ ص 72).

(4) الاستقصا ج 2 ص : 18.

(5) راجع اللمحة البدرية (خلال جزولة ج 2 ص : 33).

والأندلسيين والعلوج الذين بدأوا يصهرون المدافع وقبل معركة وادي المخازن بثلاث سنوات 1575 م كان للسطان مولاي محمد أزيد من مائة وخمسين مدفعا من بينها مدفع يصل عدد أفواهه إلى تسعة ويوجد الآن بمتحف الجيش بباريس وقد استخدم المغرب في وادي المخازن أربعة وثلاثين مدفعا و3000 من الرماة الأندلسيين المشاة وألف رام فارس من أصحاب البنادق. وفي عام 1000هـ/1591م وجه السلطان إلى السودان ألفي رام أندلسي وأعلاجاً من المشاة وخمسمائة من الفرسان الأعلاج أصحاب البنادق الواسعة المخرج Escopette وستة مهارس وعدة مدافع صغرى[6]، وما زال الرماة السمر حفدة المغاربة الآن في تنبكتو يشكلون جماعة (أرما) أي رماة وكان المدفع يسمى في العصر السعدي النفض في حين كانت كلمة مدفع تطلق على المكحلة وقد استعمله المقري في النفح[7] وفي عام 1280هـ/1863م وقعت "هدة البارود" بمراكش في فندق بجامع الفنا جمعت فيه أربعمائة قنطار من البارود نفض بعد أن اشتعلت النار في "فحم الريش" المتخذ للبارود[8]. واستقرت كلمة مدفع بدل نفض[9]. وصناع البارود بفاس كان عددهم خمسة عام 1898م/1316هـ[10]. ومصانع البارود بمراكش وفاس[11]. ومصنع البارود بمراكش[12].

---

(6) هسبريس ص : 467 عام 1923.

(7) النفح طبعة بولاق. 1279 ج 2 ص : 1265.

(8) الإعلام للمراكشي ج 6 ص : 362. – ط الرباط.

(9) راجع خع = 1342 د حيث أشير إلى المدفع بمعنى مكحلة.

Joly ,L'Industrie à Tétouan, Archives Marocaines XI , 361. Delhomme, les armes dans le Sous Occidental. Archives Berbères,II 123

(10) تقرير قنصلي فرنسي مؤرخ ب 17 أبريل 1898 (لوتورنو – فاس قبل الحماية ص 355).

(11) وصف وتاريخ المغرب كودار – ج 1 ص 149.

(12) الاستقصا ج 4 ص : 234/ دوكستري السعديون س – أ – م 1 ص : 164–494. م 20 ص : 181–217 . م 3 ص : 722/ هسبريس – 1953 – 1959/ أعراف وعادات – كوتيي ص : 249.

الجيش

ظهرت أول نواة للجيش المغربي في العهد الادريسي حيث التفت حول المولى إدريس الأكبر قبائل زواغة وزناتة وسدراته وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة ومضغرة ومغيلة ومغراوة لتأسيس قوات قبلية شبه موحدة تحت قيادة المولى إدريس الذي اخترق بها تامسنا إلى الأطلس الكبير إلى السوس وقد تعزز هذا الجيش البربري بخمسمائة "500" فارس وردوا على المولى إدريس الثاني من افريقية والأندلس[1].

وفي عهد المرابطين ظهر جيش نظامي درب على الحياة العسكرية وانقطع لها حيث أدرج فيه يوسف بن تاشفين عام 454هـ/1062 الاغزاز والرماة فكمل في جيشه أزيد من مائة ألف (100.000) فارس من صنهاجة وجزولة والمصامدة والأغزاز[2] وكان الجيش مرتبا في أربع فرق لكل منها قائد يشرف على خمسة آلاف 5000 جندي واحتفظ يوسف بقيادة نصف المجموع وهو 20.000 غير أن هذا العدد من الجنود النظاميين لم يكن شيئا يذكر بجانب أجناد القبائل التي يستنفرها الأمير للجهاد عند الاقتضاء كما فعل بالأندلس.

وقد استعرض جيشه في "لورقة" في جوازه الأول[3] كما استعرض حفيده تاشيفن الجيش المرابطي في تلمسان عام 538هـ/1143م[4] ولم يعرف لهذا الجيش ديوان إلا في عهد الموحدين حيث برز جيشهم لأول مرة بالأندلس في (وقعة الأرك) عام 590هـ/1193م وأعقب ذاك قيام الجيش المغربي معززا بأسطوله الذي كان أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط حسب أندري جوليان[5] لاقتلاع جذور الاستعمار النورمندي من افريقية ولتهديد الصليبيين في فلسطين حيث أمد يعقوب المنصور الأمير صلاح الدين الأيوبي ب 180 قطعة حربية[6].

---

(1) زهرة الآس ص: 13.

(2) الأنيس ج 2 ص 41.

(3) المعجب ص : 77.

(4) الحلل الموشية ص: 108.

(5) أندري جوليان في كتابه تاريخ الشمال الافريقي.

(6) حسب ابن خلدون.

وقد نظم الجيش في مراكش أيام عبد المومن بن علي على تدريب 3000 طالب على ركوب الخيل والسباحة والرماية والتحذيف في البحيرة المؤسسة لهاته الغاية علاوة على تكوينهم في العلوم التقليدية وقد استنفر عبد المومن ألف (1000) جندي من كل قبيلة، فنما الجيش المغربي باطراد بلغ في عهد الناصر 600.000 من الرجالة والفرسان هبوا جميعا لانقاذ الأندلس[7]، وقد رابط منهم في بطاح سلا والرباط 380.000 فارس و100.000 راجل امتد معسكرهم من "عين غبولة" إلى عين خميس[8].

وفي عام 624هـ/1226م أدخل المامون إدريس بن المنصور الموحدي أمير اشبيلية 15.000 فارس مسيحي، وكانت الأطر العليا للجيش الموحدي تتقاضى 60 مثقالا للواحد في كل شهر تليها طبقة أخرى تتقاضى نصف هذا المبلغ وكان للجندي العادي مرتب لا يزيد على 6 مثاقيل[9]

أما الجيش المريني فقد شمل قبائل زناتة وقبائل العرب المستنفرة بالمغرب فكان من العرب الفرسان ومن الاندلسيين حملة الأقواس ومن المرتزقة النبالون والرماة وفي هذا العهد بدأ استعمال العتاد الناري حيث حاصر يعقوب المريني سجلماسة عام 872هـ/1467م[10] بالمجاذيف وقد أكد ذلك صاحب الذخيرة[11] وليست هذه هي المرة الأولى التي استعمل فيها الجيش المغربي الاعتدة النارية فقد استخدم الأمير ابن عباد السهام والمطارد والرعادات عام 481هـ/1088م خلال الجواز الأول لابن تاشفين[12].

وهنالك عادات عسكرية بدأ استعمالها منذ عهد المرينيين كنشر رايات العدو منكسة في أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبية بعد انتصار الجيش المغربي في الأندلس في عهد أبي يوسف المريني[13]

وقد ورد في رحلة أبي عنان المريني المسماة (فيض العباب) لابراهيم بن عبد الله المعروب بابن الحاج وصف لفرق الجيش وتركيبه وشاراته وموسيقاه.

---

(7) الذخيرة السنية ص 41.

(8) الأنيس المطرب ج 2 ص : 167.

(9) ابن فضل الله العمري (المسالك..)

(10) حسب ابن خلدون.

(11) الذخيرة السنية ص 458.

(12) الحلل الموشية م 55.

(13) الذخيرة ص : 174.

وفي عام 917هـ/1511م كون الشريف محمد القائم بأمر الله السعدي جيشا للجهاد ضد البرتغاليين في أكادير بعد ان أحدث صندوقا للحرب جمع فيه نائبة أهل سوس السنوية فكانت أول كوكبة من 500 فارس ارتفعت إلى 3000 بالإضافة إلى مشاة قبيلة جزولة. أما خلال الحرب فإن الاستنفار العام كان يتم بتضامن "اللف" وهو اتحاد قبائل أو فخذات إقليمية، وبذلك كان سكان حاحة الأطلس الكبير ينضمون إلى "إيجزولن" بالأطلس الصغير ليشكلوا وحدة متراصة علاوة على عرب القبائل. وفي عام 940هـ/1533م اتجه السلطان إلى تكوين "مدفعية" نظرا لأهمية الأسلحة النارية التي أبرزها اخفاق الجيش في حصار أكادير بالطريقة التقليدية. وقد عزز السعديون هذا النظام بجهاز اقتبسوه من آل عثمان إلى عام 984هـ/1576م.

ولكن الطابع السائد كان عربيا بربريا لأن الشعب المغربي كان يعتز بعاداته وأعراقه فاقتصر السلطان على إعادة تنظيم الجيش بطريقة خاصة استعمل فيها الألقاب والدرجات والمصطلحات التركية وبلغ العسكر آنذاك[14] "63500 رجل" منهم 15.000 من سوس ودرعة والصحراء، و25.000 من ناحية مراكش، و20.000 من اقليم فاس من بينهم 5000 من الحرس السلطاني و3.500 من الرماة البرابرة والأعلاج وهو في المجموع نحو 60.000 أكدها الراهب الإسباني طوريس[15].

وقد ضخم عبد الله الغالب جيشه بفيالق ضمت 11.600على أهبة الحرب 6000 فارس عربي و5000 رام بربري مع 600 من الرماة الأعلاج[16] وكان حرسه الخاص يبلغ 3.100 جندي مجهزين بالبنادق وكانت الإدالات أي الحاميات منبثة في 30 قصبة ومؤلفة عام 968هـ/1560م من 18.000 رجل وكانت الخيالة الثقيلة مؤلفة من عرب معقل "الرحامنة والأوداية وأولاد دليم الخ" نقلوا من الصحراء إلى الشمال بدرقهم اللمطي، وكان في الجيش المغربي زنوج سنغاليون وعناصر من قبائل زواوة الجزائرية منذ عام 970هـ/1562م وقد رابط في الثكنات 9.500 من هؤلاء "حسب وثائق انجليزية" وقد كان في الجيش عام 969هـ/1561م مهندس إيطالي مختص في بناء وحصار القلاع كما صنعت آلات للحصار عامي 936هـ/1529م و948هـ/1541م تحت مراقبة اختصاصيين أتراك مع قيام

---

(14) حسب مارمول- ترجمة نيكولا –باريس 1667 ص : 484.

(15) Diego de Torres, relation et succès des Chérifs, trad.par Charles de Valois. Paris, 1636.p :226.

(16) مارمول ج 2 ص : 181.

"مصلحة صحية" في الجيش منها 100 من الجراحين يتوفرون في عهد المتوكل على خيام صحية ونقالات الجرحى[17]. وكان في "محلة" واحدة 150 نفضا أي مدفعا.

أما المصطلحات التركية التي استعملها الجيش منذ ذاك فهي "الباي" لقائد القوات ويختص به قائد الاصباحية برسم حراسة الباب العالي و"الباشا" صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت الأموال تليهم طائفة أخرى منها "بختيار" و"بغا" و"البياك" و"السلاق" و"بلدروش" و"الشنشرية" و"القبجية" و"الشواش"[18] فبهذا النظام المحكم استطاع المغرب الانتصار في معركة وادي المخازن على البرتغال كما استطاع تامين البلاد حيث التزم شيوخ المداشر ورؤساء القبائل بأداء ضمانة ما يضيع في مقاطعاتهم فانتشر الأمن عبر المغرب إلى أقصى الصحراء.

وفي العهد العلوي بدأ نظام جديد انقسمت بموجبه المملكة إلى ثلاث مقاطعات عسكرية هي تافيلالت، ومراكش، وفاس، وأصبحت المقاطعة الأخيرة مركز قيادة الجيش المغربي بعد مكناس في العهد الإسماعيلي.

وقد تكونت النواة الأولى لجيش المولىسماعيل من شراكة المغرب الشرقي والأوداية "الجنوب" وأحواز الرباط والشراردة وعبيد مكناس مع فلول من سوس وعبدة والمنابهة والرحامنة وأولاد أحمر كانوا كلهم يرابطون في القصبات وكان باشوات المدن يشرفون على الجنود والحاميات المرابطة في منطقة نفوذهم ويظهر أن المغرب قسم أنذاك إلى سبع نواح تضم ناحية فاس وحدها من الخيالة 3000 من شراكة و2000 من الأوداية و4.500 من الشراردة وكلهم تابعون لقائد المشور وكان جميع الرجال الأصحاء بمختلف القبائل خاضعين لقانون التجنيد العام وقد أقام المولى اسماعيل في مجموع هذه النواحي معاقل أو قصابي ترابط بها حاميات يتراوح جنودها بين 400 و3.000 تمدها القبائل المجاورة بالميرة والمؤن وكان عددها 76 قصبة غربي البلاد وشمالي الأطلس على الخصوص وقد ورث العلويون بقايا الجيش المريني المؤلف من عرب جشم والخلط وسفيان وبني معقل وكان للعبيد ديوان يسجلون به منذ العهد السعدي جمع منهم المولى اسماعيل نحو 70.000 ألحقها بمشرع الرملة كما ألحق بالقصر الملكي نحو 10.000 من الذكور و20.000 من

---

(17) هسبريس – عمودا عام 1972 م 13.

(18) الاستقصا ج 3 ص : 83.

الإناث وما زال عدد من هذه السجلات محفوظا في المكتبة الحسنية بالرباط وكان في كل قبيلة بجانب السجل الجبائي سجل خاص بالخدمة العسكرية يحرر في نسختين[19].

وقد عبأ المولى اسماعيل المدافع والمهاريس والمجانيق وسائر آلات الحصار والكور والقنابل وجند في تادلة وحدها 25.000 من الرماة[20] واستعمل السلطان في تحرير العرائش وفي باقي مدن الشمال المفرقعات المغربية الصنع مع أساليب راقية في الهجوم[21]

وكانت بعض القبائل المغربية مخصصة للسهر على سلامة الحجاج المغاربة في طريقهم إلى الحجاز[22]. وكانت جملة عساكر الثغور أيام المولى محمد بن عبد الله 16.500 يتقاضون أجورهم، وفي عام 1.200 عجل السلطان براتب 15 سنة للجند أي نحو 30 مليون وأمر أن يجعل في كل مرسى من مراسي المغرب بيت مال وعند تمام ثلاثة أشهر يفتح هذا البيت ويعطى منه لعسكر ذلك الثغر 30 أوقية للرأس[23].

وقد أنزل سيدي محمد بن عبد الله جند العبيد بأكدال الرباط وزاد عليهم 2.500 من الأوداية[24] وقد تحدث "كودار"[25] عن الروح العسكرية لدى الجيش المغربي فقال : "إن هذا الجيش تذكيه كثير من العوامل التي تخلق الجندي المثالي وهي العقيدة الدينية وحب الاستقلال وأرض الوطن.".

وقد كان لهذا الجيش دور طلائعي في حماية استقلال المغرب ووحدة ترابه فكان لكل قبيلة رئيس عسكري مكلف بتنظيم الرجال المتوفرين وتوزيع البنادق والرصاص والواقع أن كل مغربي كان يملك في الغالب بندقية وخنجرا[26] وكان طابور القبيلة يبلغ 3.000 رجل وقد ينمو هذا الطابور فيصبح عبارة عن آلاي أو "فيلق" والطابور العادي "500 رجل" كان تابعا لقائد الرحى أي قائد معسكر كولونيل كما يزعم البعض وكان لقائد الرحى خليفة أشبه بالليوتنان كولونيل وكل رحى تنقسم إلى سرايا من 100 رجل

---

(19) الاستقصا ج 4 ص : 42.

(20) الاستقصا ج 4 ص : 38.

(21) طنجة وناحيتها ج 7 ص : 83

(22) راجع دراسة حول حفظ الصحة والطب – ريبو الجزائر 1902 ص: 51.

(23) الاستقصا ج 4 ص : 117.

(24) الجيش العرمرم ج 1 ص : 149.

(25) وصف وتاريخ المغرب ص : 151.

(26) كودار ج : 1 ص 141.

تحت إمرة قائد المائة "قبطان" والمائة موزعة إلى جماعات من 12 شخصا عليهم مقدم "نقيب عسكري أو سوزوفيسيي".

وكان على رأس الجيش النظامي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ظابط مصري وكان المجندون من القبائل يتقاضون 30 أوقية في الشهر للفارس و15 للراجل. "وثلاثون أوقية تعادل سبعة فرنكات ونصف فرنك بسعر ذلك العصر" مع الإعفاء من الضرائب.

وقد واجه الجيش الحسني تحديات من نوع جديد فتأسست فرقة من الطبجية "المدفعية" كان لها 20 بطارية من نوع "كروب" و" شنايدر" أو نوع رشاشات "ماكسيم" وأصبح المشاة يستخدمون البنادق من طراز "شاشبو" أو مارتيني هنري، المصنوعة بفاس على نسق "خمس" في اليوم. أما الفارس فإنه يستعمل الحراب والرماح والمسدسات والسيوف والخناجر والمكاحل "البندقيات" وكان الحسن الأول يحضر بنفسه تدريب الجند كل يوم اثنين ويستعرضه كل يوم أربعاء[27] وقد دافع السلطان بين الدول فأسند قيادة أحد الفيالق إلى ضابط انجليزي والتدريب العسكري إلى بعثة من الخبراء الفرنسيين وأناط بضباط إيطاليين إدارة مصنع للأسلحة بفاس وكلف مهندسا ألمانيا ببناء برج بالرباط.

وفي عهد المولى عبد العزيز أصبح الفرسان يجندون خاصة من قبائل عبدة والأوداية وشراقة وعبيد البخاري والشراردة والرحامنة والمناهة وحربيل وكان السلطان يستعرض الجند في المصلى بفاس بصفته القائد الأعلى للجيش كما كان الحال منذ عهد الأدارسة.

وكان العلاف صلة وصل بين الملك والجيش يسهر على تموين الجند طبقا لتوجيهات السلطان ولم يكن وزيرا للحربية، وكان رئيس أركان الحرب الفعلي هو قائد المشور يليه قائد المحلة "الفيلق" أما قائد العسكر فهو كنابة عن قائد جيش أو فيلق يقوم عمليا بدور الأمير العسكري، أو ضابط التموين تحت إمرة كبير المحلة. وقد نهج المغرب في تدريب الجند مناهج مختلفة منها التركي والانجليزي والفرنسي لاسيما بفاس والرباط وطنجة وأوفد بعثات عسكرية إلى الخارج لتتدرب ضمن الفيالق الهندسية بأوربا وبالأخص مونبيليي Montpellier على حفر الخنادق والتلغيم والنسف وكان الجيش يمارس التمارين ويقوم بالمناورات العسكرية خلال أربعة أيام من كل أسبوع، إما في أرباض المدينة بفاس أو داخل القلاع كما في طنجة.

---

(27) سوردون – فرنسا في افريقيا الشمالية ص : 201.

وهكذا فمنذ عهد المولى محمد الثالث تركز اسم "الجيش" "الكيش" في قبائل وحواضر ومعاقل فكان الثلثان من سكان الصويرة من الجيش لأنه يعد ثغرا لحماية جنوب المغرب والقضاء على تهريب الانجليز للسلاح، وكان النصف من سكان أسفي مندرجين في الجيش وكذلك معظم سكان الدار البيضاء وتمارة التي كانت تعتبر جالية عسكرية وكان لكل قبيلة رئيس عسكري يعينه السلطان مكلفا بتنظيم الرجال المتوفرين وتوزيع البنادق والرصاص. والواقع أن كل مغربي كان يملك بندقية وخنجرا اللهم إلا إذا كان فقيرا مدقعا[28].

وكان الملوك العلويون خاصة يتحرون أن يكون عدد أفراد الجيش أو كتيبة كبرى في الجيش "أربعة آلاف مجاهد" لقوله عليه السلام كما في سنن الترمذي وأبي داود "خير الجيوش أربعة آلاف".

---

(28) وصف وتاريخ المغرب كودار ج 1 صك 141.

قواد الجيش

يعد قواد الجيش المغربي بالمآت وقد استعرضنا بمناسبة التحدث عن كل واحد منهم في مكانه "من الموسوعة المغربية للإعلام الحضرية و البشرية" ومن هؤلاء : ابن تيفوت محمد قائد الرماة بالأندلس في عهد يعقوب المنصور الموحدي، وعندما عاد أبو حسون الوطاسي من تركيا حيث لجأ حوالي 956هـ/1549م بعد دخول السعديين إلى فاس نقل معه اليكشارية أي الجيش الجديد وشيخهم آنذاك هو الكاهية صالح باي وذلك عام 951هـ/1553م.

المسيحيون في جيش المنصور السعدي. قائدهم "جوهن جيفار" أجرته 25 شيلين يوميا معه مهندس من أكبر مهندسي أوربا هو القبطان "سميت" أجرته 12 ش يوميا والجندي 12 بنس[1] **وقواد الجيش المغربي في معركة وادي المخازن هم :**

- أبو علي القتوري والحسين العلج الجنوي ومحمد أبو طيبة وعلي بن موسى وأخوه أحمد بن موسى[2].

- ابن شقرا قائد الجيش الأندلسي في فاس الخاضعة لمحمد المتوكل المسلوخ وقد انضم إلى عبد المالك حيث دخل أبو مروان هذا إلى فاس عام 983هـ/1576م.

- أحمد بن الحداد العمري المعقلي قائد جيش المنصور السعدي صحب القائد محمدا ابن بركة إلى تيكورارين وتوات وباقي قرى ومداشر أرض الصحراء الشرقية حيث قطع العسكر سبعين مرحلة لفتح الصحراء عام 990هـ/1582م وقد قاد الفيلق السعدي في توات عام 992هـ/1584م[3].

القائد السعدي : أحمد بن المنصور العلج هو الذي حرر المامون الذي اعتقله أبوه المنصور عند ثورته عليه فالتحم الإخوة الثلاثة وهم المامون وزيدان وأبو فارس.

---

(1) دوكاستري السعديون، انجلترا ص : 372 رحلة (1609)

(2) الاستقصا ج 3 ص : 39.

(3) الاستقصا ج 3 ص : 47.

- ابن بجة قائد جيش المنصور السعدي في سكسيوة.

- **جيش الأندلس** : قائده أيام أحمد السعدي هو ابن فرج سعيد الدغالي ضمن مشيخة الغزاة وهي قيادة الجيش بالأندلس وكان على رأسها عام 727هـ/1327م القائد يحيى ابن عمر ابن رحو التلمساني المريني.

- مصطفى باشا قائد جيش مراكش في عهد المولى زيدان وقد انهزم عندما حاصر عبد الله بن المامون بن المنصور الحاضرة عام 1016هـ/1607م.

- أحمد بن حدو قائد تطوان تولى قيادة المجاهدين الذين حرروا المهدية عام 1092هـ/1681م بعد وفاة أخيه عمر بن حدو وقد تقسم القيادة علي بن عبد الله الريفي[4].

- احمد العرائشي بن أبي يعزى قائد مكناس عام 1112هـ/1700م[5]

- ابن مبارك أحمد صاحب الطابع وقائد الجيش عام 1223هـ/1808م[6]

- محمد بن خدة أحد قواد شراقة عام 1211هـ/1796م[7] وكان قائد خيل الجيش البحاري عام 1237هـ/1821م في عهد المولى سليمان هو الحاج ابراهيم بن رزوق[8]

قائد الجيش السوسي بقصبة مراكش يوم مات المولى عبد الرحمان بن هشام "عام 1276هـ/1859م" هو إبراهيم بن سعيد الجراوي[9].

- محمد بن عبد الكريم الشرقي قائد جيش السلطان محمد بن عبد الرحمان وسفيره إلى باريس "عام 1282هـ/1855م"[10].

أما أحمد بن ابراهيم السوسي شيخ الرماة وكان له مخطوطة في الرماية ورد فيها أسماء المكاحل أي البندقيات الرومية وفضلها على الأهلية وذكر أنواع أبورى وتاسدا

---

(4) الاستقصا ج 4 ص : 30.

(5) مخطوط في خزانة محمد المنوني.

(6) الاستقصا ج 4 ص 142.

(7) الاستقصا ج 4 ص 137.

(8) الاستقصا ج 4 ص 163.

(9) الاستقصا ج 4 ص 211.

(10) الاستقصا ج 4 ص 229.

وأملوح وأدوان وظهر السطح وجوهر الدار ومجدام وأعسال، وتوجد قصائد في الملحون لتفضيل بعضها على بعض ومنها الزناد والانواع المكناسية والفاسية[11].

- **استعراض الجيش** : بأمر تاشفين المرابطي في تلمسان عام 538هـ/1143م[12] وابن تاشفين في حصن "لرقة"[13]

وقد استعرض المنصور الموحدي الجيش قرب "قلعة رباح" جنوبي قشتالة وذلك خلال جوازه الثاني "عام 591هـ/1194م" إلى الاندلس ومنه نزل "حصن الارك" مكان الوقعة المشهورة[14]

واستعرض يعقوب بن عبد الحق المريني "685هـ/1286م" حشوده العربية التي كانت من سفيان والخلط وبني حسان والشبانات ورياح الهبط "عام 670هـ/1271م" في طريقه إلى تلمسان حيث التحم في "ايسلي" مع يغراسن أمير بني عبد الواحد وهدم وجدة[15]، كما اتخذ أبو الحسن المريني "برج الذهب" لاستعراض الجيوش في الساحة العمومية بفاس الجديدة[16]، وقد استعرض أهل فاس جيشهم الحر في "باب الفتوح" "عام 1075هـ/1664م" لمواجهة المولى الرشيد وكان جيش فاس مكونا من سكان الحوز من الحياينة والبهاليل وأهل صفرو واكتتبوا لشراء خيله وعتاده وأسهمت كل دار ببندقية[17].

وفي عهد المولى عبد الله كان مكان عرض الجيش بفاس هو "رأس الماء" وقد عرض القائد حمدون الروسي رماة فاس بهذا المكان "عام 1142هـ/1729م"[18].

وفي "عام 1156هـ/1743م" استعرض المولى عبد الله جيشه قبل التحامه على وادي لكوس قرب القصر الكبير مع فيالق أخيه المستضيء وكانت أرحية هذا الجيش موحدة العناصر تتألف من رماة العبيد وأهل فاس وفرق الخيالة من الاودايا وزرارة وأهل سوس.

---

(11) محمد المختار السوسي من خلال جزولة ج 2 ص : 32 – الجيش : السلاح والكسوة – الجيش العرمرم ج 1 ص: 172/ (الاستقصا ج 4 ص 117)/ الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص : 262/ الجيش المغربي (فتاوى العلماء في ضرورة إعادة تنظيمه بعد هزيمة حرب تطوان (1276هـ/1860م)/- تاريخ تطوان ج 5 ص 340/الاستقصا ج 4 ص 222/ الجيش العرمرم ج 2 ص 79.

(12) الحلل الموشية ص : 108.

(13) المعجب ص : 77.

(14) تاريخ المغرب – عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص : 136.

(15) تاريخ المغرب – عبد العزيز بنعبد الله ج 1 ص : 133.

(16) تاريخ المغرب للمؤلف ج 1 ص 157.

(17) تاريخ المغرب – عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص : 6.

(18) الاستقصا ج: 4 ص 63.

القضاء

إن أبرز مظهر لبلورة الفقه المالكي بالمغرب هو فقه القضاء الذي تواكبت مظاهره في شرق المغرب وجنوبه وقد حاول الاستعمار تقليص أبعاد اختصاصات القضاء الشرعي وأخضعه لتوجيهاته ومراقباته ولكن ماكاد المغرب يستقل عام 1956 حتى هب صاحب الجلالة الملك المرحوم محمد الخامس وسمو ولي عهده آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني لإصلاح أول جهاز حضاري اجتماعي اقتصادي هو جهاز القضاء لوضع البنية الأساسية والتعريفات العملية في نطاق معرب يستمد مسطرته من أصالة المغرب العربية الإسلامية مع تطعيمات اقتضاها تطوير الفكر القانوني ضمن الأنساق الدولية المتجددة وكانت تجربة جريئة رائدة حققت تقدمين اثنين أولهما اقتباس الأصلح مما عرفته العدوتان "المغرب والأندلس" منذ عهد الموحدين وثانيهما توحيد القضاء بالنسبة لشعب موحد حاول الاستعمار تمزيقه هو الشعب المغربي المتمسك بأصالته الاسلامية صحراء وجبالا وسهولا.

وكان القضاء يشمل منذ العصور الأولى شتى مرافق الحياة بالإضافة إلى ما يسهر على رعايته اليوم من قضايا تتصل خاصة بالأحوال الشخصية وضبط المواريث والأنكحة والملكيات وأموال اليتامى والأوقاف ومراقبة العدول ورجال التوثيق والعقود وفي نطاق "فقه القضاء" كان القاضي يشرف على سير التعليم في منطقة نفوذه فكان يتولى ترشيح العلماء للتدريس بالمساجد ساهرا على نشاطهم بحكم إشرافه على أموال الأوقاف وهذه السعة في الاختصاصات راجعة لامتداد حكم الشريعة آنذاك على مجموع مرافق الحياة الحضارية، وكان المرابطون البرابرة قد قاموا بين ما بادروا بتحقيقه برد أحكام البلاد إلى القضاة بعدما قضوا على البرغواطيين والخوارج ومحوا ءاثار و رواسب الوثنية من جنوب المغرب إلى شرقه ومنذ عهد الموحدين "أي القرن السادس الهجري" أصبح لكل حاضرة كبرى قاض للجماعة يتولى اختيار نوابه في المنطقة وبجانبه مستشارون لا يصدر القاضي حكما إلا بموافقتهم تحريا للحق والعدالة وكان للشرطة فقهها وكذلك للمحتسب وهو قاض شرعي مكلف بالسوق واقتصاديات البلدة. ولم يكن أحد يتنازع في مشروعية الأعراف المحلية لأن العرف كالشرط يقضي به لمن طلبه[1] وقد صنف في نفس السياق

---

(1) معيار الونشريسي ج 3 ص : 36.

أحمد بابا التنبكتي "المتوفى عام 1036هـ/1627" أجوبته في شأن القوانين العرفية[2] فما نسميه بالعرف لا يمثل العرف دائما لأن العادة المحكمة تكون تارة عرفا وتارة شرعا، والشرع كما يقول سوردون[3] هو العرف العام أي المادة التي يستقي منها العرف، في حين أن العرف في نطاقه الحقيقي ليس سوى ذلك الجزء الجنائي أو المدني من العادات وهو عبارة عن الاتفاقات المبرمة بين الجماعات لتحديد بعض نقط العادة أو تعديلها في خصوص العوائد المتعلقة بالسواقي أو المخازن المسماة "بأجدير" وشكلية الجماعة متشابهة هنا وهناك (الدشر - الدوار - مجلس الأعيان - أجدير الخ) وتلاحظ نفس الوحدة في الهيكل العام للقانون العمومي ولا بدع في ذلك حيث إن القبيلة التي هي النواة الجهوية للجماعة تتسم بنفس المظاهر في السهول وفي الأطلسين المراكشي التلي ومجلس الجماعة هو المكلف هنا وهناك بتطبيق العرف العام الذي هو الشرع وكذلك العرف الجنائي الخاص.

على أن الفقه المالكي منتشر في نصف المغرب العربي تقريبا[4] وحتى في النواحي العرفية يلجأ الناس إلى الطلبة أو إلى حكام يطلقون عليهم اسم قضاة أو مفتين ويختارونهم بالاقتراع لمدة مؤقتة أو بصورة دائمة، ويؤكد سوردون "أنه لم يقع قط تصادم بين الشرع والعرف" في المغرب[5] ولنضرب مثالاً بمنطقة الاوراس البربرية" فإن الفقه المالكي مطبق فيها ولكن ذلك لم يمنع سكانها وهم شاوية أن يطبقوا في نفس الوقت عرفا يستمد مقوماته من وسط شبيه بسوس والأطلس الأوسط"[6] والاعراف متشابهة في إفريقية (تونس) وبلاد القبائل الجزائرية والأطلس الأوسط بينما نرى التقارب محسوسا بين الأعراف في وسط المغرب الأدنى وجنوبه والأوراس[7] وقد عرف المغرب في مختلف العصور حرية الملكية.

وقد صدر ظهير استقلال القضاء (ربيع الثاني 1301هـ) في عهد جلالة الحسن الأول أصدر إلى ولاته بالعرائش والقصر الكبير الأمر باستقلال القضاء وعدم التدخل فيه من أية جهة لا ينبغي لأحد الدخول في أحكام القاضي ولا التعرض له فيما يرجع لخطته.

---

(2) نسخة في الحسنية بالرباط رقم 5813.

(3) سوردون ص : 281.

(4) سوردون ص : 473.

(5) سوردون ص : 342.

(6) سوردون ص : 390.

(7) سوردون ص : 442.

الملكية

عرف المغرب ملكية الجماعة وملكية الأوقاف والملكية العائلية "أو الملك العائلي الذي كان المقصود منه إبان الحماية ضمان استمرارية البنية العقارية للأسرة بحصرها في ذكور العائلة حتى لا تتسرب إليها عناصر أجنبية عن طريق المصاهرة".

وقد احتفظت القبائل البدوية بملكية الأراضي على شكل ملكية الجماعة اليوم وكانت بين السكان اشتراكية فلاحية أي أن الجماعة كانت توزع غلل الاستثمار المشترك على الجميع أو توزع الأراضي نفسها على العائلات ومنذ هذه العصور عرف المغاربة الملكية الفردية.

وقد أثار حق تملك العبيد للأرض مشكلا منذ العهد الاسماعلي تبلور في أسئلة وردود وفتاو وتعقيبات.

وكانت الرسوم والوثائق العدلية هي التي تشكل وحدها مستندات إثبات الملكية وقد أدخل منذ أوائل الحماية الفرنسية نظام التحفيظ العقاري وامتدت شبكته فكادت تعم الآن مجموع أراضي المغرب خاصة في الحواضر وقد اهتم ملوكنا بضمان طريقة إلى التفويت فصدر ظهير شريف في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ورد في فصله السابع وجوب قيام القاضي في خصوص تفويت الأملاك بإحضار رب الدار وسؤاله عن وجه تملكه وإحضار الرسوم وتأملها ليوافق على الشراء[1]. وحوالة ملكية أوقاف القصر الكبير توجد نسخة منها في خزانة القرويين بفاس تحمل رقم : 780 وكانت نظارة الأوقاف بالقصر الكبير تشرف على أراض شاسعة في منطقة الهبط وكانت هذه الحوالات تعتبر رسوما ووثائق عدلية في هذا المجال.

والملك العائلي الذي يجري العمل به عرفا عند البربر الذين ينحون المرأة من إرث هذا الملك هو صورة للوقف على البنين دون البنات مما خولف فيه المشهور وجرى به عمل القضاة والمفتين اعتبارا لرأي ضعيف في المذهب المالكي يخالف قول الامام مالك بعدم جوازه[2]، ولكن المتأخرين حملوا الكراهية على العمل به وصححوا القول بالجواز.

---

(1) الإعلام للمراكشي ج 5 ص : 123.

(2) شرح الزقاقية لأبي حفص الفاسي ص 301 (المدونة الكبرى ج 6 ص 105) /حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمختصر خليل ج 4 عام 71.

وقد انتزعت ملكيات الكثير من الأراضي الخصبة لصالح المعمرين بأثمان رمزية، واسترجع المغرب هذه الأراضي بعد الاستقلال ووزع الكثير منها على الفلاحين، بينما ظلت حقول شاسعة كضيع نموذجية، ولم يعرف المغرب الاستغلال العقاري في عهد الاحتلال الروماني بالشكل الذي عرفه المغربان الأوسط والأدنى "أي الجزائر وتونس"، لأن منطقة الاحتلال بالمغرب الأقصى كانت محصورة في مثلث احتفظ المغاربة خارجه بحريتهم الكاملة في التملك وقد لاحظ المؤرخ بلين "Pline" أن "أكبر ملاك عقاري في إفريقية الرومانية كان هو الامبراطور نفسه وكانت إفريقية هذه كلها في ملك خمسة من كبار الشخصيات الرومانية وأكد (أندري جوليان) "في تاريخ إفريقيا الشمالية" أن البلاد أمست عبارة عن حقل شاسع يستغل استغلالا كليا " وعلق "ميشو بيلير" على ذلك ملاحظا أنه عندما حمل عقبة بن نافع الاسلام إلى المغرب للمرة الأولى "عام 61هـ/680م" تقبل أضعف الناس هذا الدين الجديد بمثابة خلاص من الجبايات المرهقة[3]. وفي عهد ما قبل الحماية الفرنسية لم يسمح الحسن الأول قط للأجانب بالتملك في المغرب رغم اتفاقية (1880م/ 1298هـ)[4].

---

(3) (معطيات الحضارة المغربية) عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 53.

(4) الملكيات العقارية في المغرب مع قائمة بالمصطلحات العربية Mesureurx andré Ed. vuibelt , Paris. 1921 الملكية الأجنبية بالمغرب (Tanger ... T 7 p 128)

المذهب المالكي

تبلور تأثير الفقه المالكي في جزء كبير من العالم الاسلامي وخاصة في المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط والقارتين الأوربية والأمريكية، ونجد ذلك واضحا في بعض التشريعات الأجنبية مثل (مدونة الفقه المدني) المعروفة بمدونة "نابليون" خاصة في مادة الأحكام والعقود والالتزامات، ومن مجالي هذا التأثير في الحقل الاقتصادي قضايا الشركات التي تقوم في العالم المعاصر بأجل الخدمات لتنشيط مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالشركة بصورة عامة في المذهب المالكي هي كما يقول ابن عرفة "شركة بقدر متمول بين مالكين فأكثر ملكا فقط". وتستعمل "المدونة الفرنسية" نفس التعابير الموجودة في النصوص الفقهية المالكية. وقد تأثر القانون المدني الإسباني كذلك بالفقه المالكي مما حداه إلى الاستغناء عن عقود الزواج خارج الكنيسة، وأهم الشركات المعاصرة بأوروبا وخاصة بألمانيا الغربية شركة القراض (commandite)، وفي هذا النص كما في مذهب مالك أن أرباب المال ملزمون على قدر مالهم، مما جعل البنوك الألمانية تجري عملياتها المصرفية بدون فائدة، وهو مظهر لأثر الفقه الاسلامي، ودليل على الامكانات الواسعة التي يمكن ضمانها في دائرة الأنظمة الاسلامية. وقد اختارت مدونات قانونية أوربية وأمريكية نفس المدة لإقرار جنسية المقيم في البلد كما هو الحال في قوانين المغرب العربي[1].

وقد أثر الفقه المالكي على "التلمود" والفقه اليهودي منذ القرن الرابع الهجري بمدينة فاس وهو العصر الذي انتشر فيه المذهب بالمغرب بعد فترة ساد خلالها الفقه الحنفي والفقه الشافعي والفقه الأوزاعي، من ذلك أن اليهودي المغربي اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي الذي ولد (عام 404هـ/1013م) في "قلعة ابن أحمد" له "شرح على التلمود" في عشرين مجلدا يعتبر من أهم كتب التشريع اليهودي كما له "ثلاثمائة وعشرون فتوى" محررة كلها بالعربية وهي مقتبسة من الفقه المالكي.

على أن من أبرز عطاءات الاسلام من خلال الفقه المالكي تأثر أوربا بمبادئ الأخلاق مما حدا زميلنا وصديقنا مارسيل بوازار Marcel Boisard إلى وضع كتاب حول

---

(1) دراسة مقارنة لإبراهيم عبد الباقي. مجلة معهد الدراسات والبحوث العربية ص: 864 عام 1971.

"الانسية الاسلامية" Humanisme de l' Islam أو "الإسلام والخلق الدولي" L' Islam et la morale Internationale

وقد شهد مؤلف "المعجب"[2] بفاس إحراق كتب المذهب بعد تجريدها من الحديث والقرآن كالمدونة، وكتاب بن يونس، ونوادر ابن ابي زيد ومختصره، وتهذيب البرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب فكان يوتى بالأحمال فتوضع ويطلق عليها النار، وأمر "أي يعقوب المنصور" جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة .. فجمعوه وكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخواص، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسي والأموال، وكان قصده في الجماعة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة. وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا[3].

وقد ظهرت منذ القرن السادس الهجري دراسات نقدية حول المذهب المالكي منها "شواذ المذهب المالكي" "مجلد" لعمر بن عبد الله بن عبد الرحمن القرشي دفين مراكش "598 هـ/1201م"، غير أن هذا النقد استحال إلى شروح تحليلية في القرن العاشر الهجري[4]

المدونة : هي مجموع أسئلة على مذهب الإمام أبي حنيفة أخذها أسد بن الفرات (المتوفى عام 213هـ/832م) بالعراق عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ثم عرضها على عبد الرحمن ابن القاسم تلميذ الإمام مالك بدون أجوبتها طبقا للمذهب المالكي من حفظ ابن القاسم وقد أخذها عن ابن القاسم عبد السلام سحنون وأبلغ تعديله إلى أسد بن الفرات لإصلاح أسديته بالمختلطة المطلقة على نسخة ابن القاسم من المدونة مما لم يهذبه سحنون الذي ألحق باجتهادات ابن القاسم جملة أحاديث وآثار من "موطأ

---

(2) المعجب ص : 171.

(3) المعجب في تلخيص أخبار المغرب- طبعة سلا 1357هـ/1938م ص : 171.

(4) المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) لعلي بن قاسم الزقاق (912هـ/1506م) (437 بيتا) (طبع مع شروحه وحواشيه. وقد شرحه أحمد المنحور (مكتبة تطوان 662) / خمس نسخ في خح من 3316 الى 8039) ومحمد ميارة (تكميل المنهج (خع 1040 د — 369 د). على أن هذا التأييد ارتكز على الحديث النبوي الصحيح كما فعل الشيخ محمد التدلاوي بنسودة (1076هـ) في (زاد المجد الساري لمطالع البخاري) في ثلاثة أسفار حيث أطال النفس في تفاريع المذهب (طبع بفاس عام 1327/خس بخط المؤلف/ خع 463/ خع 24 نسخة/ (الصفوة ص 159/السلوة ج 2 ص 71). بروكلمان ج 1 ص : 159.

مالك و"موطأ ابن وهب" وقد صنف مفتي قرطبة عبد المالك بن حبيب "238هـ/857م" بعد أن تلقى تعاليم ابن القاسم كتاب "الواضحة" كشرح للمدونة ثم جمع ابن أبي زيد القيرواني ما انتشر من المدونة في كتاب "النوادر" وهو ما يسميه بالمشهور من مذهب مالك و قد وصلت المدونة إلى المغرب عن طريق دراس بن إسماعيل الفاسي (مدارك القاضي عياض) و"توجد نسخة من النوادر في خزانة جامعة القرويين" :

أما العتبية فهي لمحمد بن عتاب 255هـ وتسمى المستخرجة جمعها من مصادر "ابن القاسم وأشهب والليثي وشبطون والواضحة، وقد تناول ابن رشد الجد مسائل المذهب حسبما ورد في "المستخرجة" دون تأصيل من الكتاب والسنة، وقد اختصر "البرادعي" كتاب "النوادر" في كتابه "التهذيب".

لم يعرف المغرب سوى مذهب الامام مالك بينما عرفت مدينة فاس بفضل من هاجر إليها من (القيروان) و"ربض قرطبة" آخرالقرن الثاني الهجري – كلا من مذهب الأوزاعي ومذهب أبي حنيفة حتى قام العلامة "دراس بن اسماعيل الفاسي" بنقل "مدونة سحنون" إلى المغرب. وقد نشرت بالمغرب بعد الاستقلال ثلاث مدونات حاولت التقريب بين المذهب المالكي والماجريات المستجدة.

ومن مظاهر تمسك فقهاء المغرب بمذهب الإمام مالك قول قاضي الرباط الشيخ محمد الطيب ابن ابراهيم بسير "1271هـ/1854" يخاطب الرسول عليه السلام في مديح نبوي :

أنا شافعي في الصلاة عليكم

ومالي سواكم شافع عند مالك

الزاوية

الزاوية هي ما عرف في الشرق بالخانقاه او الرباط وقد بدأت الخانقاهات تظهر قبل نهاية القرن الثاني الهجري وأول خانقاه أسس لمتصوفة المسلمين "على ما في النفحات ص 34" كان بالرملة في فلسطين، وذكر المقريزى في خططه[1] أن الخانقات أو الخانقاوات كما يسميها وجدت في الإسلام في القرن الخامس الهجري، والخانقاه أعمق في التزمت والرهبنة مما عرف بعد بالزوايا لأن هذه الخانقات كانت مبنية في معظمها على نظام صارم من التبتل والرهبنة في التصوف الاسلامي وقد ذكر المقريزي أن أبا سعيد بن أبي الخير هو مؤسس نظام الرهبنة في التصوف الإسلامي وأول واضع لقانونه.

وقد تأثر المغرب بفكرة الرباطات في نفس العصر تقريبا، فقد أشار صاحب الأنيس المطرب[2] إلى دخول عبد الله بن ياسين إلى جزيرة قرب الساحل مع سبعة نفر من كدالة ويحى بن ابراهيم أمير صنهاجة حيث ابتنى رباطا وأقام به مع أصحابه يعبدون الله مدة من ثلاثة أشهر فتوارد عليهم الناس حتى بلغ تلاميذه ألف رجل من أشراف صنهاجة فسماهم المرابطين، ويقال بأن (واكاك اللمطى) هو الذي أسس (دار المرابطين) في بلاد نفيس وهو الذي وجه تلميذه عبد الله ابن ياسين ثم توالى بناء الرباطات خلال القرنين الخامس والسادس كرباط أولاد أمغار في تيط و رباط مولاى بوشعيب قرب أزمور ورباط أبي محمد صالح في آسفي ورباط شاكر ورباط تينمل دار الموحدين، وقد أطلقت لفظة الزاوية على بعض الرباطات لا سيما في الأوساط الحضرية فبدأنا نسمع عن زاوية أبي النور المشترائي وزاوية تلميذه أبي شعيب أيوب ابن سعيد وزاوية صالح بن حرزهم تلميذ ابي حامد الغزالي.

وكان لقيام هذه الرباطات في بعض الأوساط انفعال سيء فهبت طوائف لمعارضتها، والظاهر أن الحركة الصوفية - سواء بالمغرب أم الشرق - بدأت تتسم بشيء من الفوضى أدى إلى انسلال عناصر مغرضة تملهل تحت تأثيرها السيء جانب مهم من

---

(1) المقريزي ج 2 ص : 414.

(2) ج 2 ص : 13 طبعة سلا.

النظرية الصوفية البريئة حتى رأينا أبا سليمان الدارانى يصف المتصوفة بأنهم "بأعراض الدنيا موشحون عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا وصغر الحق في أعينهم فأعجلوا منه هربا حافظوا على السجادات والمرقعات والمشهرات والعكاكيز والسبحات المزينة كالعجائز طغام صبيان الأحلام، لا علم عن الحرام يردهم ولا ورع عن الشبهات يصدهم وزهد عن الرغبة في الدنيا يصرفهم، اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ولازموا الخوانق والرباطات رغبة فيما يوتى إليها من حلال وحرام ووسعوا أردانهم في الخوانق والرباطات رغبة فيما يوتى إليها من حلال وحرام الخ.

وأنشد الجنيد :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة

صار التصوف ركـــوة وسجادة ومذلقـــة

صار التصوف سبحـــة وتواجدا ومطبقـــة

كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقة

وقد ساق الشيخ زروق جملة من الصور عن هذا الانحلال في كتاب "عدة المريد" الذي قد يكون أحسن كتاب في هذا الباب لا سيما وأنه من وضع رجل يلقب بمحتسب الصوفية.

وبالجملة فقد أثار انبثاق الفكرة الصوفية منذ القديم موجات متعاكسة من الانكار والتأييد وكان في كلا الموقفين نوع من الشذوذ اتسمت به كتابات الكثير ممن خاضوا في هذا الموضوع، وظلت الحركة تتأرجح إلى يومنا هذا بين طعنات الخصوم ودفاع الانصار.

والواقع أن الإنسان - مهما بلغ به تقديسه للأبرار من رجال التصوف تأخذه الحيرة أحيانا عندما يصطدم بعبارات تشذ عن ظاهر الشرع.

وإذا كان البعض من المتصوفة قد انحرف، فالتصوف في أساس فكرته لا يزال سامي الغاية، وقد رأينا الدكتور زكى مبارك الذي حمل حملة شعواء على التصوف يغالى عندما ينفحه الوجدان بانعكاسة من نوره الباطني فيقول[3] : "إن كان في العالم قصيدة خالدة فهي التصوف، هو وحده الأنشودة الباقية يوم تبيد الأناشيد، ولو فنيت الدنيا دفعة واحدة

---

(3) التصوف ج : 2. ص : 6.

وبقى إنسان واحد يفتش عما حق بها من الكلمات لما وجد أصدق من كلمة الصوفية" ويقول[4] : "أهل الباطن وجودهم ضرورى لأنهم يعطرون الشريعة بعبير الروح ويسكبون عليها أسرار الخيال " ويقول[5] : "الصوفية هم الناس ومن عداهم أشباح بلا أرواح" وقد قاوم المرابطون هذه الانتحالات إلا أن مقاومتهم كانت أحيانا تشمل حتى العناصر الطيبة فقد ذكر (ابن بشكوال) في تاريخه أن أبا العباس بن العريف بعد صيته في العبادة والزهادة وكثر اتباعه على الطريقة الصوفية حتى بلغ ذلك إلى أمير الملثمين على بن يوسف ابن تاشفين ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على انكار مذاهبه فسعوا به الى السلطان فأمر بإشخاصه من غرناطة كما استقدم أبا الحكم بن برجان من اشبيلية وكانا نمطا واحدا في الانتحال والصلاح حتى كان أبو الحكم يلقب بغزالى المغرب!.

ولكن الملوك المرابطين كانوا معذورين في هذه الحملة ؛ ذلك أن الرتق بدأ يتسع نظرا لكون المقولات الصوفية كانت معقدة مستعصية على العقول التي تفهمها على غير وجهها، ولأن أدعياء التصوف أصبحوا كذلك يبثون دعاويهم المسمومة في الناس والمرابطون وإن كانوا مشبعين بروح صوفية - لا سيما ابن تاشفين الذي كان متورعا متقشفا[6] - إلا أنما كانت سنية سلفية عليها مسحة من طابع صدر الإسلام، وقد أدى الحال بعلي بن يوسف إلى إحراق كتب الغزالي التي كان بعضهم يسيء فهمها ومع ذلك فقد بدأت حركة الرباطات والزوايا تنتشر في طول المغرب وعرضه وأصبح الناس يتكتلون بصورة غريبة حول دعاة المشيخة وقد أدرج التشوف في ثنايا كتابه جملة من أسماء الرباطات التي كانت بالمغرب قبل القرن السادس الهجري ومعظمها بربرية الأسماء مما يزيدنا يقينا أن هذه الحركة الطرقية انبثقت لأول مرة من الجنوب، فمنها رباط تاسمطت من أعمال مراكش[7] وذكر فيه أيضا اسم تاسمطت وتامسط[8] ولعل هذا الأخير أرجح ورباط تانوما طهير "كذا" من دكالة[9] وأوجدام من ركونة[10] وربطة الغار خارج باب

---

(4) التصوف ج : 2. ص : 24.

(5) التصوف ج : 2. ص : 205.

(6) القرطاس ج 2 ص : 36.

(7) التشوف مخطوط رباطي ص : 75.

(8) التشوف مخطوط رباطي ص : 84 - 112.

(9) التشوف مخطوط رباطي ص : 107.

(10) التشوف مخطوط رباطي ص : 108.

أغمات[11] يميسين بأزمور[12] ورباط عين الفطر بساحل أزمور ويقال له رباط تيط[13] وهو رباط أولاد أمغار الصنهاجيين ورباط تينمل دار الموحدين ورباط ماسة من قبائل المصامدة[14] ولم تختلف عن هذه الأسماء البربرية إلا رابطة زرهون التي أقيمت حول الضريح الإدريسي ثم تتابع بناء الزوايا والرباطات فأسس رباط حول ضريح أبي محمد صالح وازدهرت حول هذا الضريح مدينة آسفي وهذا هو ما وقع قبل ذلك لزاوية أبي النور المشترائي وتلميذه أبي سعيد بازمور ولعل من أول زوايا المدن زاوية صالح ابن حرزهم بفاس وهو تلميذ الغزالي.

وقد هدأت نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لأن الدولة كانت قوية الجانب قد انصرفت إلى إتمام صرح الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك العصر ذروتها ولكنهم يرون مع ذلك أن أبا عبد الله بن محمد الشيخ المريني وهو محمد الملقب بالبرتغالي سجن عبد الله الغزواني بفاس بتحريش الفقيه ابن البادسي ثم اطلق سراحه ورحا منه السكنى بفاس فبنى زاويته داخل باب الفتوح لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض أمراء بني وطاس من ميع واخلال.

فصوفي سوس عبد الله بن عمر المدغري "وهو من أصحاب زروق" وكذلك عبد العزيز القسمطيني هما اللذان مهدا لدولة محمد الشيخ السعدي وذكر صاحب (زهرة الشماريخ) أن محمداً بن المبارك هو الذي أمر قبائل السوس بالانقياد إلى السلطانين[15] ثم انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس فعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ الوطاسيين[16] وأغرب ما في الأمر أن محمداً الشيخ مؤسس الدولة السعدية ما لبث أن

---

(11) التشوف مخطوط رباطي ص : 154-171.

(12) التشوف مخطوط رباطي ص : 216.

(13) الممتع ص : 113.

(14) الممتع ص : 30.

(15) كان الصوفية يولون هجماتهم على المدن التي يحتلها الاسبان والبرتغال في سواحل المغرب من ذلك ما ذكره دوكاستري (الوثائق ج 2 ص : 30 عام 1909) من أن القبائل الريفية هاجمت بدعوة من أحد الصوفية – مدينة مليلية مرتين في شهري أبريل ويونيو 1564م، وأكد دوكاستري أنه بمجرد جلاء البرتغال عن أزمور دخلها الشيخان أبو عبد الله محمد بن ساسي وأبو محمد عبد الله الكوش مع جماعة من الأبطال المسلمين لحراستها ريثما يتمكن المسلمون من جمع الجنود (الوثائق ج 1 ص : 146 عن (نزهة الاخوان) وكتاب (ديكوا دوطوريس ومارمول).

(16) لما قام السلطان أحمد الأعرج وأخوه ضد بني مرين وجه هؤلاء إلى السلطانين سيدي عمر الخطاب وسيدي أبا الرواين للصلح مع جماعة أعيان الوقت.

انقلب على الصوفية فقد امتحن أرباب الزوايا منذ (سنة 958هـ) وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة في أصحاب الطوائف من اعتقاد ومن جملة من امتحنه عبد الله الكوش فأخلى زاويته بمراكش وأمر بترحيله إلى فاس وقد اتخذ السلطان ذريعة للايقاع بأرباب الزوايا اتهامهم بحفظ ودائع بني مرين وكانت الزوايا وأهلها معفاة من الضرائب ففرض محمد الشيخ عليها ضريبة النائبة.

وقد سجن المنصور الذهبي صالح سوس علياً بن احمد الذي ظل سجينا في تردانت إلى أن توفي عام 1006هـ.

وفي أيام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل المجاهد العياشي الصوفي بالأمر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفية إذ ذاك قوية وجانبهم منيعا وقد بلغت الزاوية الدلائية حينذاك عنفوانها فتحفظ زيدان في إثارة أرباب الزوايا من ذلك أن القاضي أبا الحسن عليا بن عمران السلاسي سعى بأبي زيد عبد الرحمن الفاسي عام 1018 واصما إياه بتلقين آراء الفرق الضالة للناس ولكن بعد مثوله بين يديه تحقق للسلطان الأمر فقبض على ابن عمران وزج به في غياهب السجن.

وقد قام ضد زيدان أحد الأدعياء المتمهدين وهو احمد بن أبي محلى توجه إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه فاستخف قلوب العوام وهزم والي السعديين بسجلماسة ثم احتل درعة وطارد السعديين إلى مراكش حاضرة الملك فاخرج منها زيدان ولكن هذا الأخير استنجد بأهل سوس فقاموا ضد ابن أبي محلى وقتلوه[17] وقد قتل السلطان محمد الشيخ المامون بن احمد المنصور الذهبي الشيخ أبا الحسن علي الحاج الغصاوي البقال عندما تخوف منه أن يدعي الملك ولأنه أغلظ له في القول عند تحقق تنازله عن العرش للنصاري وقد فر من فاس تخلصا من استفتاء السلطان في تلك القضية العربي الفاسي وأخوه أحمد وكذلك العالم محمد الغساني وابن عاشر وعلي البطوئي بينما تجرأ الغصاوي المذكور على مناقشة السلطان الحساب فكان مصيره القتل.

ولما استقل الملوك العلويون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين أهلها في (بطن الرمان) أوائل المحرم عام 1079هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد بن محمد بن ناصر وجهز محلته للزحف إلى زاوية درعة ولكنه عدل عن ذلك بعد أن تحقق صدق ولاية الرجل وهذه مكرمة للرشيد حيث كانت قومته لله وتقاعسه لله عند استبانة الحق وقد سخط المولى اسماعيل كذلك على أهل الزوايا وشدد

---

(17) "محاضرات اليوسي ص 91".

عليهم واستقدم في جملة من استقدم إلى حضرته لامتحانه مولاي التهامي الوزاني ولكنه ما لبث أن أذن له في العودة إلى وزان وتختلف الروايات في تاويل تراجع السلطان، وسجن المولى اسماعيل بفاس أحمد بن عبد القادر بن محمد ابن مبارك التستاوتي "الذي نظم رجال الحلية ورجال التشوف" وذلك عام 1104هـ ولكن ما لبث أن أطلق سراحه وقد ألف أبو الربيع مولانا سليمان خطبة ضد المواسم والطوائف متاثرا فيها بروح والده السنية وكان تحريره لهذه الرسالة سدا للذريعة وحماية للشريعة رغم تشبعه هو ووالده باالروح الصوفية السلفية كما يتبين ذلك من إجازته المتصلة بالسند الجزولي عن طريق التباع بواسطة شيخه محمد الشرادي ومن طرق أخرى منها طريق الشيخ التاودي بن سودة.

ويشهد التاريخ الحديث كذلك بغيرة ملوكنا على الحنيفية السمحة وخوفهم من تسرب البدع إلى الدين عن طريق أهل الدعاوي من المغرضين.

وحتى في الشرق كان موقف الملوك شديدا من أدعياء الطرقية غير أن التيار كان يجرف حتى بالصالحين فقد ذكر أبو سالم العياشي في رحلته وكذلك الشعراني أن بني عثمان لما دخلوا مصر أمر السلطان سليم بقتل من فيها من أرباب الطوائف لأن الغوري لما خرج لقتاله أخرج معه العلماء والصلحاء يستنصر بهم فلما دخلها قتل كثيرا منهم حتى المجاذيب.

ولكن ليس معنى هذا أن ملوك المغرب كانوا حربا على التصوف وإنما قاوموا الأدعياء والدجالين أو غلاة المتصوفة الذين شذت دعاويهم عن ظاهر الشريعة ولا يخفى أن التصوف السلفي هو من صميم الدين كما تبين من أقوال صاحب المنار وشيخه محمد عبده وإذا حققنا معنى التصوف قبل أن يطرأ عليه الانحراف وجدنا صدر الاسلام وتابعيهم كانوا كلهم صوفية، وقد كان يوسف بن تاشفين زاهدا متورعا متقشفا لم يلبس غير الصوف[18] وفي دولة الموحدين أظهر يعقوب المنصور زهدا وتقشفا وخشونة ملبس ومأكل وانتشر في أيامه حسب تعبير صاحب المعجب[19] للصالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث صيت وقامت لهم سوق ولم يزل يستدعي الصالحين من سائر البلاد وقد كتب قبل خروجه إلى غزوة الأندلس عام 592هـ يبحث عن الصالحين في جميع البلاد فاجتمعت له منهم طائفة كبيرة كانوا يسيرون بين يديه في الحروب[20] وقد اشتهرت نزعة المنصور الصوفية في الشرق حتى زعم ابن بطوطة وابن خلكان أنه ترهبن وانخلع من الملك ولبس

---

(18) الانيس المطرب ج 2 ص : 36.

(19) المعجب ص : 170.

(20) المعجب ص 175.

المرقعة وقصد بلاد الشرق زاهدا متبتلا فتوفي هناك، وكان أبو العباس السبتي يعيش في جبل جليز فأهبطه المنصور إلى المدينة وحبس عليه مدرسة للعلم ودارا للسكنى، ولوحظت نفس الحركة في الشرق ففي أيام المنصور أنشأ صلاح الدين الأيوبي بمصر خانقاه سعيد السعداء وسماه دويرة الصوفية وولى عليها أعظم رجال الدولة كاولاد حمويه وذا الرياستين تاج الدين ابن بنت الأعز[21] ثم توحدت رياسة الصوفية بمصر في القرن التاسع فجعلت في دار محمد البكري ولا تزال في البكريين إلى الآن[22] والسلطان عبد الله بن المنصور هو الذي ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح أبي العباس السبتي وشحن خزانته بنفائس الدفاتر وقد وصف صاحب الذخيرة السنية[23] ملوك بني مرين بالأدب والدين وإكرام العلماء وتوقير الصالحين وذكر عن الأمير أبي محمد عبد الحق أنه كثير الذكر والأوراد يسرد الصوم وتتبرك به أحياء زناتة وإذا سمع بصالح أو عالم خف لزيارته[24] وكان أبو سعيد أيضا معظما للعلماء موقرا للصالحين يتواضع بين أيديهم[25] وقد أجاز الأمير أبو يوسف إلى الأندلس ومعه جماعة من صلحاء المغرب[26] وبنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف لإطعام عابري سبيل وذوي الحاجات ووصفه ابن الخطيب في (اللمحة البدرية) بأنه كان أشبه بالشيوخ منه بالملوك[27] وكان أول الذين استنفرهم أبو القاسم العزفي لتحرير الأندلس هم الصالحون والعلماء وبنى أبو الحسن المريني زاويتين بمكناس أعدهما للوارد من الغرباء.

أما في الدولة السعدية فإن أحمد المنصور لبس خرقة التصوف من يد شيخه العلامة الأديب أحمد المنجور حسب ما ذكره صاحب (المنتقى المقصور) وقبله أخذ السلطان عبد الله الغالب طريقة التصوف عن أحمد ابن موسى الجزولي.

وفي أيام العلويين جدد المولى إسماعيل ضريح أبي القنادل سيدي يوسف وضريح أحمد الشبلي وعبد الله القصري وأسس الضريح الادريسي عام 1110 فقامت حوله مدينة زرهون وأسس السلطان سيدي محمد بن عبد الله ضريح سيدي محمد بن عيسى بمكناس

---

(21) خطط المقريزي ج 4 ص : 273.

(22) تاريخ التمدن الاسلامي ج 1 ص : 202.

(23) صاحب الذخيرة السنية ص : 9.

(24) صاحب الذخيرة السنية ص : 29.

(25) صاحب الذخيرة السنية ص : 37.

(26) صاحب الذخيرة السنية ص : 167.

(27) الخطيب في اللمحة البدرية (ص 42 طبعة 1347 هـ).

وبني قبة سيدي سعيد بن عثمان وجدد بناء الضريح الإدريسي مع أنه تزعم الحركة السنية السلفية بنشر كتب الحديث والتقليل من مصنفات الفروع، وقد جدد مولاي الحسن ضريح سيدي أحمد بن يحي في باب الجيسة بفاس عام 1307 وبنى قبته وزاد في مسجد ضريح عبد القادر العلمي لما كثر اتباعه.

غير أن هذه الأضرحة لم تكن في ذلك العهد أكثر من مساجد تقام فيها الصلوات وترتل فيها آي القرآن والأذكار والدعوات فلم ير الملوك ما يدعو إلى استنقاصها بيد أن الاستعمار وصنائع الاستعمار أفسدوا جوانب من هذه الروح الطيبة التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهرة.

وقد أصدر سيدي محمد بن عبد الله مرسوما لأبي مدين الفاسي بإسناد أمر زاويتهم إليه وهو الذي جدد أضرحة أبي العباس السبتي والتباع والجزولي والغزواني وأبي صالح ومولاي علي الشريف وميمون الصحراوي وعلي ابن حرزهم ودراس بن اسماعيل ومولاي عبد السلام بن علي بن ريسون الذي كان له معرفة بالعلوم الرياضية.

وقد ساهم الريسونيون انطلاقا من رباط تازروت في معارك كمعركة وادي المخازن ووقعة تامدة التي كتب عنها المؤرخ الإسباني خوان دي سيلفا Juan de Silva.

وقد انخرط في الزاوية التجانية نجله المولى سليمان الملك العالم السلفي لأنه وجد فيها الطريق السنية التي تحارب المواسم كما فعل المولى سليمان وقد مدح العلامة احمد سكيرج الزاوية التجانية بالقصر الكبير بقوله :

هذا المقام لختم الأوليا نسبـــا نجل الرسول الذي فاق الورى نسبا

وفضله سائر الأعدا به شهدوا وحسنـــه لعقول العالـــمين نسبـــا

وأهم زوايا القصر الكبير الزاوية البدوية التي أسست عام 1922 وجددت عام 1947 والزاوية التجانية التي كمل بناؤها عام 1945.

أما المساجد فعددها ستة وعشرون عام 1289 انضافت إليها مساجد جديدة وهي إلى دورها الديني معاهد للتدريس قد حفلت بمخطوطات نادرة محبسة مثل كتاب (شعب الإيمان) لعبد الجليل القصري الذي توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية بالرباط الحافلة بوثائق وكنانيش قصرية يصل عددها إلى (130.000) وثيقة.

الموسيقى الإشبيلية أو الآلة الأندلسية

حال صراع العرائش والقصر الكبير الموصول ضد الاستعمار البرتغالي دون ازدهار الفن الموسيقي في المراكز التي اتخذ منها الاستعمار العدو جيوبا في التراب المغربي مثل طنجة وأصيلا وبعض حواضر الجنوب، لأن هذه المراكز لم تحتضن المهاجرين الأندلسيين الذين فروا إلى العدوة الجنوبية بعد سقوط قرطبة وإشبيلية وأخيرا غرناطة، وبعد تحرير المولى إسماعيل لهذه الحواضر وللمنطقة المجاورة بدأ الناس يتنفسون الصعداء ويميلون انطلاقا من طبعهم الوجداني الفياض إلى الفن بجميع مظاهره وخاصة الفن الموسيقي، فبرزت أجواق فنية ساهمت في تطوير الآلة الإشبيلية، وقد تم نفس الازدهار في باقي الاقليم من طنجة إلى القصر الكبير لا سيما في العهد العلوي.

ولعل اضطلاع كل من السلطانين العالمين المولى سليمان والمولى عبد الرحمان[1] بتركيز الفن الموسيقي قد فسح المجال لظهور علماء أفذاذ برعوا في هذا الفن، وفي طليعتهم العلامة الشاعر قاضي العدوتين سلا والرباط أحمد بن أحمد الحكمي الذي تفرد في وقته بالفنون الأدبية كالموسيقى علاوة على ضلاعته في الأصول والفقه وعده سبطه شيخ الجماعة ابراهيم بن محمد التادلي من العارفين المبرزين في هذا المجال ومن شعره الغزلي :

دعتني فتاة الحي بادية نحـــرا هلم الى نحو السعادة في الأخرى
فلبيتها والدمع يهمي وأضلع يفتتها بعد المزار بـــمن أغـــرى

ومن العارفين المبرزين في هذ المجال[2]، عالم صوفي هو الشيخ فتح الله بن ابي بكر بناني وكتابه المطبوع بالرباط هو "تسلية الأتباع ببعض ما يتعلق بحكم الطرب والسماع".

على أن الشيخ العلامة إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي قد أوغل في تحقيق وتدقيق بعض معالم هذا الفن حيث ألف كتابا في "الصيكا" سماه "أغاني السيقا ومغاني الموسيقى" أو "الارتقا إلى علم الموسيقى"[3] وعلى هذا المنوال النموذجي صار

---

(1) ذكر أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في إفادات وانشادات " المخطوط في نحو" أن المولى عبد الرحمان بن هشام كان ممن يروى عنه صحيح البخاري ويوخذ عنه وكان عالما بالحديث.

(2) الاعتباط ص: 33.

(3) نسخة بالخزانة العامة بالرباط 1821 د/ 109 (66 ورقة).

العلامة علي بن محمد بن عبد الواحد الزجلي في كتابة "أغاني الصيكا" وهي ألحان مازلنا نستمع إليها في جميع أنحاء البلاد الاسبانية.

وقد ذكر "الصفاقسي" في كتابه قانون الأصفياء أن السيكاه أصله عربي بالصاد، ثم نقل إلى العجم فبدلوا الصيكة. استخرجه صيكة بن تميم العراقي، ثم نقل إلى أهل فارس[4]، وقد تبنى علماء كل من فاس ورباط الفتح هذا الفن فأطلقوا على ما اخترع من طبوعه كلمة "مدرج" وهي من مصطلحات علم الحديث النبوي الشريف كما يقول شاعر المحدثين "ومدرج الحديث ما ألحق في ** أوله أو وسط أو طرف"، ومن علماء الرباط الذين أولعوا بالعزف على الرباب الشعبي "الكنبري" قاضي الرباط ووزير العدل في العهد اليوسفي محمد الرندة.

وكان أهل بعض الحواضر قد سجلوا موشحات وأزجال الآلة الأندلسية في وثائق خاصة يستحضرها حتى الهواة في أجواقهم، لأن الموسيقى والتغني بها اندرجت في أبرز عادات وتقاليد المجتمع، وكان من بين العوام رجالات أتقنوا الخمسة والخمسين مثل الموسيقار ابراهيم بن محمد الجزولي الرباطي "وهو من آل لميرو الأندلسيين" "المتوفى عام 1325هـ/1907م"[5].

ويرجع الفضل في تدوين الموسيقى للحسن بن أحمد الحايك الأندلسي التونسي التطواني "1130هـ/1717" الذي جمع هذه الموشحات في كتاب (الحايك) الذي اشتمل على جميع نوبات وطبوع آلات الطرب، وهذا الكناش لم يبق على ترتيبه الأصلي بل نسق بترتيب الفقيه الوزير محمد بن المختار الجامعي، وقد أورد خطبته أبو إسحاق التادلي في أغاني السيقا[6] ولعل أبرز ظاهرة موسيقية وجود جوق الخمسة والخمسين بالقصر الملكي تعزف على مزامير نحاسية في ازيائها الأندلسية الزاهية وهي الجبادولي ذو اللونين الأخضر والأحمر تيمنا بلوني الراية المغربية.

ويرجع استعمال جوق الآلة في عهد السعديين بمناسبة استقبال السفير الإنجليزي "جيل Giles" ولم يكن الجوق يظهر بل يعزف من وراء مشربيات، وخلال حفلة تدشين

---

(4) مجلة الأقلام العراقية ج 4 السنة الأولى 1964 - 1384 هـ.

(5) الاغتباط لأبي جندار ج 2 ص: 22.

(6) ليفي بروفنصال في مخطوطات الرباط العربية ص: 106). خع 8 د (60 ورقة) / خع = 488 د. وتوجد نسختان من كتاب الوزير الجامعي في خع = 1327 د / 8 د وكذلك خطبة لتاليف في الموسيقى خع 1031 د.

(قصر البديع) بمراكش استحضرت أجواق من فاس وكان العاهل يستورد الآلات من الخارج وقد حملها إلى الحسن الأول من إنجلترا السفير "جوهن روسيل John Russel"، وذكر أديس اديسون Addison في مؤلف له عام 1671 استقبال السفير "دييكو" بالموسيقى وقيل ذلك في عهد "محمد الثالث" أرفق السفير محمد بن عبد المالك معه إلى النمسا جوقة طرب وكانت "الأواني البندقية" تجلب من البندقية، وللشيخ محمد العربي الدلائي الرباطي كتاب سماه "فتح الانوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار" وهو تأليف نظير كناش الحايك، أوضح في صيغة المديح بذكر الطبوع والألحان الشعرية والأناشيد والنغمات العروضية[7] وتعزز هذا السماع بآلات عصرية حللها الشريف مولاي العربي بن أحمد الوزاني في رسالته (معلومات عن الطرب الأندلسي والعلامات الموسيقية)[8] ولم يكن علم الموسيقى مجرد هواية بل أصبحت الألحان تحرك الوجدان وتضبط خلجات الجنان تهذيبا للأنفاس وضبطا للأعصاب، ومعلوم أن مستشفى سيدي فرج بفاس كان يعالج الأمراض العصبية بالموسيقى منذ عهد السعديين في القرن العاشر الهجري، أي قبل أن تعرف أمريكا وأوروبا موسيقى الروك rock and roll الهادفة لنفس الغاية و كذلك الموسيقى الأمريكية المعروفة ب Rythm and blues وقد وردت علينا من الصين الشعبية أواسط الثمانينات أنباء تفيد قيام الصين بأبحاث لعلاج الأمراض العصبية بالموسيقى فانضافت تجربة العلاج النفساني هذه إلى تجربة العلاج العضوي المعروف في الصين بالنقطية acupuncture، والتي أتيح لي أن أشاهد بعض مظاهرها خلال رحلتي إلى الصين عام 1967 إبان الثورة الثقافية، وقد ظهر في هذا الموضوع أيضا بحث لسليمان الحوات "1231هـ/1816" عنوانه (كشف القناع عن تأثير الطبوع في الطباع)[9].

غير أنه لا يمكن أن نتعرف بعمق على مدى تطور الآلة الأندلسية بشقيها الإشبيلي والغرناطي إلا إذا استعرضنا تطور الفن الموسيقي عبر العصور في مختلف جهات المغرب التي احتضنت وطورت هذا التراث العربي الأندلسي الرائع.

فقد ظهرت بوادر هذا الفن في كل من فاس ومراكش منذ أواخر الموحدين، وازدهرت معالمه خاصة في فاس أيام بني مرين وبني الأحمر أمراء غرناطة، ولكن الاضطرابات

---

(7) الاغتباط ص : 191.

(8) توجد نسخة بالخزانة الملكية بالرباط عدد 7728.

(9) نسخة في جمع (= الخزانة الحسنية بالرباط 4229).

والفتن التي شبت أواخر السعديين وقيام نوع من امراء الطوائف[10]، في المغرب حالت دون استمرار هذا الازدهار إلى أن ظهر المولى اسماعيل العلوي بعد مرور بضع عقود من السنين على جواز آخر فئة من الموريسكيين المطرودين من الأندلس فاستتب الأمن واطمأن الفكر وعاد الماء إلى مجراه مع تجدد مزاهر هذا الفن بإضافة عناصر جديدة تفتقت عن تجمع حافل ضم الفكر الأندلسي في أصالته والفكر المغربي في حيويته وطرافته.

وقد انضاف إلى فن الموسيقى حينذاك فن جديد هو السماع المرفق بالآلة، فبرز منذ العهد السليماني ليكتمل خلال عهد المولى الحسن الأول في نهاية القرن الثالث عشر.

وكانت فئات المهاجرين قد انتقلت في نفس الفترة أوائل القرن الحادي عشر الهجري ضمن حشود وفيرة إلى الجزائر وتونس ومصر والقسطنطينية، كما انتشر قسم منها في مقاطعات اسبانية خارج الأندلس وأشتات أخرى شكلت طلائع التروبادور troubadours في جبال "المور" بجنوب فرنسا

وكان للمارانوس maranos وهم موريسيكو[11] اليهود دورهم في إسهامات لها ميسمها الخاص فهي أذن موسيقى عربية أندلسية مغربية تجذرت أصولها على ضفاف الرافدين وانتقلت مع "زرياب" إلى الأندلس الرطيب حيث تأثرت بعوامل مغربية ظلت خلوا من كل عنصر اسباني وأثرت هي الأخرى في الموسيقى الأوربية وخاصة الألحان الكنسية، وقد أدرج المغاربة في هذه الموسيقى الشرقية طبوعا وموازين وصنائع مما أضفى عليها طابعا مغربيا في كثير من الحالات بجانب الأصول الراقية الأندلسية.

وتنقسم هذه الموسيقى إلى وحدات أو نوبات لكل منها نغمة خاصة تسمى الطبع وهذا الطبع يتكون بدوره من نقط خاصة ويصل عدد الطبوع إلى ثلاثمائة وستة وستين على عدد أيام السنة الشمسية.

والتلحين عند الآليين معناه وضع قطعة موسيقية للتعبير عن عاطفة وإفراغها في نغمات ينسق فيما بينها في توليف متجانس يتكون منه طبع يسبك في ميزان مناسب طبقا لإيقاع خاص له وحدة تؤدى في زمن محدد تسمى "الدور" وقد بلغ عدد الموازين في

---

(10) أمثال عبد الله أعراس في الحسيمة والخضر غيلان في الهبط والدلائيين في الجبل وكروم الحاج في مراكش وأبي حسون بودميعة في سوس.

(11) الموريسك أو الموريسكيون كلمة إسبانية أطلقها الإسبان على الأندلسيين المتنصرين والمهجرين قسرا في القرن السادس عشر الميلادي أي العاشر الهجري ولا يعرفون في المراجع العربية إلا بالأندلسيين.

الأندلس أربعة، أضاف إليها المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج" سمي بذلك لأنه مدرج بين الموازين وهو خاص بالآلة الاشبيلية لا يوجد في المالوف التونسي ولا الغرناطي الجزائري في حين أن الموازين الأخرى هي البسيط و"القائم ونصف" و"البطايحي" و"القدام" ويضبط كل ميزان بما يدعى "التوساد" أي الضرب بالآلة المسماة "الطر" أو باليدين الراحة على الراحة وكان بدل التنويط العصري هو النوطات السبع "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ومازال المغاربة يحفظون من النوبات "احدى عشرة" تتناسق مع موازين عددها "خمسة وخمسون" وقد لاحظ الأستاذ محمد الفاسي أن هذه الموازين ضاع منها ثلاثة هي "قائم ونصف الرصد" و"قائم ونصف الحجاز المشرقي" و"درج رصد الذيل" التي تأمل جمعية الموسيقى العثور عليها، وقد شاطرها والدي رحمه الله هذا الجهد متعاونا مع رئيسها الفنان الحاج ادريس بن جلون.

والموسيقى تسمى الآلة بالمغرب والموسيقارهو الآلي وقد وردت هذه التسمية في (نزهة الحادي) عند الكلام على سيرة المنصور الذهبي، وتسمى أيضا الدندنة بينما تعرف بالغرناطي في الجزائر وبالمالوف بتونس.

وهكذا تتركب كل نوبة من خمسة ميازين يشكل كل ميزان صنعة تحتوي على قطع موسيقية خاصة، والنغمة المنبعثة منها عبارة عن نبرات تتواكب مع معاني المقطوعات الشعرية التي يقع اختيارها طبقا للتناسب لتستجيب لما يوحي به الظرف الزمني من استهلال أو تصاعد أو ارتخاء، وقد لاحظ أخونا الأستاذ الكبير المرحوم محمد الفاسي في بحث قيم نشرته "اللسان العربي"[12] أن النوبة إنما سميت بذلك لأن العازفين كان يتقدم كل واحد منهم أمام الخليفة بما اخترعه ليعزف بدوره ثم تأتي بعده نوبة غيره فسمي المجموع "نوبات"، ولعل هنالك في نظرنا المتواضع تفسيرا آخر يرجع إلى عدد الأوتار أو الملامس أو قوة النقر عليها فالآلات التي كانت مستعملة في العالم العربي عامة والأندلس والمغرب خاصة هي خمسة : الكمان والقانون والأرغن والعود والرباب، وكان لكل آلة نبرة تمتاز بما جعلت أصناف النبرات موازية للميازين الخمسة التي تشكل النوبة.

أما بقية الآلات الموسيقية التي بدأنا نستعملها اليوم فهي مجرد تطوير للآلات القديمة مثل الكمان الجهير Violoncelle والقيتارة Guitare والبيان Piano الذي عوض البيان القيتارى Clavecin.

---

(12) اللسان العربي في عددها السادس (وهي مجلة مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي) بعنوان (الذوق العربي في الموسيقى الأندلسية).

وقد لاحظ أستاذنا الكبير محمد الفاسي أيضا أن الموسيقى الأندلسية كانت تسمى الآلة بالعامية تمييزا لها عن الموسيقى التي تؤدى بدون آلة وهي السماع، ونحن نرى أن السماع لم يكن يعدو مجرد مديح في المواليد النبوية أو التواجد بالحب الألهي دون غزل أو تشبيب في حضرات الذكر الصوفية، فكانت الآلة محظورة في كليهما وإن كان المادحون قد أصبحوا اليوم يرفقون السماع بالآلة مع الاحتفاظ بأناشيد المديح دون ما اعتادته الآلة الموسيقية من موشحات وأزجال يعطينا الحايك صورة واضحة عنها.

وقد ترعرعت الآلة بجميع طبوعها إبان بني مرين حتى كان للجيش المريني نفسه في عهد أبي عنان موسيقاه الخاصة به كما كان للأسطول موسيقاه[13] وهي عادة استمرت إلى اليوم عن طريق "الجوق الملكي" وقد بلغ الاعتناء بهذا الفن مبلغا أصبح معه للموسيقار مكانة كبيرة في المجتمع.

وكان المنصور يجلب إلى مراكش أرباب الموسيقار وأصحاب الأغاني من فاس وكانوا قد وفدوا على المنصور على سبيل العادة فأخرج بعضهم - والقاضي أبو مالك عبد الواحد الحميدي حاضر- بشبابة من الإبريز مرصعة أعطاه إياها المنصور وبعضهم قال أعطاني كذا وكذا.. فقال القاضي : لئن بلغت فاس لأردن أولادي إلى صنعة الموسيقى فإن صنعة العلم كاسدة ولولا أن الموسيقى هي العلم العزيز ما رجعنا مخففين ورجع المغني بشبابة الإبريز[14].

ولعل المغرب قد نال حظا وافرا من الآلة الأندلسية التي احتضنها دون بقية العالم العربي، وإن كان العراق هو الذي أمد الأندلس بأول موسيقار وهو (زرياب)، على أن الأندلس قد عرفت بعد زرياب موسيقارا أندلسيا صميما عد من طبقات زرياب في الغناء هو (عباس بن فرناس) الذي هو أول من حاول الطيران بآلة صنعها بيده[15] واخترع الزجاج من الحجارة.

أما الطرب الغرناطي فهو صنف من الآلة الأندلسية نشأ وترعرع في غرناطة آخر معقل بالأندلس استولى عليه الأسبان عام 897هـ/1481م فهاجر معظم سكانه إلى فاس وتازة وتطوان وأبي رقراق ثم الجزائر (وهران وتلمسان وبيجة) عبر المغرب الشرقي.

---

(13) راجع رحلة أبي عنان المريني المسماة فيض العباب..لإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج.

(14) الاستقصا ج 3 ص : 96 (نزهة الحادي عند الكلام على سيرة المنصور الذهبي).

(15) نفح الطيب ج 3 ص : 473.

وكانت اشبيلية هي عاصمة الطرب الأندلسي منذ القرن الثالث الهجري وقد افتتحها موسى بن نصير عام 712م/94هـ ودخلها المرابطون عام 484هـ أو 490 حسب ابن خلدون، وتولى الموحدون بإمارة أبي حفص بن عبد المومن الذي كان له بها كتاب وشعراء وفنانون حوالي منتصف القرن السادس الهجري، وقد انتقل كرسي المملكة الإسلامية منها الى غرناطة 646هـ/1248م عندما استولى عليها ملك قشتالة في دولة المرتضى بعد أن حكمها الموحدون نحوا من قرن واستمرت في قبضة المسلمين زهاء خمسة قرون. وأصبحت غرناطة منذ ذاك صلة الوصل بين فاس والاندلس طوال عهد بني مرين عندما احتضنت الموسيقى الاندلسية مدة قرنين ونصف القرن فأضافت إلى هذا التراث الإشبيلي عناصر جديدة عرفت بالطرب الغرناطي وكان لغرناطة منذ العهود الأولى ضلع في بلورة الموسيقى الاندلسية لاسيما وأن زرياب علي بن نافع العراقي مؤسس الطرب العربي قد عاش وتوفي بغرناطة عام 230هـ/844م وقد برز المعقل الغرناطي بين أخريات العواصم الأندلسية التي ظلت تحت حكم المسلمين فتجلى ذلك في مقطعات موسيقية كلها شجن وحزن على ما فقده الإسلام من تراث أصيل بالأندلس "الشهيدة" وما لبث هذا التراث الذي تقلصت موازينه وطبوعه أن طعم بنغمات كلها حنين إلى الأندلس عندما هاجر الغرناطيون إلى المغرب الذي احتضن كلا من الآلة الإشبيلية والطرب الغرناطي ساد أحدهما وهو الموسيقى الأندلسية بكامل نوباتها بشمال المغرب "فاس وتازة وتطوان ووزان والرباط وسلا ومراكش" وقبيل وفاة المولى اسماعيل بتسع سنوات كان الفنان الحسن بن أحمد الحايك التطواني الاندلسي الذي هبت أسرته قبل ذلك من تونس قد قام بدور هام، فجمع من الموشحات الأندلسية ما انتشر ولمّ منها ما انتثر في كتابه الحايك وقد توفى بتطوان عام 1130هـ بعد نشاط غامر اتصل ضمنه بمجموع منطقة الشمال بين سبتة والفنيدق وتطوان التي كانت مسرحا لكثير من الاندلسيين المهاجرين ظلوا يترددون بين هذه المراكزمستنشقين هواء الأندلس الشهيدة يرددون الألحان الغرناطية في نغماتها السجية أكثر منها في موشحاتها التي فقدوا نصها بابعادهم إبان محنة غرناطة عن لغتهم ودينهم، فكان للحايك الفضل في وصل ما حملوه معهم بما تجمع من تراث غرناطة بفاس ومن هؤلاء الفاسيين ابن الطاهر المهدي بن يوسف ابن أبي عسرية بن علي بن أبي المحاسن الفاسي الموسيقي 1178هـ /1764م[16]. والذي كان يعزف طبوع الموسيقى ويعزف على العود والرباب وقد تتلمذ للأديب الشبلي المكناسي.

---

(16) تاريخ تطوان ج 3 ص : 66 / عناية أولي المجد ص : 58.

وقد امتاز المغرب بطبوع خاصة مثل "الحصار" الذي اعترف المعجم الوسيط لمجمع القاهرة بطابعه المغربي، وكذلك البسيط وهو المسمى عند المشارقة المحجر[17]، وبطبع الاستهلال الذي اخترعه الحاج علال البطلة في العهد السعدي حسب كتاب في الفن لمؤلف مجهول في المكتبة وحتى الملحون عرف طبعا فريدا هو (السماوية) التي تغنى بصوت منخفض يتصاعد تدريجيا إلى السماء، وقد استعمل الموسيقار كل أصناف الآلات مثل العود والكمان أو الكمنجة violon وهي آلة ذات أوتار أربعة إنضافت إليها في العقود الأخيرة الكمان الجهير violoncelle والبيان piano وهو ألة ذات ملامس clavier وقد عوض البيان القيتاري clavecin الذي هو بيان قديم قيتاري الشكل ولعل القيتار هذا من القتر وهو نصال الأهداف كناية عن تأثير أوتاره وتحريكه للوجدان ويعرف في أوربا guitarre وهو آلة ذات أوتار ينقر عليها بقوة وهي مسطحة الجانبين مشرقية الأصل حسب قاموس "Hachette". وقد عرف العرب "القانون" الذي تفنن الفيلسوف الفارابي في العزف عليه بألحان يثير بها مكامن الفؤاد فرحا وحزنا يضحك ويبكي تبعا لمدى الضغط على الملامس، ومن الآلات العربية التي اتسمت بطابع مغربي خاص الرباب rebec وهو ذو وترين اثنين يعزف عليهما بمنهج دقيق جسّاً بأصابع اليد اليسرى وقد مهر فيه الشيخ البريهي بفاس وربيبه عبد الكريم الرايس والفنان "السبيع" بالرباط كما مهر في القانون صالح الشرقي وهنالك رباب عراقي من أربعة أوتار ورباب شعبي.

كما برز أحمد العسري التطواني الموسيقي الذي اختصر "المذكرة" للتادلي، وقد اختصرها أيضا الموسيقي الفاسي علي بن محمد بن محمد الزجلي[18] وكذا المكي محروس الفاسي وقد برز آخرون أمثال : عبد السلام بن علي بن ريسون "1881/1299" مخترع عود من وتر واحد له "خاتمة" أغاني السيقا للتادلي والسيد عبد السلام وأخوه محمد بنونة كان لهما اتصال بالمسئولين عن الموسيقى بمصر حيث وجه إليهما يوم تاسع غشت 1930 في خصوص المشاركة في مؤتمر الموسيقى العربية بالقاهرة.

وبرز كذلك محمد الشريف رئيس المعلمين الموسيقيين بتطوان[19].

وقد أشرنا في قسم الأعلام إلى جملة من كبار الموسيقيين القصريين.

---

(17) الإعلام للمراكشي ج 2 ص : 199 (الطبعة الأولى).

(18) تاريخ تطوان ج 2 ص: 185.

(19) راجع أغاني السيقا الباب 13.

المولد النبوي منذ العهد المريني

حل ابن دحية الكلبي 633هـ/1235م عام 604هـ/1207م بمدينة "أربل" فاتصل بصاحبها الملك مظفر الدين الذي كان مولعا بالاحتفال بالمولد النبوي فصنف له كتابه "التنوير في مولد السراج المنير"[1].

وقد ذكر الحسن الوزان أنه في العصر المريني كان شعراء فاس يجتمعون كل عام بمناسبة المولد النبوي وينظمون القصائد وكانوا يجتمعون كل صباح في ساحة القناصل يصعدون منصة ويلقون قصائدهم الواحد تلو الآخر أمام الجماهير ويختار أحسن الشعراء نظما وترتيلا أميرا للشعراء في تلك السنة وكان ملوك بني مرين يقيمون مأدبة للشعراء في مدح الرسول بحضرة السلطان وتقام منصة ويحكم الحاضرون ويخلعون على أحسن شاعر خلعة مائة دينار وفرس وأمة مع خمسين دينارا للباقين ولكن منذ نحو مائتي سنة تقريبا توقفت هذه العادة[2].

وقد تحدث عنه احمد المقري في كتابه[3] في عهد المنصور السعدي، واستعرض ما كان يلقى آنذاك من قصائد لكبار شعراء الدولة أمثال الشاعر عبد العزيز الفشتالي، ووصف أنواع المآدب وحفلات الشموع التي يطاف بها في البلد، وكانت كراسة ابن عباد في المولد تقرأ في حضرة المنصور السعدي وقد وقع ذلك عام 1010هـ/1601م[4].

وفي نفس العصر أشار الحسن بن محمد البوريني 1024هـ/1615م إلى الشيخ عبد الله الأعمى المصري قارئ الموالد بدمشق كما أشار ابن المليح المراكشي المعروف بالسراج في رحلته الحجازية "أنيس الساري" عام 1042هـ/1632م إلى قراءة رسالة سلطانية وقراءة قصيدة أمام الضريح النبوي كما كان الأمر في الأندلس وفي عهد المرابطين[5]، وكان الناس يمشون في الأزقة بالمديح بمناسبة المولد النبوي في سبتة في عهد العزفيين[6].

---

(1) روض الأنف للسهيلي ج 3 ص : 281 ط بيروت.

(2) Leon l'Africain Sohefer t.2 p : 131

(3) روضة الآس طبعة 1383-1964 ص : 13.

(4) الإعلام للمراكشي نقلا عن المقري ج 2 ص : 110.

(5) الاعلام للمراكشي ج 7 ص 194 خ.

(6) البيان لابن عذاري ج 4 ص 486.

وكان عبد الله بن عجال المزوري يقرأ نظما له في الأمداح المولدية بين يدي المنصور السعدي[7].

وكان المولد يقام بالمنازل كل سنة كما ورد في ترجمة الفاضل بن عبد المجيد السرغيني الذي كان يقيمه كل سنة بداره ويحضره العامة[8]، ومن المصنفات والرسائل في الموضوع :

- "قصيدة" لإبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى التلمساني الوشقي السبتي.

- "مولد خير الانام" لإبراهيم بن عبد الله القادر الرياحي نسخت عام 1303هـ[9].

- "حجة المنذرين على تنطع المنكرين" لأحمد بن عبد الواحد بن المواز "1341هـ/1922م" رد بها على محمد الحجوي لنهيه عن القيام لولادة الرسول عليه السلام طبع بفاس عام 1338هـ.

- "المولد النبوي" لأحمد بن محمد العلمي نزيل مراكش" 1358هـ/1939م" "طبع بمراكش".

- "مورد الظمآن لشرح مولد سيد ولد عدنان" وهو شرح على مديح أحمد الدردير لتلميذه ابن قدور المغربي محمد اليزمي الاسكندري المكنى الأبيض، وعادة أهل الإسكندرية قراءة هذه التآليف ليلة المولد".

- "كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور" "لأحمد سكيرج" طبع على الحجر بفاس في 24 ص و 16 ص".

- " إسعاف الراغبين بمولد سيد المرسلين" لعبد الصمد بن التهامي بن المدني جنون نزيل طنجة "1352هـ / 1933 م" (ثلاثة كراريس).

- الفيوضات الوهبية في مولد خير البرية.

---

(7) مناهل الصفا مختصر. ج 2 ص : 221 / الاستقصا ج 3 ص : 75/ كتاب حول عادة العلويين في المولد النبوي لاحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج 1316هـ/1839م. في خزانة محمد المنوني / نظام الاحتفال بالمولد في العهد العلوي / العز والصولة لابن زيدان ج 1 ص : 172.

(8) الإعلام للمراكشي نقلا عن المقري ج 8 ص : 21 خ.

(9) دار الكتب الوطنية بتونس ق 137 — س . 15.

- نظم في المولد لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سودة "طبعة على الحجر وعلى الحروف بفاس".

- "ربيع القلوب في مولد النبي المحبوب" للعربي بن عبد الله التهامي الوزاني الحسني الرباطي 1339هـ/1920م طبعة على الحروف بالرباط ص 44.

- "فتح الله مولد خير خلق الله" لفتح الله بن أبي بكر بناني الرباطي "1353هـ/1934م"[10]

- محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي (القصري الأصل) صاحب الوتريات في المدح النبوي (توفي بتونس عام 663هـ). (تنسب لأخيه أحمد (خع 2401)

- "مسامرة الاعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام" "عن ذكر الرسول عليه السلام" لمحمد العابد بن احمد بن الطالب بن سودة "1359هـ/1940م" طبع بالجزائر "1339هـ/1920م".

- "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" لمحمد بن أحمد اللخمي بن العزفي السبتي (الأسكوريال 1741).

- قصيدة رائعة في المولد النبوي لمحمد بن أحمد الصنهاجي وزير القلم في العهد الحسني "راجع نصها في الإعلام للمراكشي[11]

- "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" لمحمد بن جعفر الكتاني (ط. بالرباط 59 ص وعلى الحجر بفاس).

- شرح مولد سيدي محمد بن جعفر الكتاني "لم يكمل" للتهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي.

- "بغية الراجي بالولد الباجي" لمحمد بن عثمان السنوسي (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس "18112").

- "مولد النبي" لمحمد بن قاسم بن محمد الهاشمي الفاسي "1331هـ/1913م" اسمه "سعادة الأمة بمولد خير الأمة" طبع على الحجر بفاس "24 ص".

- محمد ابن محمد الحجوجي (1370هـ/1950م)، "بلوغ القصد والمرام بقراءة مولد خير الانام" طبع على الحجر بفاس في 12 ص".

---

(10) خم 2409.

(11) الإعلام للمراكشي ج 7 ص : 63 (ط – الرباط).

- "المولد النبوي" لموسى بن أبي علي الزناتي الزموري "702هـ/1302م"[12]

- ميمون بن علي بن عبد الخالق ابن خبازة الخطابي. الفاسي توفي بسلا عام "637هـ/1240" حيث رافق إليها الرشيد الموحدي نسب الى خاله الشاعر الشهير بابن خبازة لملازمته إياه وهو شاعر مفلق أعجوبة الدهر في سرعة البديهة عارض ابن الجوزي في بعض فصوله لبس المرقعة، له قصيدة "الميمونة" في المدح النبوي[13] وقد أنشأ وثيقة في بيع قلبه من ربه 326 ص.

- "المدخل المفيد في حكم المواليد" للحكيم المغربي يحيى بن محمد القرطبي[14].

وكان الملوك يهتمون منذ العهد السعدي بالمدح النبوي خاصة بواسطة البردة والهمزية وبانت سعاد وفي عام 1200هـ/1785م دشن السلطان محمد بن عبد الله اتمام بناء جامع السنة بالرباط فأقام حفلا كبيرا حضره المادحون فكان التلحين مناوبة بين أهل فاس وأهل تطاوين وفرق المال على الفقهاء والطلبة والمجاهدين[15] وكان المغاربة يوجهون رسائل وقصائد يمدحون فيها الرسول عليه السلام منها "القصائد المقربة في مدح خير "البرية" لأحمد بن محمد المقري التلمساني الفاسي صاحب "النفح"، وذكر محمد المنوني مجموعة أمداح مغربية توجد في مكتبته وأشار إليها أبو سالم العياشي الذي صنف "مجموعة قصائد على حروف المعجم من 700 بيت[16].

ومن هذه المدائح : "البردة أو الكواكب الدرية من مدح خير البرية" للبوصيري عليها شرح لابن مرزوق التلمساني ومختصر له لشهاب الدين أحمد القسطلاني[17].

- "ديوان في الأمداح النبوية" لابن طاهر عبد الله بن أبي الحسن بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي.

---

(12) الإعلام للمراكشي ج 7 ص : 299 (ط – الرباط).

(13) راجعها في الإعلام ص : 320/ أزهار الرياض ج 2 ص 383/ الاعلام للمراكشي ج 7 ص 313 – ط. الرباط.

(14) "مكتبة أحمد الثالث" 3488.

(15) كتاب النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية لابن زيدان.

(16) الرحلة ج 1 ص : 5 – 9 – 12 – 310. راجع في الأنيس المعرب للعلمي (القصائد العشرة في الشرق للبقاع المطهرة)/ راجع مجموعة من القصائد في ركب الحج المغربي لمحمد المنوني ص : 44.

(17) خع = 2134 = د. م = 1 - 172.

- "الوتريات من مدح أفضل الكائنات" لأحمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي القصري[18].

- "ديوان المرداسي في الأمداح النبوية" لحمدان بن الحاج السلمي المرداسي[19].

- قصيدة بربرية في المدح النبوي. لحمو قيس الشاعر البربري.

- قصيدة لسيدي رضوان الجنوي[20].

- "نفائح الأزهار في أطايب الأشعار" في مدح الرسول عليه السلام للسلطان مولاي عبد الحفيظ بن مولاي الحسن الأول نظمها في الحج عام 1331هـ/1913م "طبعت بالمطبعة العلمية بالمدينة المنورة "في 13 صحيفة".

- ديوان في الأمداح النبوية مرتب على حروف المعجم للسيد عبد القادر بن عبد الله لبريس الرباطي "1332هـ/1914م" وقف عليه بوجندار "الاغتباط".

- السراج الوهاج في امتداح صاحب التاج والمعراج. ديوان في ثلاثة أسفار.

- (خزانة محمد داود بتطوان الجزء الثالث / دار الكتب الوطنية بتونس "ف 204 س 15" 225م بعنوان النجم الوهاج في مدح صاحب المعراج)[21].

- (لوامع الأنوار في مدح الصلاة على النبي المختار)[22] لعبد الكريم بن عبد السلام زاكور.

- حلي نحور حور الجنان في حظائر الرحمن. "3600 بيت" لعلي بن سليمان الدمناتي "1306هـ/1888م" ارتكب فيه غريب اللغة. "طبع بمصر - المطبعة الوهبية 1928هـ/1888م"

- "مفرجة الكرب في مدح سيدي العجم والعرب" لعمر بن الحاج السعدي[23]

---

(18) خع = 2401 = د م = 1 - 52.

(19) خم = 1003.

(20) خم = 5779.

(21) خع 1830 / السفر الأول / خم 5940.

(22) عبد الكريم بن عبد السلام زاكور. ق 204 س 15 ق 182 - س 15 / خم 2358..

(23) خم = 5911.

- الحلة السيرا في مدح خير الورى. لمحمد بن جابر الهواري (780هـ/1378م) شرحها أحمد بن يوسف الرعيني "779هـ/1377 م"[24]

- قصيدة في المديح النبوي لابن جزي محمد بن أحمد شهيد وقعة طريف (741هـ/1340م)[25]

- "ديوان كبير في الأمداح النبوية والصالحين والرؤساء" للشاعر ابن داني محمد بن أحمد الندرومي.

- قصائد في المدح النبوي لمحمد الطالب بن حمدون بن الحاج.

- لامية في المديح النبوي لمحمد الأمين بن عبد الله الحجاجي الصحراوي 1295هـ/1878م[26]

- ديوان في المدح النبوي لمحمد بن محمد بن المعطي السرغيني "1329هـ / 1911م"[27]

- **السيرة النبوية** : صنف فيها علماء المغرب والأندلس رسائل متعددة نذكر منها : نتيجة الخبر ومزيلة الغبر في نظم المغازي والسير. لإبراهيم بن أبي بكر الوشقي السبتي[28]

- "شرح غريب السيرة" لابن أبي الركب مصعب أبي ذر الخشني قاضي جيان في عهد المنصور الموحدي "توفي بفاس عام 604هـ /1208م"

- مختصر في السيرة النبوية لابي بكر بن العربي المعافري[29]

- " أعذب المناهل على الشمائل" لاحمد بن جعفر الكتاني.

- شرح على عمدة الأحكام عن سيد الأنام لعبد الغني المقدسي "600هـ /1203 م" لأبي العباس بن احمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (741هـ/1340م)، ويوجد شرح آخر لأحمد بن يوسف بن محمد الفاسي "1021هـ/1612م"

- "زهرة الخمائل من روح ختم الشمائل" لاحمد بن قاسم جسوس "1331هـ/1912م"

---

(24) خع = 1966 د ص: 440 . الأصل والشرح في مكتبة ليدن "2" . 29.

(25) (خع 6992)

(26) خم = 6695.

(27) راجع نماذج منه في الإعلام للمراكشي ج 6 ص : 260 (الطبعة الأولى).

(28) مكتبة الأسكوريال 390..

(29) خم = 527.

- "الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا" لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري[30]

- "نظم الشمائل المحمدية" للسطان عبد الحفيظ العلوي طبع بفاس في 80 ص.

- تقييد على الشمائل "لم يكمل لعبد الرحمن بن العشاب "724هـ/1323م"

- "مختصر السيرة والمغازي" لابن الصغير عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري اختصر فيه سيرة أي اسحاق.

- "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية "عبد الرحمان السهيلي" تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل[31] "ومعه نص السيرة لابن هشام".

- مفتاح الشفا في التعريف بحقوق المصطفى. للشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر القاسي "ثلاثة أسفار مات دون إتمامه وقد حادى فيه "الشفا" للقاضي عياض (توجد نسخة بالمكتبة الفاسية بفاس).

- "غاية الوطر في نظم ما قد حل من السير" للشيخ عبد الرحمن القاسي المذكور.

- ألفية السيرة للشيخ عبد الرحيم العراقي شرحها الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران ويسمى "الدرر السنية في نظم السيرة النبوية "[32]

- "الدرة الخطيرة في مهمة السيرة" لعد السلام بن الطيب القادري.

- "مورد الصفا في سيرة النبي والخلفا " لعبد السلام بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله[33]

- " اختصار القاضي عياض لكتاب شرف المصطفى " لأبي سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري" (406هـ /1015م) في ثمانية مجلدات ويسمى "شرف النبوة".

- ربيع القلوب في مولد النبي المحبوب" لأبي حامد العربي بن عبد الله التهامي الوزاني طبع بالرباط "44 ص".

---

(30) خع = 2313 د (م = 1 - 90) الجزء الأول غير تام / ثماني نسخ في خم / طبعت قطعة صغيرة من أوله بالجزائر عام 1931.

(31) دار الكتب الحديثة القاهرة 1967"

(32) خع = 2478 د 62 ص خع = 2064 د 513ص / خم = 1650 - 9759

(33) خق = ي 52 / خم = 2541.

- "شرح الشمائل النبوية" في مجلد ضخم للعربي بن علي المشرفي المعسكري.

- "تحفة الأخيار على شمائل النبي المختار". لعلي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي[34].

- "تقييد على سيرة ابن هشام" لعلي بن إدريس قصارة[35].

- (منجزات جنان الشفا في معجزات جناب المصطفى) حسبما اقتضته حروفه الأربعة "لعلي بن سليمان الدمناتي (1306هـ/1888م) "شرح فيه العلوم المستخرجة من اسمه صلى الله عليه وسلم محمد في عدة مجلدات

- تأليف النسبة النبوية[36] لابن فرحون علي بن محمد بن أبي القاسم اليعمري التونسي الذي قرأ بمدينة فاس "746هـ/1248م"، وقد نظم مختصر اليعمري محمد بن سعيد المرغيشي وله أيضا شرح على قصيدة زهير مع تخميس لها.

- "نظم الدرر بأبي أحمد أجل البشر" في المعجزات النبوية لأبي الحسن الرهوني الذي كان حيا أواسط القرن السابع الهجري، وهو رجز في 6.300 بيت قدمه لأبي حفص عمر المرتضى الموحدي[37].

- "خصائص النبي صلى الله عليه وسلم" لعمر بن علي بن أحمد بن محمد الواد آشي "804هـ/1401م" "دار الكتب المصرية 460" "تاريخ".

- " أنجع الوسائل في شرح الشمائل" لابن مخلص قاسم بن محمد[38].

- "مستعذب الأخيار بأطيب الأخبار" لأبي مدين محمد بن احمد بن محمد عبد القادر الفاسي "1181هـ/1767م" وهو شرح لمختصر أحمد فارس الرازي في السيرة النبوية[39].

- "الوصول إلى السول" في نظم سيرة ابن هشام "المجلد الأول" في 8183 بيتا[40] لفتح بن موسى بن حماد نجم الدين الجزيري القصري المغربي "663هـ/1265م"

---

(34) خم = 1695.

(35) خم 2207

(36) خم 5020

(37) حق ل 40 / 291.

(38) تسع نسخ في خم من 313 إلى 1483

(39) السلوة ج 1 ص: 322. / خع = 1149 د / 1641 د / 1663 د .

(40) خم = 1668 الموجود منه المجلد الخامس والأخير.

- "انجح الوسائل في شرح الشمائل" لابن مخلص قاسم بن محمد[41]

- "مختصر اليعمري في السير" لمحمد بن سعيد المرغيشي صاحب (المقنع) وقد نظمه ولده محمد.

- "أشرف الوسائل برواة الشمائل " لمحمد العربي بن الطيب القادري.

- "منية السائل خلاصة الشمائل" لعبد الحي محمد عبد الكبير الكتاني "1382هـ/1962م"[42]

علماء السيرة وأنسابهم وأبناؤهم" لمحمد بن عبد الواحد العفيفي الملاحي "619هـ/1222م"

- حاشية على الشمائل لمحمد الفضيل بن الفاطمي الادريسي الزرهوني سماها "الفجر الساطع على الصحيح الجامع".

- "مطلع الأنوار في شمائل المختار" لابن عتيق محمد اللاردي الغرناطي و"السيرة النبوية والأعلام المحمدية" لمحمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ ابن المناصف المتوفى بمراكش "620هـ/1223م"[43]

- "شرح شمائل الترمذي" لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم جسوس "1182هـ/1768م "[44]

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس بن محمد الإشبيلي اليعمري[45]

---

(41) عدة نسخ في خم = من 313 إلى 1483.

(42) خع 29 19 د / م = 127- 152 طبع على الحجر بفاس (1325هـ/1907م).

(43) مكتبة الكتاني / ق 58 س 15.

(44) ست نسخ في خم (من 552 إلى 2182 في مجلد ضخم / خع 347 د (في مجلدين) نشر بالقاهرة عام 1306هـ/ وفي بولاق عام 1296 وفي فاس وتوجد نسخة مبتورة الأول في خع 2466 ذ (ص 116).

(45) خع = 2082 د. 259 صفحة الجزء الثاني فقط وتوجد نسختان أخريان في خع أحداهما تامة (597 د) والأخرى (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) لابن سيد الناس بن محمد الاشبيلي خع 2082 د (259 ص). فيها الجزء الثاني فقط (1289 د) طبعت بالقاهرة في جزئين 1356 هـ/1938 م اختصرها من المغاربة محمد بن سعيد المرغيثي ونظمها ولده وعلق عليها خالنا محمد أحمد بن عبد الله الرباطي.

- "شرح غريب السيرة" جزءان مطبوعان لمصعب بن محمد أبي ذر بن أبي الركب الحشني دفين فاس.

البـــردة :

البردة : قصيدة الإمام البوصيري في المدح النبوي تسرد في الحفلات العامة والخاصة مع الهمزية "وهي له أيضا" وكانت هذه القصيدة محط اهتمام العلماء والأدباء والشعراء المغاربة الذين كتبوا عليها تعاليق وشروحا مستفيضة منها :

- شرح البردة لابن سليمان "882هـ/1477م"[46]

- شرح البردة لابن عطية عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن المديوني الشهير بالجادري موقت منار القرويين "839هـ/1435م".

- شرحها محمد بن علي بن محمد العدلوني الدمناني[47].

- شرح محمد بن المعطى بن احمد السرغيني سماه "التوشيح"

- شرح أبي حامد محمد المكي البطاوري اسمه " نسيم الوردة في تسنيم البردة "[48].

- "المنهل الفسيح على بردة المديح" لاحمد بن جعفر الكتاني "وهو صاحب الوتريات أيضا في الأمداح النبوية والنظم العجيب في الفرح بولادة الحبيب".

- شرح لاحمد بن عبد الله القصار[49] "وآخر هو (الجواهر السنية في شرح الكواكب الدرية) لاحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني "1146هـ/1733"[50].

- شرح البردة لاحمد سكيرج سماه "الوردة على تخميس البردة" طبع على الحجر بفاس مرتين "ضوء الظلام في مدح خير الأنام" طبع على الحجر بفاس مرتين في 12 ثم 16 ص.

---

(46) خم = 5661/1091.

(47) الاعلام للمراكشي ج 7 ص : 66 ط لرباط.

(48) خع = 1819 د – م د 43–99.

(49) خع = 914.

(50) أحمد بن عجيبة "مكتبة تطوان 281".

- شرح البردة لاحمد بن محمد بن الحسن بناني قاضي الرباط "1340هـ /1921م" سماه "اتحاف اهل المودة" "لم يكمل".

- قصيدة في المدح النبوي لاحمد المقري صاحب نفح الطيب[51]

- "مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية" لأحمد بن محمد القسطلاني المدعو البطاش الرفاعي الرباطي 1256هـ/1840م اختصر شرح الشيخ زروق على البردة[52]

- صلاة على النبي لأحمد بدوي[53]

- شرح البردة في "مجلد" لإسماعيل بن الأمير يوسف بن الأحمر نزيل فاس 807هـ/1404م.

- منظومة في السير على نهج البردة اشتملت على أربعة آلاف بيت لحمدون بن الحاج شرحها في خمسة أسفار.

- شرح البردة لسعيد بن الكرامي "882هـ/1477م"[54].

- "القصيدة العقيقة بالملحون "302 من الابيات" لسعيد بن عبد الله المنداسي دفين الرتب قرب سجلماسة[55].

- شرح البردة لسعيد بن محمد العقابي التجيبي التلمساني 811هـ/1408م

- "بغية المستهام في مدح خير الأنام لعبد الرحمن بن زيدان نقيب العلويين عارض بها بردة البرصيري شرحها محمد بن أحمد العلوي قاضي فاس "مجلدان في الخزانة الزيدانية". و"كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج" "همزية من 300 بيت "ط. على الحجر بفاس زمن المؤلف وبتونس على الحروف شرحها محمد الفاسي بن المكي السنتيسي المكناسي. اسمها "هداية المنهاج في شرح كفاية المحتاج".

- تخميس على البردة لعبد الرحيم بن التازي[56].

---

(51) خع = 2173 د – م = 231–232.

(52) خع 1234 د ص : د 1 – 172.

(53) دار الكتب الوطنية بتونس ق. 56 – ص : 14.

(54) خم = 1096 / 5661.

(55) خع = 1656 د.

(56) خع د 830 د.

- خواص بعض أبيات بردة البوصيري لعبد السلام بن ادريس المراكشي" 660هـ/1262م"[57].

- شرح البردة بالبربرية لعبد الله بن يحى الحامدي[58].

- شرحها لعبد الواحد بن عاشر في "شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح"

(النصيب والحظ) لعلي بن محمد السملالي السوسي[59].

- شرح بردة البوصيري للقاسم بن إبراهيم حسين بن علي بن عبد الله الماجري[60].

- شرح البردة لابن مرزوق "محمد بن احمد بن محمد الحفيد اسمه" اظهار صدق المودة في شرح البردة[61]. اختصره شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني في "مشارق النوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية[62].

- تعليق على البردة لمحمد بن عبد الواحد النظيفي سماه "تعليق مليح على بردة المديح" "طبع على الحروف بفاس".

- تخميس البردة لمحمد بن علي الشاطبي الأندلسي البرجي "870هـ/1465م"[63].

- حاشية على شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري لمحمد بن قاسم القادري (1331هـ/1913م) سماها " الكوكب اللامع الذري على شرح البردة للأزهري طبعت بفاس

- "الموارد الشهية في شرح البردة البوصيرية" في سفرين لمحمد بن المبارك الهشتوكي 1313هـ/1825م.

- شرح قصيدة البردة للبوصيري لمحمد الألبيري ثماني نسخ[64].

---

(57) خع = 1086 د / خم 4995 / 5354. ملحق بروكلمان ج 1 ص: 469.

(58) خع = 1098 د.

(59) خم = 3811.

(60) خم = 3191.

(61) جزءان في خع 1713 د مع تلخيصهما (خع 1625 د/ 1665 د/ المكتبة الوطنية بتونس 4580 م/ مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية OR 2570/ خمس نسخ في خم = من 1427 إلى 5425./ كشف الظنون ج 2 ص : 1335 / هدية العارفين للبغدادي ج 1 ص : 139 / ذيل ملحق بروكلمان / ررقم 468 / 15.

(62) خع = 2134 د (م = 1 - 172.) راجع ما سبق حيث يعتقد أن المقصود هو القسطلاني الرباطي.

(63) مع شرح خع = 831 د.

(64) خم = من 379 إلى 9845.

- الهمـــزية : قصيدة قافيتها الهمزة للإمام البوصيري هو محور الأمداح والسماع في عيد المولد النبوي بالمغرب وقد شرحها أو خمسها عدة شعراء مغاربة ومن هؤلاء :

شرح للشيخ سيدي أحمد التجاني (مطبوع)

* أحمد الأقطع البرنوسي له " النخبة السنية في شرح القصيدة الهمزية[65].

* أحمد بن جعفر الكتاني له :

1) "الهمزية البهية في مدح خير البرية"

2) الفتوحات الإلهية على الهمزية البوصيرية

3) عقد الدر النفيس على شرح الهمزية للشيخ بنيس.

- نسيم الأذواق في تحريك الأشواق "اكثر من 10 بيت" وهمزية في المدح لاحمد ابن صالح الدرعي.

- مقصورة في المديح النبوي لاحمد عبد الحي الحلبي ورد على المغرب عام 1080هـ 1670م[66]. هل هي "عرائس الافكار في مدائح المختار"[67] ؟ له أيضا :

2 - ديوان المدائح النبوية.

3 — الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية[68]

4 - معراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول

شرح لابن فقيرة احمد المكناسي الرباطي "1362هـ/1943م"

- أحمد بن محمد بن أحمد بنيس له "أنوار الكواكب الدرية في شرح همزية البوصيري"[69].

شرحها لعبد القادر بن محمد السجلماسي[70].

---

(65) خم = 6622 مبتور الأخير.

(66) خم = 4309.

(67) خم = 5777.

(68) خع = 346 د — 347 د.

(69) خم = 991.

(70) خم = 2711 - 5068 - 8144.

- شرح لمحمد بن احمد الحضيكي نزيل آية آسى "1189هـ/1775 م"[71].

- شرح لمحمد بن عبد الرحمن الصومعي التادلي

- لابن زكري محمد بن عبد الرحمن الفاسي (1144هـ/1731م) قصيدة عارض بها همزية البوصيري في 551 بيتا مطلعها :

ربنا منك للحبيب جزاء تقتضيه الأرواح والأجزاء

طبعت على الحجر بفاس 32 ص[72]. كما له شرح همزية البوصيري[73]

- شرح الهمزية لمحمد زنيبر[74].

---

(71) خع = 1658 د.

(72) نسختان في خع 1071 د / 492 د.

(73) شرح في جزئين خع 1799د توجد ست نسخ في خم = من 746 إلى 8444.

(74) مكتبة تطون 92-246.

Paul Paquignon Le Mouloud au Maroc R.M.M xiv (1911) 525 – 536.

P. Ricard. le Mouloud à Fés , les Aissawa France –Maroc 14 Mars 1917.

القسم الثاني
العرائش

مسار العرائش

كانت العرائش تعرف ب "سفدد" عندما حكمها أحمد بن القاسم جنون الإدريسي الذي كان تابعا لمحمد الناصر الأموي صاحب قرطبة عام 337هـ/948م وقد أخرجه منها جوهر الصقلي قائد الفاطميين واستعادها المروانيون إلى أن حررها يعقوب المنصور الموحدي فاتخذها العرب الهلاليون قاعدة أطلقوا عليها اسم العرائش فجددوا بناءها وغيروا اسمها عام "657هـ/1258م" على يد يوسف بن علي[1]، وقد دخل النصارى حصن العرائش عام 668هـ/1269م وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا المدينة[2]، وظلت خربة أزيد من قرنين إلى عام 910 هـ فاحتلها البرتغاليون وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدي عام 986هـ فحصنها وبنى قصبتها وكان البرتغاليون قد استولوا في نفس الوقت على حصن قونيتي بأكادير وسواحل السوس ورد "روبير ركار"[3] على صاحب "الاستقصا" فلاحظ أن العرائش لم يحتلها البرتغاليون قط وأن الإسبان هم الذين استولوا عليها من 1610 إلى 1680، والواقع أن ملك اسبانيا المستبد بالبرتغال كان يحاول احتلال المغرب للانقضاض بعد ذلك على الجزائر وقد خشي "الباب العالي" في نفس الوقت تحالف المغرب مع اسبانيا وهدد بالزحف على المغرب وخاف المنصور من وجود مولاي إسماعيل نجل السلطان مولاي عبد الملك في القسطنطينية ولم يكن السلطان "مراد" واثقا من الأمير "علوج" الذي أشيع أنه يعتزم الاستقلال بالحكم في الجزائر حوالي "970هـ" وهذا التجاذب في المصالح هو الذي دفع كلا من المنصور ومراد إلى التهادن وشجع المنصور على المماطلة في إمضاء مشروع المعاهدة في "ثاني غشت (989هـ/1581م) لإقرار الهدنة عشرين سنة مع اسبانيا وتسليمها العرائش وكان ملك فرنسا "هنري الثالث" قد أكد في رسالة عام "977هـ/1580م" أن مهادنة الباب العالي لفيليب الثاني ملك الأسبان ستمكن هذا الأخير من الزحف ضد المغرب لذلك يجب تنبيه الأستانة إلى الأخطار التي ستنجم عن ذلك[4] وكانت فرنسا تشجع (أنطونيو) لاعتلاء عرش البرتغال.

وقد بلغت الهدايا التي توصل بها السلطان أحمد المنصور "700.000" درهم للتنازل عن العرائش مقابل مركز آخر من المراكز التي يحتلها الإسبان بالمغرب ولكن هذه

---

(1) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص 97- طبعة الجزائر 1920.

(2) الذخيرة السنية ص 137.

(3) هسبريس ج 33.

(4) دوكاسترى السعديون، السلسلة الأولى ج 2 ص: 86.

المفاوضات أخفقت وقام المغاربة بتحصين المدينة وتدل رسالة أخرى لملك فرنسا هنري الثالث على أن الباب العالي وجه هدايا إلى فاس بعد شيوع نبأ المفاوضات المغربية الاسبانية[5] وكانت العرائش مركزا لقراصنة الأتراك. وذكر R.O.C في رحلته[6] أن مولاي الشيخ بن أحمد المنصور داخله الرعب بعد انهزام ولده عبد الله وانتصار مولاي زيدان فوجه تاجرا إيطاليا هو Gianettino Mortara "جيانيتينو مورطارا" إلى الملك فليب الثالث يعرض عليه تسليم العرائش وسلا والقصر الكبير ومراكز أخرى مقابل انجادات الإسبان فنجحت المفاوضات ووعد "مورطارا" بألفي دوكا عند تسليم المراسي المغربية وفي آخر غشت 1608 توجه أسطول إسباني من مائة قطعة نحو العرائش كانت أسبانيا تهدد بتجنيد "8000" أندلسي للزحف على العرائش فهب ثلاثون الفا من العرب إلى الساحل لمقاومة الإسبان الذين سلم إليهم قائد العرائش مفاتيح المدينة ولاحظ تعجيلهم بالمجيء فعادوا أدراجهم دون نزول ويقال بأن (أنطوني شيرلي) كان في هذا الأسطول وقد استولى الإسبان عليها بإعانة الشيخ المامون في رمضان 1019هـ/1610م.

وقد خصص الباب العالي منحة سنوية لمولاي عبد الملك وأخيه عبد المومن في تلمسان وقدرها 4.000 أو 5000 دوبل[7] وذلك قبل أن يساعده بعشر سفن لنقل العتاد وعشرين مدفعا وبعشرة آلاف جندي تركي[8] وقد بلغ عدد السفن التركية في المغرب في هذا العهد نحو الخمسين[9] معظمها في سلا والعرائش[10].

وعندما سلم محمد الشيخ المامون بن المنصور العرائش إلى النصارى عارضه محمد ابن علي الأغصاوي فقتله صبرا بفاس عام 1017هـ وفر الشيخ العربي بن يوسف الفاسي وأخوه أحمد من فاس[11]. هنالك انبرى السلطان المولى إسماعيل فحرر "العرائش" من قبضة الإسبان[12] عام "1100هـ/1688م" على يد القائد أحمد بن حدو البطوئي وكان على رأس المجاهدين.

---

(5) دوكاسترى – س.أ. – السعديون ج 2 ص 112.

(6) س.أ. السعديون 1925 – م . 2 ص 381.

(7) السلسلة الأولى – السعديون ج 3 ص 206.

(8) السلسلة الأولى – السعديون ج 3 ص 215.

(9) السلسلة الأولى – السعديون ج 3 ص 239.

(10) السلسلة الأولى – السعديون ج 3 ص 246.

(11) سلوة الأنفاس ج 1 ص: 266، (روضة الآس للمقرى والصفوة للإفراني)

(12) الإتحاف لابن زيدان ج 2 ص : 72.

وكانت روح الجهاد تذكي المولى إسماعيل الذي عمل على تحرير مراكز الاحتلال الإسباني، كما يقول أحمد المهدي الغزال في رحلته من أن المولى إسماعيل كان ولوعا بالجهاد في مرسى العدوتين سلا والرباط والعرائش في الشتاء فقط حيث يقل الماء خارج الشتاء ويعلو الرمل بأفواه المراسي "الحاجز الرملي Barre" فيمنع من اجتياز القراصين بها[13]، أما الأسرى فقد بلغ عددهم 1.700 وفي عام 1101 ورد نصارى اسبان لفداء مائة أسير فاشترط المولى إسماعيل "500" أسير مقابل "5000" كتاب مع مال غزير وبعث بعض كتابه لاختيار الكتب[14].

وقد دفعت أسبانيا مقابل تحرير مائة أسير إسباني من ضباط العرائش 1051 أسيرا مغربيا وجزائريا[15] علاوة على نفقات بلغت مائة وخمسين ألف بسيطة[16] وورد في مذكرة جان إيستيل J.Estelle أن فرنسا اقترحت استبدال أسيرين بأسير مسيحي، ولكن مولاي إسماعيل تنازل لتعويض رأس برأس[17].

وفي عهد المولى محمد بن عبد الله هجم الفرنسيون على سلا والعرائش[18] وقد انهزم الفرنسيون عام 1178هـ/1764م بفضل تدخل قطعة بحرية مغربية كانت ترابط في مرسى العرائش وهي سفينة "الرايس سالم" وكان الأسبان قد حاصروا العرائش بسفنهم ودخلوا المرسى بالقوارب فأطبق عليهم المسلمون بوادي العرائش بقيادة الحبيب المالكي على رأس جند من بني مالك وأهل الساحل وبني جرفط وسفيان وكان المولى محمد الثالث قد جهز المدينة وحصنها عام "1172هـ" كما حصن مجموع مراسي الأطلنطيك إلى الصويرة[19] وبالرغم من ضخامة الأسطول الفرنسي المغير وعدد الأنفاض والقذائف "أربعة آلاف ونيف وثلاثين نفضا" فقد استطاع الجيش المغربي البطل أسر أحد عشر مركبا وأسر نحو الخمسين من البحارة الفرنسيين بينما قتل ثمانون وعلقت رؤوسهم في صقالة سلا[20] وقد أحرقت إحدى سفن السلطان وفرت أربع سفن فرنسية.

---

(13) الاستقصا ج 4 ص : 29.

(14) تاريخ الضعيف م 73.

(15) تاريخ الضعيف م 120.

(16) السلسلة الثانية - العلويون ج 3 ص 428-437.

(17) تاريخ الضعيف م 441.

(18) الاستقصا ج 4 م 99.

(19) تاريخ الضعيف م 167.

(20) الاستقصا ج 4 م 100.

ونجم آنذاك عن ترويج بيع الأسلحة وحملها فوضى وتناحر فأصدر المولى سليمان عام "1213هـ/1798م" أمره بأن لا يحمل السلاح غير المخزن وكذلك شراء البارود وأبطل دار العدة، فكتب علماء تطوان وطنجة والعرائش لعلماء فاس لإعلام السلطان بأن البحر عامر بسفن النصارى وأن المسلمين لا سلام لهم، فسكت علماء فاس عدا شادن الفاسي، ثم جاء أمر السلطان بإطلاق بيع البارود[21].

وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام على مضاعفة التحصينات ومراقبة المياه الإقليمية الوطنية فكان الأسطول المغربي- على قلته آنذاك يطارد مراكب القراصنة الأوروبيين.

وبعدما استاق الرئيسان عبد الرحمن بركاش وعبد الرحمن بريطل بعض مراكب النابريال لعدم حملها لورقة الجواز إلى كل من مرسى العدوتين والعرائش هجم النابريال بستة قراصين على العرائش عام 1245هـ ورموها بالكور ونزل جنود في سبعة قوارب إلى المقصرة "وهو موضع بالساحل" فأوقدوا النار في المراكب السلطانية أخذا لثأرهم فانثال عليهم المسلمون من كل جهة وعبر إليهم أهل العرائش وفتكوا بهم حيث قتلوا منهم حسب (متويل) ثلاثة وأربعين عدا الأسرى وتركوا مدفعا وكثيرا من العدة وكانت هذه الواقعة سببا في عدول المولى عبد الرحمن عن القراصين الجهادية وقد سبقت بسنة واحدة احتلال فرنسا للجزائر[22].

وقد نقل جيش الأوداية من فاس إلى العرائش "عام 1248هـ 1832م" لتعزيز الدفاع في المنطقة كما عززت المرسى بفيالق الطبجية "المدفعية"[23].

وقد بدأ تواطؤ الاستعمار اللاتيني بالمغرب الأقصى على إثر الاتفاق السري المبرم عام "1904م/1322هـ" بعد أن مهد له بتدخلات ومناوشات أواخر القرن الماضي، وليس من الصدفة أن يحتل الجنرال الأسباني "الفاو" منطقة النكرون في الطريق بين سبتة وتطوان يوم 22 ماي 1911 بينما دخل الجنرال "موانيي" الفرنسي قبل ذلك بيوم واحد إلى فاس وبعدها بأسبوعين اثنين "8 يونيه 1911" احتل الأسبان العرائش والقصر الكبير وآنذاك تفجرت مظاهرات شعبية خلال شهري يونيه ويوليوز وقت في تضامن الأسبان والفرنسيين لأن هؤلاء كانت لهم أطماع في القصر الكبير وقد تم احتلال تطوان يوم 19 يناير 1913.

---

(21) تاريخ الضعيف م 313.

(22) الاستقصا ج 4 ص : 183.

(23) الاستقصا ج 4 ص : 103.

الإنسان الأول لم يمر بالعرائش

لعل الإنسان المغربي الأول انطلق من الشرق نحو "الغرب" ساحل البحر الأبيض المتوسط مواصلا مساره من فلسطين عبر قفصة بتونس إلى "وجدة" حيث تم العثور على جمجمة مستحجرة في "تافوغالت" وأخرى في فاس، ويظهر أن هذا الإنسان حول سيره إلى الأطلس الأوسط إلى أن بلغ منبع نهر أبي رقراق، فانحدر نحو الربض الغربي لشالة في "هرهورة" حيث عثر على مستحجرات إنسانية من بينها جمجمة اتسمت بطابع ما عثر عليه في فلسطين، وقد اضطر الإنسان الأول على ما يلوح إلى الانحياز عن مساره على طول شواطئ المتوسط "الغرب" وكان آنذاك مغمورا بالمياه من جبال الريف شمال أبي رقراق إذ كان البحر يغطي مجموع المنطقة إلى ممر تازة، وكانت سلسلة جبال أوكارطا Ougarta تطفو عمليا فوق سطح الماء ولم تنحسر هذه المياه إلا قبيل نهاية العصر الأكادي "Ere Acadienne" وخلال العصر الكمبري الأعلى وقد تكونت منطقة "السهول" ممتدة إلى أسفي أي بين نهري أبي رقراق وأم الربيع وهو ما سمي بعد ذلك بتامسنا منذ العصر الكمبري. وقد عثر على عناصر مستحجرة قرب الدار البيضاء هي أقدم ما وجد في الشمال الإفريقي، مما يدل على أن الإنسان ربما وجد في المغرب في عهد سحيق مثله مثل إنسان أوربا الغربية أي في "عتبة العهد الجيولوجي الرابع".

وقد تأكد وجود الإنسان الأول في المغرب عندما تم الكشف في أبواب الرباط "القبيبات" عن شظايا جمجمة بشرية وهي كما يظهر بقايا إنسان ما قبل التاريخ من نفس فصيلة إنسان "النياندرتال" "Homo Neandertalensis" Neandertal وقد عثر عليها قرب أشقار بإقليم طنجة وتوجد نماذج من ذلك في أمريكا Peabody museum of American archaeology and Ethnology – Harvard University – Cambridge,

ويلوح أن المعطيات المستخلصة من "منجم القبيبات" تسمح بتحديد ميقات نسبي لإنسان الرباط هو نفس تاريخ إنسان النياندرتال بل إن ما عثر عليه في مناجم فلسطين يرجع لنفس التاريخ، وهذا الثالوث المستحجر هو أول ما وقع الكشف عنه، ومناجم فلسطين هذه هي مستحجرات جبل كرمل وجبل كفزة قرب الناصرة فإنسان جبل كفزة شبيه في فكه وحنكه بإنسان الرباط وقد عثر على جمجمة في "تافوغالت" إحدى جماعات

دائرة بني اسناسن "إقليم وجدة"[1] وهي تعطي صورة عن أدوات يرجع تاريخها إلى ألفين من السنين قبل فجر العصر الحجري الحديث وتليها دراسة حول حفريات مغارة كيفان بلغماري بناحية تازة حيث توقف الغمر المائي في ممر تازة وفي الأخير دراسة حول حفريات مناجم المغرب الأطلنطيكي بورغة العليا "مغارة عين معطوف ومركز تاونات".

وقد لاحظ العالم الباكستاني مولانا قوصر نيازي Causer Niaser في كتابه "خلق الإنسان"[2] أن الأستاذ "كارلطون" أكد أن العالم خلق قبل الميلاد بسبعة آلاف سنة وقد ورد ذلك مفصلا في كتاب تاريخ الإنسان The history of Man كما لاحظ ويلز H.G.Wells في كتابه (الخطوط الكبرى للتاريخ)[3] أن هذه المدة يمكن رفعها إلى إثني عشر ألف سنة بل وحتى عشرين ألفا على الأكثر ولم يقل أحد من العلماء قبل قولة داروين عام 1858م إن عمر الإنسان سبعمائة ألف سنة وقد فند العالم الباكستاني هذه الدعوى بالحجج العلمية في جزء كبير من كتابه مستندا أيضا إلى نصوص المؤرخين والفلاسفة والنسابين.

ومذهب النشوء والارتقاء هذا مذهب كان معروفا عند العرب قبل داروين، فقد قال الخازن : "إن الجهلة حينما يسمعون بتحول بعض الأجسام بطريق التكامل يعتقدون أنه مر بصور الأجسام المعدنية الأخرى أي أنه كان رصاصا ثم صار قصديرا ثم صار من نوع سهب الرمل ثم فضة إلى أن انتهى ذهبا ولا يدركون أن الفلاسفة يريدون بما يقولونه الإنسان أيضا إذ لم يصل إلى الحالة التي هو فيها الآن بالانقلاب السريع بل بالتدريج كأن مر من صورة العجل فالحمار فالفرس فالقرد إلى أن انتهى إنسانا"[4].

---

(1) حسب دراسة Abbé Jean Roche – l'épipaléolitique marocain – Bertran lisbonne, Didier, Paris, 2 vol. 262 p.

(2) Creation of man p : 6.

(3) Outhine of history p : 63.

(4) حاضر العالم الإسلامي ج 1.

معالم العرائش

توافرت القرى حول العرائش كباقي مدن وحواضر المغرب فكانت بين الواحدة والأخرى مرحلة وهي: المسافة بين النزلة والنزلة وهي تقدر بمقاييس 40 و50 كلم. وقد وصف لنا "مندوسا" في كتابه "يومية إفريقيا"[1] أنه قطع المسافة بين فاس ومراكش في طريق تادلا في أزيد من ثلاثين مرحلة والمسافة بينهما تبلغ نحو 500 كلم، وقد تحدث بعض المؤرخين عن ثلاثين ميلا وهي تعدل نفس البعد تقريبا.

وكانت منطقة جبالة والهبط هي المجال الواسع الذي ترعرعت فيه قبائل شتى، انضم إليها "بنوعامر" وهم بطن من زغبة الهلاليين انحدروا من ناحية وهران بالجزائر فانتشروا حول العرائش وسلا وطنجة إلى مشارف فاس مع قبيلة شراكة وقد هاجر بنو عامر من الجزائر بعد استيلاء الجيش الفرنسي على الجزائر مع قبيلة أخرى هي الحشم ثم طالبت فرنسا ملك المغرب المولى عبد الرحمن بن هشام بالسماح لهما بالعودة إلى الجزائر فتم ذلك بمقتضى أمر مولوي صدر إلى عامل الغرب بالعرائش بوسلهام بن علي أزطوط[2] وقد وصفهم السلطان بالمتنصرة لأنهم أظهروا رغبة في العودة للحكم الفرنسي بالجزائر ويظهر حسب تعليق هامشي في مجلة الوثائق[3] أن بني عامر كانوا ينعتون بالمغطسين أي المرتدين لأنهم كانوا أعوانَ الجيش الأسباني وعيونه أيام احتلال وهران والمرسى الكبير[4].

وبنو عامر أيضا : من هوازن كانوا يقطنون الحجاز ونجدهم في نجد حول مكة وفي بسائط الطائف وأقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر والمغرب وحاربوا الرسول عليه السلام يوم حنين مع هوازن وساروا إلى مصر في حروب القرامطة ثم إفريقية إلى البحر المحيط[5]

- بنو عبد الله : "تسعة مداشر في بني يسف بجبالة (إقليم العرائش)".

---

(1) Jeronimo de Mendaoça, Jornada de Africa, Lisboa, 1607

(2) رسالة مؤرخة في : 18 صفر 1264.

(3) مجلة الوثائق عدد 2 ص : 144.

(4) معاهدات تحالف وروابط بين بني عامر Beni Ameur.
Denis Jean, Traités d'alliance et lien de solidarité et ... Beni Ameur الرباط 1945.

(5) صبح الأعشى ج 1 ص : 341 / الصحاح للجوهري ج 2 ص : 254 / نهاية الأرب للنويري ج 2 ص : 337/ ابن خلدون ج 2 / ص : 310 / القاموس للفيروزا بادى ج 3 صك 7 / مسالك الممالك للأصطخري ص : 22/ معجم ما استعجم للبكري ج 1 ص: 90 / العمدة لابن رشيق ج 2 ص: 167 /معجم البلدان لياقوت ج 1 ص: 834/ ج 2 ص : 253 / ج 3 ص : 32.65 : Ency clopédie de l'Islam . T . 2.p

- تاطوفت : أهم قرية بقبيلة أهل سريف الهبطية (إقليم العرائش).

- داوة : قبيلة هبطية بإقليم العرائش تحيط بها قبائل "جبل الحبيب" وبني عروس وبني جرفط.

- البدور : قبيلة هبطية بإقليم العرائش تحيط بها قبائل أمزورة وبداوة والخلط وعامر وبني كرفط.

- جزيرة المليحة : تقع بين العرائش والقصر الكبير أسفل قصر كتامة على بعد عشرة أميال من البحر[6] وترى وثيقة برتغالية عثر عليها الراهب البلجيكي Ch.M.Withe في أرشيف البندقية أنها تقع على بعد ستة أميال من القصر الكبير أي في مكان التقاء اللوكوس ووادي المخازن.

- حصن الجنويين : Fortin des Génois كانت حواجز وادي لوكوس تحول دون دخول السفن إلى ميناء العرائش اللهم إلا في مكان يسمى حصن الجنويين يقع أسفل العرائش على الشط الأيسر لنهر لكوس[7]

- حصن شمس : وحصن العرائش دخلهما النصارى عام 668هـ / 1269م وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا وارتحلوا في الأجفان[8] وتشومس هي مدينة ميمون بن القاسم[9].

وتشمش : هي لوكسوس Lixus قرب البصرة تبعد عن مدينة باب أقلام بناها مولاي عبد الله ابن إدريس بثمانية عشر ميلا[10].

- حصن الفتح : حصن بناه المنصور السعدي بثغر العرائش وهو ثاني حصن بناه في هذه المدينة[11]

---

(6) وصف إفريقيا – الحسن الوزان – طبعة ابيوكار. ج 1 ص : 258.

(7) دوكاستري – س.أ.– السعديون – القسم الثاني م. 1 ص 542.

(8) (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) طبعة الجزائر 1920 ص 137/ الاستقصا ج 2 ص 15.

(9) (المغرب في ذكر بلاد المغرب للبكري) طبعة الجزائر 1911. ص: 112 – 113.

(10) اختصار النزهة للشريف الإدريسي ص: 109 / الاستقصا ج 2 ص : 15.

(11) الاستقصا ج 3 ص 96.

- حصن القبيبات : قرب العرائش اعتصم به الإسبان عام 1100هـ بضعة أشهر ثم أسر منهم ألفان ونقلوا إلى مكناس أول عام 1101هـ/1689م[12].

- السحل أو السواحل قبيلة هبطية بين أصيلة وواد اللكوس.

- عرب الساحل بين أصيلا والعرائش[13].

- الخلط أو الخلوط: قبائل عربية تتجمع اليوم في كل من الهبط لعمالتي العرائش والقنيطرة وكان لها وجود في تامسنا فربما بين أم الربيع وتانسيفت وكان للخلط دور ضمن قواد القصر الكبير ضد الإسبان باصيلا ولذلك ترعرع الخلط الهبطية في الفضاءات الشاسعة بين اصيلا والقصر الكبير مما فتح لهم المجال في المشاركة في معركة وادي المخازن فانضموا إلى جيش المنصور.

- قلعة كراسيوز : Graciosa أسسها البرتغاليون حماية لأنفسهم من هجمات سكان الشمال وهي واقعة على نصف الطريق بين العرائش والقصر الكبير.

- ليكسوس : Lixus

مدينة عتيقة تقع على مسافة أربعة كلم شمالي العرائش على الضفة اليمنى لنهر لوكوس، وهي فينيقية الأصل أسست عام 1101 قبل الميلاد، وقد احتلها الرومان وأقاموا بالقرب منها ضريح هرقل، وهي معروفة عند المؤرخين بمدينة تشمش التي يقال بأنها هي حدائق هسبيريدس Hesperides ذات الفواكه الذهبية الموجودة بها على خلاف ما يراه آخرون من وجودها في الجزر الخالدات وهي الجزر السعيدة السبع أو كاناريا التي احتلها الإسبان في القرن الخامس عشر الميلادي بدعوى خلوها، ويرى علماء الآثار أن مدينة "ليكسوس" تحتوي على كنوز فنية لا تقدر، وقد عثر على البناء الفينيقي في الطبقة السفلى على عمق بضعة أمتار وفوقه البناء الروماني على طابقين أعلاهما المدينة الامبراطورية في طبقة أخيرة يظهر أنها راجعة لصدر الإسلام نظرا للعثور فيها على قطع خزفية عربية ملونة ومنقوشة بحروف كوفية، علاوة على بقايا مسجد بمحرابه وفنائه.

أما النماذج الأثرية القديمة فهي أوان من الفخار تطور صنعها فدهنت أيام الفنيقيين باللون الأحمر الأرجواني pourpre الذي كان شعار الفنيقيين وكذلك قناديل منوعة، كما

---

(12) الاستقصا ج 4 ص 34.

(13) Arch. Marocaines T.3 – p : 4.

عثر على بقايا دور بونيقية مبنية من الحجارة تحتوي على غرف مستطيلة كالغرف المغربية الحالية وأرضها مبلطة بالفسيفساء المرمري، وتنقسم المدينة إلى عدة أحياء كل حي بسوره الخاص وكانت مستودعاتها تستعمل مخازن لحفظ الحبوب والزيوت.

وقد قام اختصاصيون مغاربة بأبحاث أثرية بموقع ليكسوس خلال الفترة الممتدة من 20 شتمبر إلى غاية اكتوبر 1999 تمكنوا من تحديد مختلف مستويات الاستيطان بداية من المرحلة الإسلامية إلى المرحلة الفنيقية تتمة لأبحاث انطلقت منذ عام 1995 وقد برزت بعد هذه الأبحاث معالم حي سكني واسع توجد به بنايات جيدة تحتفظ بعلوها الأصلي "أكثر من ثلاثة أمتار" ويرجع تاريخه إلى القرن الأول ق. م. وقد تمخض تحليل عناصر خزفية عثر عليها عن وجود استيطان يرجع إلى القرن التاسع أو الثامن ق.م. كما تم العثور على بناية فنيقية تؤكد وجود نواة حضرية فنيقية في القرن السابع ق.م وقد زار المستكشف الأركيولوجي العالمي النرويجي الأصل "طور هيردال" – مقام الشمس – مدينة لكسوس الأثرية قصد معاينة بعض المواقع التي تكتسي بالنسبة إليه أهمية خاصة. وقد صادف وجوده بالمنطقة الاحتفال باليوم العالمي للمواقع الأثرية بمبادرة من مجموعة البحث حول بلاد الهبط وبمساعدة مندوبية الثقافة بالعرائش صاحبه في زيارته – عقيلته السيدة "جاكلين بيير" والباحث الأمريكي" ريان دونالدبول والمستكشف النرويجي "بيتر أولسن"[14].

ويؤكد سترابون Strabon "58 ق.م – 25 م" في جغرافيته أن الفينيقيين وصلوا في جولاتهم بعد سقوط طروا Troie حوالي 1100 ق.م. إلى ما وراء أساطين هرقل وأسسوا عدة مدن، غير أن العناصر الأثرية قليلة في خصوص المراكز الفينيقية بشاطئ المغرب وهذا هو الذي حدا "كزيل" Gsell وكركوبينو Carcopino وغيرهما إلى التحفظ وقد قام خبراء برحلة تنقيبية في سواحل المغرب[15] لاحظوا فيها أن "تيط" مركز بونيقي محقق وتدل المقبريات على أن البونيقيين تغلغلوا داخل التراب المغربي بالإضافة إلى مراكزهم الساحلية وقد ذكر سنطاس P.Cintas في كتابه حول التوسع القرطاجي بالمغرب "طبعة 1945" أنه عثر على مآثر بونيقية في سواحل المحيط الأطلنطيقي في رأس أشقار وليكسوس وشالة وأزمور وتيط قرب الجديدة وراس كانطان والصويرة ضمن مقابر رومانية، ومن ذلك

---

(14) كتابات ليكسوس الليبيكية الفنيقية Sola Sola, Y. M. La inscription punico librica de Lixus, Sefard, XIX, 1959.

(15) 1956 Hesperis.

قطع من البرونز وقرط من ذهب وأوان وقناديل وصحون عليها كتابات وهي من النوع الاحمر pourpre المعروف غربي البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي والمتوافر باسبانيا والمغرب من القرن الرابع إلى الثاني قبل الميلاد.

وقد لاحظ الأستاذ توفيق المدني[16] أن الكشوف الحفرية ونقوش الحجارة أثبتت كنعانية الفينقين كما أبرزت أن كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل أن تختلط اختلاطا فاحشا بمختلف اللغات الاوربية، وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفنيقي الخالص .. وقد نشر توفيق المدني. نص الحفرية القرطاجية التي وجدت في البرازيل على قبر السبط خليفة الملك ويتضح منها تقارب البونيقية مع لهجة شمال إفريقيا مثال ذلك : " حتى خبر اللون أي حتى خبر الهون .. ومعناها بالفصحى" لا يصلنا أي خبر هنا"

ومثال آخر :"كي مات عصبط عبد هبلت" أي "كيف مات عصبط العباد هبلت عليه" "بالعامية" أما الفصحى فهي "لما مات السبط أصاب العباد الاحتبال عليه" ومازال لفظ عبد مستعملا إلى الآن في المغرب بهذا المعنى، ووجود الحفريات في البرازيل يدل على أن القرطاجيين هم أول من كشف أمريكا قبل الميلاد ب 125 عاما.

- ولكسوس : أو نهر لكسوس هو نهر يجري في قبيلة "آل كوس" ومنها اشتق الاسم ويسمى "واد العرائش" وينبع نهر لكوس في جبالة منصبا قرب العرائش في طول قدره مائة كلم، ووادي لكوسة يوجد في بلد ترسواطة بجزولة وهو مسقط رأس الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي[17]

- مرسى العرائش : كانت تابعة عمليا لمرسى العدوتين يقوم رياس الرباط في مهمات فيها كما وقع عام 1209هـ ونالوا عن ذلك تعويضات أوصلها (الضعيف) إلى مائة مثقال بندقي للواحد.

- مشرع مسعيدية : بنهر سبو في الطريق بين فاس والعرائش بالقرب من هذه.

- المقصرة : مكان في شاطئ مرسى العرائش منه هجم أسطول النابريال على البر والمراكب المرابطة في المرسى[18].

---

(16) توفيق المدني "تقويم المنصور" 1348هـ/1929م (ص 72).

(17) Archèves Mar T, 4 et .5.

(18) الاستقصا ج 4 ص 183.

رجالات العرائش

- ابن إبراهيم الجيلالي بن أحمد الرباطي مفتي الرباط ومدونة المذهب شغل منصب عدل بمرسى آسفي عام 1319هـ ثم قضاء العرائش عام 1326هـ/1908م "توفي عام 1336هـ/1918م"[1].

- ابن أبي يعزى : أحمد العرائشي كان قائد مكناس "عام 1112هـ-1700م" هو الذي جمع ديوان قبائل مكناس بأمر السلطان مولاي إسماعيل[2].

- ابن داني : محمد الكبير التازي المراكشي وزير مولاي الحسن في خلافته الصغرى (1305هـ/1887م). له قصيدة في مدح العرائش :

بمرسى العرائش ما يشتهى ... وإن غبت عنها تشوقتها

بروضتها علم قد أضا ... ضياء المصابيح إن رمتها

فتلك الجليلة ءامنة ... فيا فوز من نال زورتها

فإن زارها المرء في حاجة ... قضى الله حاجته وقتها

ويأمن من كل ما يختشي ... فقد عظم الله حرمتها

لأبناء مصباح الفضلا ... روى الجهبذ الثبت نسبتها إلخ[3]

وهنالك تمنئة بفتح العرائش لمحمد الخرسي[4].

- ابن زاكور : عبد الكريم بن عبد السلام قائد تطوان عام "1171هـ" ووالي العرائش سجنه محمد بن عبد الله عام 1179هـ/1765م.

ابن زكرى : أسرة أندلسية هاجرت إلى المغرب قبل سقوط غرناطة وانتشرت في فاس وتطوان وتلمسان والعرائش ومازالت أسر إسبانية تحمل الإسم بالأندلس Zegri

---

(1) مجالس الانبساط – ديبية / الاغتباط لبوجندار.

(2) مخطوط في خزانة محمد المنوني بمكناس. راجع أحمد العرائشي الشاعر (كتاشة أدبية جع د 267 د.).

(3) الإعلام للمراكشي ج 6 ص : 117 "خ".

(4) نشر المثاني ج 2 ص 137.

"ابن عزوز" فهل لهذه الهجرة علاقة بجبل زكري قرب وجدة وهي قبيلة الزكارة والزكارى أيضا أسرة أندلسية بتطوان أصلها Zacari فهل منها أيضا بنو زكار بالهبط منهم أحمد بن محمد الزكاري أمين المستفاد بالعرائش "ت 1330هـ/1911م".

- ابن زروق : عبد السلام العرائشي توفي بأنفا عام 763هـ/1361م[5]. وبعد انهزام المرينيين في طريفة في الأندلس توقفت حركة استقدام علماء (الفردوس المفقود) ممن كانوا يمدون مدرسة أبي الحسن المريني في "أنفا" فاكتفى ملوك بني مرين باستعمال أساتذة مغاربة امثال عبد السلام بن زروق العرائشي المتوفى (763هـ/1361م).

- بنعاشر بن بوشعيب الجزولي الرباطي 1357هـ/1935م من أولاد لميرو كان عدلا بمرسى العرائش عام 1329هـ[6].

- بنو بجة : أسرة ريفية استقرت بالعرائش منها العالم محمد بن بجة العرائشي في العهد الاسماعيلي،

ومنها أيضا محمد بن عمر بجة وهو تاجر غادر مسقط رأسه العرائش في عهد محمد الثالث واستقر بقادس الأندلسية كتاجر ثم جبل طارق فكان رمزا لصلة الوصل التجارية مع أوربا بعد قطيعة المولى سليمان مع اسبانيا وتقاربه مع انجلترا وذلك إثر رفض المولى سليمان للاتفاقية المقترحة في عام 1799م بين المغرب واسبانيا، وكان بجة يمثل الكثير من تجار تطوان، وقد عين عام 1815 قنصلا للمغرب في جبل طارق إلى وفاته عام 1820 دون وارث فعادت إلى بيت المال بطلب من المولى سليمان[7].

- بنونة عبد السلام : جدد أطلال ليكسوس في قانون المصالح السياحية الذي وضعه عندما كان عضوا في مجلس الصحة واللجنة الخاصة بالسياحة "15 مارس 1921".

- بو دبيرة حمو : قائد تطوان وفاس "من قبل الشيخ المامون السعدي" قتل عام 1022هـ/ 1613م هو الذي صرف أهل فاس عن الجهاد عام 1019هـ لتحرير العرائش بعد ما سلمها الشيخ المامون إلى الإسبان[8].

---

(5) الإعلام للمراكشي ج 8 ص : 492 الرباط.

(6) الاعتباط لأبي جندار ج 2 ص : 437.

(7) المديرية الملكية للوثائق بالرباط / النشر : ج 1 ص : 368.

(8) الاستقصا ج 3 ص : 105 / تاريخ تطوان ج 1 ص: 180.

- البوعياشي أحمد بن عبد السلام ولد في قرية الربطة في النكور درس بالقرويين على الفضيلي وابن القرشي تولى القضاء في سماتة "بجبالة قرب العرائش" عام 1937 ثم عضوية المجلس الأعلى للتعليم بتطوان 1938 مع التدريس، ثم عاد إلى القضاء بين الوطا وبني عياش إلى عام 1958، وعين عام 1961 قائدا على وجدة ثم قائد دائرة جبالة "تطوان" ثم مارس المحاماة في الحسيمة إلى وفاته عام 1985 له :

1 - حرب الريف التحريرية ومراحل النضال "جزآن"

2 - الريف بعد الفتح الاسلامي

3 - الثائر المنهزم بوحمارة وانهزامه في بني وريا غل

4 - ا لفدائية في الاسلام

أبو القاسم الزياني (1249هـ/ 1833م) له إثنان وعشرون مصنف في تاريخ المغرب وملوكه ورجالاته منها "البستان الطريف بين دولة مولاي علي الشريف وكان واليا للمولى محمد بن عبد الله على العرائش عام "1179هـ" وذلك عند مهاجمة الأسطول الفرنسي الميناء وانهزامهم مما استحث السلطان على بناء الصقائل والأبراج ونقل المدافع والمهاريس النحاسية من فاس إليها وكان يوم وصولها مشهودا "أخرجت فيه المدافع والمهاريس والبارود وتسابقت القبائل على الخيول"[9].

- أبو الليف مقدم تطوان فتك في "فج الفرس" بمحمد الشيخ المامون الذي باع ثغر العرائش للنصارى عام 1018هـ / 1609م[10].

- أحمد أمين بوعالف بمرسى العرائش "توفي بسلا عام 1922"

- أحمد بن أحمد العرائشي التمسماني الريفي له : "روضة الجهاد الفائق لمن أراد الغزو بالصواعق" "300 بيت" فرغ منها عام 1195هـ/1780م، تحدث فيها عن شحن المدافع والمهاريس بالبارود وعن القذائف والقنابل الكروية[11]

- أحمد بن حدو البطوئي قام عام "1100هـ/1688م" على رأس المجاهدين بتحرير العرائش من قبضة الإسبان الذين استولوا عليها على يد محمد الشيخ المامون، بعد أن حاصروها ثلاثة أشهر ونصفاً "حسب الترهة " وخمسة أشهر "حسب المؤرخ منويل" الذي

---

(9) الاستقصا ج 4 ص : 102.

(10) الاستقصا ج 3 ص : 106.

(11) خع = 1342 د / الخزانة الأحمدية السودية بفاس ضمن مجموع.

أشار إلى مساعدة (لويس الرابع) في ذلك للمولى اسماعيل بحصارها بحرا بخمس فراقط وأكد صاحب (النزهة) أن الاقتحام تم بعد حفر المينات تحت خندق السور المواجه للمرسى وملئه بالبارود وسقوط جانب من السور والتحام الفريقين وفرار الاسبان إلى "حصن القبيبات" حيث أسروا وتم الفتح أول عام "1101هـ"، وقد بلغ عدد الأسرى ألفين نقلوا إلى مكناس وعدد القتلى ألفاً ومائتين وغنم الجيش المغربي "180 مدفعا" منها مدفع "الغصاب" طوله 35 قدما، وقد هنأ الشعراء الأمير بهذا الفتح ونشر الناصري نماذج من قصائد لعبد الواحد بن محمد البوعناني وعبد السلام بن حمدون جسوس وعبد السلام بن الطيب القادري[12].

- أحمد بن خالد الريسوني باشا العرائش إلى أوائل الاستقلال.

- احمد بن عبد القادر بن علال العرائشي توفي بمكناس "1318هـ/1900م"[13].

- احمد بن عمر العمراني الغماري قاضي العرائش ثم القصر الكبير[14].

- احمد بن قاسم جنون الادريسي : حكم العرائش وكانت تعرف ب "سفدد" عندما كانت تابعة لمحمد الناصر صاحب قرطبة عام "337هـ" وقد أخرجه منها "جوهر الصقلي" قائد الفاطميين واستعادها المروانيون إلى أن حررها يعقوب المنصور الموحدي على يد العرب الهلاليين فاتخذوها قاعدة أطلقوا عليها اسم العرائش[15].

- احمد بن المامون البلغيثي : "1348هـ/1929" فقيه أصولي شاعر قاضي الدار البيضاء والصويرة والعرائش ومكناس.

- احمد بن محمد بن ابراهيم الفرضي : "1334هـ /1915م" قاضي العرائش ثم أسفي عمر أربعين سنة له شرح على لامية الزقاق سماه "تلخيص الحذاق" وحاشية عليها وختم على التحفة وتأليف في الفرائض وكليات احتوت حكما وقواعد وهزليات، وله أيضا تقييد على فرائض الصحابي زيد بن ثابت "طبعة فاس 32 ورقة[16] وقد تولى قضاء العرائش عام 1326 وكان موصوفا بالرشوة[17]

---

(12) الاستقصا ج 4 ص : 34. / عمدة الراوين ج 2 ص : 9.

(13) وثائق ونصوص لمحمد المنوني ص : 160

(14) عمدة الراوين ج 2 ص : 13.

(15) الإتحاف لابن زيدان ج 2 ص : 72.

(16) من أعلام الفكر المعاصر ج 2 ص : 286.

(17) جواهر الكمال في تراجم الرجال للكانوني.

- احمد بن محمد العرائشي[18] :

- احمد بن موسى : عامل العرائش واحد من قواد الجيش المغربي في معركة "وادي المخازن" صحبة أخيه القائد علي بن موسى[19]

- ازطوط بوسهام بن علي عامل المولى عبد الرحمن على الغرب بالعرائش[20] تلقى رسالة من طرف الوزير محمد بن ادريس تتعلق بالحدود المغربية الجزائرية ومحاولة الأجانب الاستقرار بناحية وادي نون ورسالة ثانية حول قبائل مغربية الحق الفرنسيون أرضها بمستعمرتهم الجزائرية ثم رسالة ثالثة بشأن اتفاقية الحدود وإرسال سفير مغربي إلى فرنسا وهو سفيره الحاج محمد الرزيني التطواني، ثم رسالة أخرى من السلطان نفسه إلى العامل لتوجيه السفارة إلى فرنسا وتسريح الأسرى المغاربة وطلب إلغاء الفصل المتعلق في مشروع الاتفاقية بالأمير عبد القادر الذي هاجم السلط المغربية في الحدود وكان السلطان يعارض توجيه هذه السفارة إلى باريس، لكنه رضخ اخيرا لدسائس وزرائه وعماله الذين رشاهم الفرنسيون حسبما في وثائقهم ومنهم الوزير الذي يقال بأنه قبض 25000 فرنك وبوسلهام "18368 فرنك" وباشا طنجة محمد بن عبد الملك الريفي "18000 فرنك" وحميدة بن علي "25000 ف"، وهنالك رسالة أخرى من السلطان للعامل للاحسان إلى مهاجر جزائري هو الحاج مصطفى بوضربة.

وكانت المراسلات الداخلية الصادرة من الحكومة المغربية تنعت ملوك الدول النصرانية وأمراءها بالشياطين والطواغي والطواغيت، بينما تقتصر في المراسلات الخارجية على نعت الواحد منهم بالكبير والعظيم، وقد وجه محمد بن إدريس رسالة إلى عامل العرائش بوسلهام بن علي ملاحظا أن هذه نعوت داخلية وأن تسربها إليهم ربما كان عن طريق الخائضين الموسوسين[21].

وكانت عمالة العرائش هامة من الوجهة العسكرية نظرا لمرساها التي ترتبط فيها السفن المغربية وكذلك لمواردها المالية مما حمل المولى عبد الرحمن علي إصدار أمره للعامل بوسلهام بتوجيه محمد بن السيد حم الأمير نجل الشيخ المختار الكنتي الى الحج رفقة صاحبه

---

(18) تاريخ تطوان ج 3 ص : 242./ راجع احمد العرائشي في ابن أبي يعزى.

(19) الاستقصا ج 3 ص : 39.

(20) راجع رسالة من السلطان مؤرخة ب 2 جمادى الأولى عام 1261هـ (مجلة الوثائق عدد 2).

(21) رسالة مؤرخة ب 22 جمادى الثانية 1261 - مجلة الوثائق عدد 2.

محمد الكوراني وذلك في رسالة سلطانية مؤرخة برابع صفر 1262هـ /1845م مع تزويدهما بكسوة ملف وكتان وخياطة وحائك[22].

- **بارث** : H. Barth مستشرق ألماني تجول بالمغرب بين طنجة وتطوان وأصيلا والعرائش والرباط عام 1845 وقام بعدها برحلة إلى إفريقيا عام 1850[23].

- **بركاش** : عبد الرحمان كان رئيسا للبحر عام 1245هـ/1829م وهو الذي هجم مع الرئيس عبد الرحمن بريطل على أسطول النابريال واستاق مراكب منها غنيمة لعدم حملها لورقة الجواز ونقلها إلى كل من العدوتين والعرائش فهجم الأسطول الأحنبي على المرسى الأخيرة يوم 3 ذي الحجة 1245هـ بست سفن.

- بناصر عبد الرحمان بريطل الرباطي "1363هـ/1942" قاضي العرائش له :

1 - نوازل في مجلدين

2 - تقييد على شرح عقود الجمان للسيوطي

3 - كتابة على اللوغاريتمات

4 - ختم فرائض المختصر

- الجيلالي بن ابراهيم "1336 هـ / 1917" قاضي العرائش له :

1 - فتاو كثيرة

2 - ختم على مختصر خليل

3 - تقييد في الطلاق البائن والرجعي، رد فيه على سيدي المهدي الوزاني مفتي فاس.

4 - حواش على شرح الدردير على المختصر

- الجزولي محمد بن الشيخ المادح بن الحاج بوشعيب الرباطي أديب شاعر استقر بالعرائش بين 1913 و1919 نظم قصائد في انتصار الأتراك على اليونان، ومدح شيخه إلى شعيب الدكالي وكانت له مساجلات مع بعض أدباء وعلماء رباط الفتح، قام ضد الظهير البربري توفي بالرباط عام 1973- 1393هـ. له مقال "الطرق في الإسلام" رد فيه على كتاب

---

(22) مجلة الوثائق عدد 2 ص 126.

(23) Guillen, Charlemagne et le Maroc p 10.

"غاية الانتصار ونهاية الانكسار" لمحمد الشرقي الرباطي، له ديوان نشر في (كتاب الذكريات من ربيع الحياة).

- الحكماوي : عينه المولى سليمان عام "1211هـ" عاملا على طنجة والعرائش والجبل والقصر الكبير وما والاه وهو غير ابراهيم الحكماوي عامل الصويرة[24].

- دوبيتون بير : Pierre de Piton في عام 1532م رابطت سفينة هذا السفير في طريقها إلى الرباط قبالة العرائش على مسافة مرحلتين عن الساحل لتنقل في الغد معسكر السلطان مرفقا بترجمان يهودي بعد أن سمح له بادخال السفينة إلى الميناء.

- الراشدي علي بن الجيلالي الجامعي الفاسي تولى عمالة فاس مدة ثم عمالة العرائش إلى أن توفي بالرباط عام 1313هـ ودفن في العلو[25].

- زروق : اسرة عرائشية من عمارة بني حسان منهم عبد السلام زروق العرائشي فقيه محدث منجم صوفي "1328هـ/1910م" ترجم له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في (رياض الجنة)[26].

- الطيب بن المولى محمد بن عبد الله : نزيل العرائش في عهد أخيه المولى سليمان وقد أمر عام 1211هـ ان ينتقل بمحلته إلى رباط الفتح[27].

- عبد السلام بن زروق : العرائشي "راجع ابن زروق".

- عبد السلام بن علي وعدي : قائد العرائش عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله "عام 1173هـ/1759م" ولم يكن في مركزه سوى حامية بمائة من عبيد مكناسة وكان بالعرائش آنذاك مائتان من جند أهل الريف[28].

- عبد القادر بن احمد بن أحمد العرائشي أديب مكناسة العلمي الأصل من أصحاب أحمد سكيرج له فيه قصائد[29] (1350هـ/1931م) له ديوان في مجلد (دليل المؤرخ 1758) وله قصائد منها تهنئة العلامة محمد بن أحمد العلوي توليه قضاء مكناس مطلعها.

---

(24) تاريخ الضعيف ص : 290.

(25) مجالس الانبساط ص : 244 .

(26) معجم الشيوخ الرباط 1931.

(27) تاريخ الضعيف ص : 284.

(28) الاستقصا ج 4 ص : 95.

(29) راجع الرحلة الزيدانية لأحمد اسكيرج ج 2 ص : 7.

غنت ببلدتنا السكان من طرب وعمها البشر وارتاحت من التعب

وأخرى في رثاء المفتي الشريف العلمي البقالي مطلعها :

حل القضاء فحلت الأهوال وتحولت بحلوله الأحـــوال

وتكدرت منه الخواطر كلها وتعطلت لوصوله الأوصال

- عبد الله بن محمد الشيخ بن المنصور : التقي بواد بوركراك "بوقراق" عام (1016) مع جيش زيدان فانهزم عبد الله وفر ولده الشيخ إلى ناحية العرائش فاحتل بالقصر الكبير من حيث فر عن طريق العرائش إلى اسبانيا مستصرخا ضد زيدان وذلك عام 1017هـ ووصل قائد زيدان مصطفى باشا إلى القصر الكبير فقبض على من وجد أصحاب الشيخ وفر عبد الله وأبو فارس حيث نزلا بسطح بني وارين ثم فرا إلى دار ابن مشعل عند وصول السلطان زيدان قبالتهما بآرورات.

- عبد الواحد البوعناني : نظم قصيدة بعدما حرر المولى اسماعيل مدينة العرائش عام "1100هـ/1689م" منها :

وفي ثغر العرائش قد تبدى لقدركم على الشعرى الظهور

لقد كان الملوك فساوموها وراموهـــا فبان لهـــا نفـــور

فلما جئتنا انقادت وقالـــت اليك يحـــق مولانـــا المصيـــر

وقال عبد السلام الطاهري :

علا عرش دين الله كل العرائش وهد بنصر الله قصر العرائش

- عبيد العرائش وطنجة : أوقع بهم سيدي محمد بن عبد الله عام "1189هـ" وأنزلهم بعد أربع سنوات كقبائل جندية بالقصر الكبير وشتتهم شمالا وجنوبا[30].

- عمر بن المولى إدريس : توفي بفج الفرس بصنهاجة "220هـ/835م" في خلافة أخيه محمد على فاس فتغلب على أخيه القاسم وأمتلك الريف البحري من تيكساس وبلاد غمارة إلى سبتة وطنجة ثم أصيلا والعرائش إلى أزمور وتامسنا[31].

---

(30) الاستقصا ج 4 ص : 112.

(31) الاستقصا ج 1 ص : 76. / السلوة ج 1 ص : 83.

- العياشي الإملاحي : العرائشي تولى القضاء بالقصر الكبير مدة عشرين سنة إلى أول الاستقلال عام 1956.

- قاسم بن ريسون : باشا عقد له المولى عبد الله عام "1146هـ" على 1500 من الخيل مع ثلاثة آلاف من جيش الودايا بإمرة القائد عبد الملك بن أبي شفرة للهجوم على "آيت ومالو" فانهزم عسكر السلطان[32].

- محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور : سلم العرائش للاسبان عام (1018هـ/1609م) فحررها من قبضتهم أحمد بن حدو البطوئي (راجع أحمد بن حدو). وقد فتك به مقدم تطوان أبو الليف عام 1022هـ/1613م[33]، وكانت قد صدرت فتوى في فاس عندما تنازل محمد الشيخ عن المدينة للنصارى[34].

- محمد بن الحسن بن عبد القادر المكناسي : "1351هـ/1933م" شيخ الجماعة بالعرائش نساخ ماهر[35]، له فهرست "عنوان السعادة والاسعاد لطالب الرواية والإسناد" نسخة بالخزانة الأحمدية السودية بفاس.

- محمد بن الحسين العرائشي الأصل المكناسي النسل التجاني الطريقة له باع طويل في النحو والبيان والفقه والعروض قرض همزية النقيب الزيداني "كفاية المحتاج" بقصيدة مطلعها :

هنيئا لك البشرى بما نلت من أجر وأحرزت من فضل عظيم ومن فخر

- محمد بن سعيد البخاري قائد العرائش: وبخه المولى اليزيد عام "1205هـ" على قيام الرايس الهاشمي المستاري الرباطي الذي حرق سفينته لصعوبة الخروج بها من العرائش إلى سبتة انصياعا لأوامر السلطان[36].

- محمد بن عبد السلام الرندة : "1365 هـ /1946م" تولى وزارة العدلية بعد أن كان عدلا في خراج مرسى العرائش ثم مرسى أسفي.

---

(32) الاستقصا ج 4 ص : 64.

(33) الاستقصا ج 3 ص 106.

(34) السلوة ج 1 ص : 266.

(35) تاريخ الوراقة المنوني ص : 300.

(36) تاريخ الضعيف ص: 227.

- محمد بن عبد الله أزيات بن موسى قاضي القصر الكبير صحب أبا المحاسن بفاس، له قصيدة (من 130 بيتا) يرثي فيها العرائش بعد تسليمها للنصارى من طرف محمد الشيخ "توفي عام 1021هـ"[37].

- محمد بن عبد الله البياتي : المغربي نزيل قاعة الحنفية عالم بالطب والفراسة مات "عام 853 هـ"[38] وعائلة البياتي توجد اليوم بالعرائش والقصر الكبير.

- محمد بن عبد الله سلطان المغرب : "1204هـ" ذكر أحمد بن المهدي الغزال في رحلته أن من أسباب بناء الصويرة زيادة على محاربة التهريب في أكادير ولوع السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالجهاد في البحر من مرسى العدوتين، والعرائش في الشتاء فقط حيث يقل الماء خارج الشتاء ويعلو الرمل بأفواه المراسي وهو ما يسمى بالحاجز الرملي Barre فيمنع من اجتياز القراصين بها[39].

- محمد بن علي الأغصاوي : قتل بفاس "1017هـ/1608م" في قضية فتوى العرائش[40].

- محمد بن علي الرافعي : مدح المولى إسماعيل بعد تحريره العرائش في قصيدة منها :

أنا الغيث حقا والملوك جداول ... أنا البحر فيضا والكرام عناصر
أنا قمر بالغرب قطب سمائه ... أنا سيد الأملاك عرفي عاطر
أنا تاج أبناء الملوك وفخرهم ... كمي شجاع في الحروب وظافر
أنا الليث إسماعيل راية مجدهم ... وسيفي ماض في العداة وقاهر
انا فاتح الأمصار للكفر دامغ ... فسل عن ثغور الشرك ينبئك خابر
لنا المجد يعزى والسيادة حظنا ... فناهيك فضلا أن حوتها منابر[41]

- محمد بن محمد بن عبد السلام بريشة : "1359هـ/1940" عين أمينا في العرائش في العهد الحسني والعزيزي ثم باشا تطوان عام 1346هـ/1927[42].

---

(37) مرآة المحاسن.
(38) الضوء اللامع ج 10 ص : 116.
(39) الاستقصا ج 4 ص : 99.
(40) السلوة ج 1 ص : 266.
(41) تاريخ تطوان ج 1 ص : 401.
(42) تاريخ تطوان داود ج 5 ص : 37 / ج 6 ص : 132.

- مراد الرايس : هو من القراصنة الالبانيين المقيمين بالجزائر استطاع الهجوم على "الانزروط" وهي احدى الجزائر الخالدات حوالي 995هـ/1586 وقد سبق للقراصنة الأتراك أن أغاروا "عام 1569م" على هذه الجزيرة[43] وقد لجأ مراد إلى العرائش بعد هذه الوقعة ثم استطاع المرور من مضيق جبل طارق رغم معارضة السفن الاسبانية[44].

- مريم : قائد تركي على ورش المراكب في العرائش[45].

- مصطفى العلج الإسباني : كان محظوظا لدى مولاي الشيخ نائب الملك بفاس، وكان قد وعد بتسليم العرائش إلى ملك الإسبان وأوعز إلى الأمير بقتل إخوته، فأمره السلطان أحمد المنصور بقتله فقتله[46].

- المفضل بن يعيش : باشا العرائش منذ 1911.

- المهدي الطود : من علماء القصر الكبير شاعر أديب مدير المعهد الديني بالعرائش.

---

(43) السعديون - السلسلة الأولى ج 2 ص : 125.

(44) السعديون - السلسلة الأولى ج 2 ص : 127.

(45) دوكاستري ق 1 - السعديون البرتغال م 4 ص 319.

(46) وثائق دوكاستري - س.أ. السعديون انجلترا ص : 128 عام 1925.

السكـــان

تبلغ كثافة السكان بالمغرب حسب إحصاءات أولية 28 نسمة في كلم² ويقطن 4% من السكان في أقاليم ما قبل الصحراء وراء الأطلس على نصف مساحة المغرب، ويقطن الباقون الأقاليم ذات المناخ الرطب حيث يعيش ثلاثة أخماس على طول الساحل من أكادير إلى الحدود الجزائرية ويكتظ ما بين الدار البيضاء والقنيطرة بثلاثة ملايين نسمة على طول مائة وأربعين كيلومترا، بينما يسكن ثلث المغاربة سهول الأطلنطيك بين الساحل والأطلس. وهكذا تتراوح كثافة السكان بين ثلاثة نفر في الكيلومتر المربع في المنطقة القاحلة وأربعين نفرا في المنطقة ذات المناخ الرطب ويعيش الثلثان من المغاربة في البادية ولكن لا يشتغل في الأرض الفلاحية سوى ثلث السكان بينما يشكل الحضر الثلث الباقي ويتزايد عدد السكان بنسبة 3% باعتبار الوفيات وبفضل الوقايات وحفظ الصحة امحى تقريبا أثر أوبئة التيفوس والكوليرا والجذري ومع ذلك فإن نسبة الوفيات، ما زالت عالية وهي خمسة عشر في الألف.

وينم هرم الأعمار بالمغرب عن وجود 56% من المغاربة كلهم شبان لا يصلون إلى سن العشرين، كما يقل عمر 74% عن خمس وثلاثين سنة ولهذا الوضع محاسنه ومساوئه لأن الكهول يجب ان يضاعفوا العمل لضمان قوت الشباب والشيوخ ويبلغ عدد السكان العاملين اربعة ملايين وهذا القدر لم يتغير منذ عشرين سنة. ويشتغل منهم مليونان اثنان في الفلاحة و440000 في الصناعة و400.000 في التجارة و300.000 في الإدارة و200.000 في مختلف المصالح المشغلة و150.000 في البناء والأشغال العمومية، بينما يصل عدد العاطلين رسميا إلى 350.000 وفي واحات ما قبل الصحراء تعيش كل عائلة مركبة من عشرة أشخاص في هكتار مسقي وهجرة الشباب متوافرة وخلال المجاعات التي عرفها المغرب إبان الحماية سنتي 1937 و1944 هاجرت عائلات بكاملها كما هاجر نحو ثمانمائة ألف فلاح بين سنتي 1936 و1952 ثلاثمائة ألف منهم نحو مناطق بدوية أخرى أكثر خصوبة، بينما اتجه نصف مليون نحو الحواضر لمضاعفة فقراء مدن القصدير على طول الساحل وهكذا يتسم سكان المغرب بالحركة الدائبة بسبب جاذبية المدن والأوراش والبحث عن الشغل في المناجم، وأكثر الناس هجرة هم سكان الواحات والبوادي.

وقد تضاعف عدد المدن وارتفع سكانها من ثلاثة ملايين إلى خمسة ملايين من عام 1961 إلى عام 1971 بينما انتقل نحو المليون بدوي نحو الحواضر خلال إحدى عشرة سنة وقد لوحظ أن نحو مائة وخمسين ألف فلاح يهجرون أراضيهم كل سنة منذ عام 1971 وقد تجاوز سكان الحواضر آنذاك ستة ملايين نسمة يبلغ عدد سكان المدن ثلاثة عشر مليونا عام 1985 أي نصف السكان الحاليين بينما سيفر سبعة ملايين فلاح نحو مدن أرباض الحواضر ولحد الآن وصل عدد العمال الذين اتجهوا إلى الخارج نحو أربعمائة وخمسين الفا.

وقد أصدرت كتابة الدولة للتخطيط والتنمية الجهوية إحصاءات ديموغرافية واقتصادية واجتماعية لعام 1974 نلخصها فيما يلي :

عدد السكان 16.800.000 نسمة والمساحة 458.730 كلم مربع (يضاف اليه اقليم الصحراء البالغ 266.000 كلم مربع).

عدد سكان المدن 6.299.000

عدد سكان البادية 10.501.000

عدد السكان الذين تقل اعمارهم عن 19 سنة 9.461.000

عدد السكان الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و29 سنة : 2.632.000

عدد السكان المتراوحة أعمارهم بين 30 و39 سنة : 1.782.000

عدد السكان البالغين بين 40 و59 سنة : 2.081.000

وفوق الستين سنة : 700.000 نسمة

أما عدد النساء فيقارب نصف عدد الرجال أي 8.320.000 "حسب أرقام 1973" ويصل الدخل الوطني إلى 2.468 مليون درهم.

ويظهر من إحصاء عام 1975 ان سكان الحواضر بلغ عددهم 6.619.000 في حين وصل عدد سكان البادية إلى 10.686.000 وهكذا بلغ عدد سكان المغرب حسب احصاء عام 1975 ما قدره 17.305.000 نسمة موزعة على مساحات أرضية تبلغ 458.730 كلم^2 ويوزع هؤلاء السكان كما يلي في الحواضر وأقاليمها :

الدار البيضاء (2.010.800 نسمة) – فاس (1.130.000) مراكش (1.109.300) القنيطرة (1.043.500) أكادير (847.900) الرباط وسلا (745.800) سطات (744.100) مكناس (687.000) وجدة (669.700) الجديدة (655.900) تطوان (607.400) أسفي (595.300) تازة (588.400) ورزازات (581.400) الناضور (531.300) قلعة السراغنة (515.700) بني ملال (489.700) الصويرة (404.900) تيزنيت (389.400) الخميسات (387.600) خريبكة (372.000) قصر السوق أو الرشيدية (366.900) ازيلال (365.100) طنجة (330.700) الشاون (278.600) خنيفرة (275.100) الحسيمة (273.400) بولمان (129.800) فكيك (98.600) طرفاية (79.700).

وورد في تقرير (بنك المغرب) أنه في آخر عام 1977 بلغ عدد السكان ثمانية عشرمليونا وأربعمائة ألف نسمة تقل أعمار أزيد من خمسين في المائة منهم عن عشرين سنة وتعيش الأغلبية الساحقة في المناطق الفلاحية.

وقد تحدث هذا التقرير عن زيادة سنوية تعتبر من أكبر التضخمات الديموغرافية في العالم وتصل نسبة الشباب الذين تقل أعمارهم عن العشرين سنة ستة وخمسين في المائة وتجذب الحواضر معظم السكان وخاصة الدار البيضاء التي يتجمع فيها ربع المهاجرين البدو وتبرز أهمية سكان الصحراء عند مقارنتها بمجموع سكان افريقيا الشمالية وعددهم بالنسبة لليبيا وتونس والجزائر والمغرب نحو اثنين وثلاثين مليون نسمة عام 1965 وهو عشر سكان القارة الافريقية البالغين حوالي ثلاثمائة مليون ومعلوم أنه إذا اعتبرنا نسبة التفجر الديموغرافي بالمغرب العربي وهي 3% سنويا فقد وصل عدد السكان عام 1995 الى نحو 66 مليون نسمة منها أزيد من خمسة وعشرين مليونا في المغرب.

ولم يكن عدد سكان العرائش يزيد على أربعين ألفا إذا قورن بعددهم في القصر الكبير وقد بلغ حسب إحصاء بلدية المدينة عام 1945 ما قدره 41.802 نسمة في حين بلغ عدد سكان عاصمة الرباط عام 1950 خمسين ألف نسمة حسب إحصاء بلدية المدينة وقد وصلت اليوم إلى أزيد من مليوني نسمة.

الاقتصـــاد

لاحظ الجغرافي اليوناني سترابون أن بسيط العرائش كان من الخصب بحيث تنتج حقوله مائتين وخمسين ضعفا نظرا لتوافر الأزوط والفسفور الضرورين لتغذية النجيليات Gramineés ومنها الزرع وأعشاب المروج والخيزران وقصب السكر[1].

ومنذ الفتح الاسلامي أصبح للمنطقة دور في نطاق "سوس الأدنى" إلى القرن السابع الهجري وقد ازدوجت موارد الثروة بين الصيد البحري والتجارة مع الخارج عبر مرسى العرائش بالإضافة إلى ثراء المجال الزراعي بين القصر الكبير والعرائش وفي وادي شفدد وهو وادي العرائش شعبتان من كتامة والبصرة المعروفة ببصرة الكتان أوبصرة الذبان "لوفرة ألبانها وغنمها وبقرها" وكان أهل البصرة يحملون تجاراتهم في المراكب خلال "وادي شفدد" إلى البحر المحيط ويعودون إلى البحر الغربي وقد لاحظ ذلك صاحب "معجم البلدان" وهذا الثراء حدا الأسبان إلى العمل على احتلال المنطقة عام "668هـ"[2]. وتدخل الانجليز في نفس الفترة وكانت سفنهم تنقل المنسوجات الصوفية عبر المرسى خاصة بعد أن أشاع مولاي عبد الملك السعدي لبس الأزياء التركية بالمغرب[3] ولم يفت اليهود الانجليز نقل كتبهم من خلال السلع والبضائع ففي عام 1562م، نقلت سفينة انجليزية إلى العرائش مقاذيف ورماح ومعادن كالقصدير ومعها 26 صندوقا مملوءا بكتب الزبور بالعبرانية وكانت مرسى العرائش خاصة منذ العهد المريني صلة وصل بين الأندلس والمغرب فقد جلبت عن طريقها بيلة الرخام الأبيض من المرية في عهد أبي الحسن المريني زنتها "143" قنطارا نزلت بالمرسى ثم نقلت في"وادي قصر كتامة" وحملت على عجل الخشب الى منزل أولاد محبوب على ضفة واد سبو من حيث نقلت إلى ملتقى سبو ووادي فاس[4].

---

(1) راجع المغرب المعاصر لكامبو ص : 105.

(2) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص : 137. ط الجزائر 1920 / الاستقصا ج 2 ص : 15.

(3) دوكاستري - السلسلة الأولى - السعديون ج 1 ص : 44.

(4) الاستقصا ج 2 ص : 87.

وإذا كان المغرب يكتفي ذاتيا بمنتجاته الزراعية ويلجأ أحيانا إلى إصدار الفائض منها فإن الأوروبيين كانوا يتربصون الفرص لترويج بعض منتجاتهم الزراعية ففي عام 1164هـ/1750م، وقعت المجاعة وهو عام يعرف بعام"اللوبية" كانت اللوبية تستورد فيه من الخارج وتباع في العرائش وسلا ومدن الساحل[5]. وقد كانت المنطقة تتوفر على أنسجة الكتان والقطن[6]، وقد اشتهرت قطنيات القصر الكبير والعرائش وكان الأرستقراطيون من رجال المخزن يستوردون الملف الذي بلغت أصنافه في عهد المولى اليزيد بن المولى محمد الثالث عام 1204هـ/ 1789م، واحدا وعشرين نوعا كان من بينها :

العكري والشكريط ودم غزال والقرفى والديدي والبنفسجي وبرناطة وشقوبية وبرايا والرصاصي وعين علجة وازنجاري واخضرليموني واللقاحي والعسلي والفقلاني والكبريتي والسكري والفاختي والشيبي لون الفار وقلب حجر وقلب فلينصة[7].

وكانت موارد المخزن الجبائية جد وفيرة خاصة في ميناءي طنجة والعرائش وكان للسلطان اهتمام خاص بذلك حيث لوحظ أن المولى سليمان خرج في 15 ربيع الأول 1212هـ/1797م من فاس إلى قنيطرة سبو ليتلقى العامل الحكماوي الذي كان يحمل إليه قناطير الأموال من طنجة والعرائش ونواحيهما[8] ونظرا لخصب المنطقة قام المخزن عن طريق "المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي" في اللكوس بزراعة الشاي نحو ثلاثين "30" هكتارا بالمركز التجريبي في "جديرة وقد جلبت بذور منتقاة من إيران وتوجه خبراء مغاربة إلى الصين للشاي تداريب تكوينية ومعلوم أن للصين خبرة خاصة في هذا المجال وهو ثاني منتج في العالم للشاي وقد اقام بالمغرب خبير إيراني للقيام بمعونة تقنية مباشرة وقام المغرب بنفس المجهود لتوفير انتاج السكر بانشاء معمل لمعالجة الشمندر وقد اشتهرت قطنيات القصر الكبير والعرائش حسب الحسن الوزان وهو ليون الافريقي في جغرافيته لافريقيا في القرن العاشر الهجري.

---

(5) تاريخ الضعيف ص : 155.

(6) حسب الحسن بن محمد الوزان.

(7) تاريخ الضعيف ص : 208.

(8) تاريخ الضعيف م 309.

الصناعـــة

بدأت تقليدية وشملت مجموع المغرب وقد ذكر الحسن بن محمد الوزان "ليون الإفريقي" في كتابه "وصف إفريقيا" الذي حلله "ماسينيون" في (كتابه "المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر" المطبوع عام 1906) أن المغرب كان ينقسم في عصره "أي القرن العاشر الهجري" إلى خمس مناطق صناعية :

1 - ناحية فاس التي تشمل الريف تصنع بها الأنسجة الغليظة "خاصة في الهبط وتازة" وثياب الصوف "في زرهون وبني يازغة" التي هي في مثل ليونة الحرير، زد على ذلك الأسلحة والسكاكين والسيوف بفاس وكانت تصنع بالحديد المجلوب من مناجم بني سعيد أو الأعوان أو الجنوب وكذلك الفحم والمصنوعات الخشبية "من خشب الريف" والخزف أي الفخار من "مزدغة" والصابون "وهو من اختصاصات بني مزكلدة" وكان القنب والكتان يزرعان في احواز فاس لصنع الحبال والمنسوجات لتوزع على مجموع مناطق المغرب.

غير أن مدينة فاس كانت تجلب من النواحي النائية الجلود التي تصنع منها أجهزة الفرس والأحذية وأنواع التجليد بعد الدباغة كما تجلب النحاس لصنع الأواني وتستورد التوابل لإصدارها إلى شمال البلاد وتقوم بتربية دودة القز في أحواز فاس "إلى جبال فازاز الأطلسية "لصنع الحرير الطبيعي" بالإضافة إلى الحرير الاصطناعي الذي كان يستخلص من نبتة الصبار "Aloès" ويعرف بالصابرة" ومن القطن كانت فاس تصنع جملة من القطنيات[1] ولم يشر"الوزان" إلى أصناف أخرى من المصنوعات كعصر الزيوت من الزيتون الذي كانت تحفل به ملايين الأشجار في المنطقة.

2 - ناحية الهبط الساحلية إلى حاحة ومن ضمنها القصر الكبير والعرائش انطلاقا من سبتة التي كانت تصنع أواني النحاس المنحوتة والمرصعة وتصدرها إلى البلاد الإيطالية ولم يشر "الوزان" إلى غير القطنيات في العرائش والقصر الكبير وسلا حيث تتوافر دكاكين

---

(1) الحسن الوزان ص : 96.

الأفاويه وأدوات الخياطة النسائية وفي ناحية "تامسنا" حيث الاسكافيون والحدادون وصناع الجوارب والصباغون والخزافون "الفخارة" وكانت هذه الناحية على وجه العموم مركزا تجاريا احتل بعض جيوبه البرتغاليون في "عصر الوزان" فقضوا على مصانعه وصاروا يمدونه بالقطنيات والصوفيات بعد أن كانت أصواف مدينة "بو الأعوان" مشهورة بذلك وقد ذكر "الشريف الادريسي" أن القطن موجود في تادلا وأشار "الوزان" إلى وجوده بسلا والعرائش[2].

وقد زرع القطن في أرباض بعض كبريات المدن منذ العصور الوسطى حيث شجعت انجلترا رعاياها عام "1864" لزرع القطن في ناحية "الجديدة" فبلغ انتاجه عام 1865 "400" قنطار وتأسست في نفس المكان مصانع لمعالجة هذا القطن الحريري الشبيه بالقطن الأمريكي[3].

3- ناحية هسكورة وتادلا حيث تركزت الصناعة الأهلية وراء شواهق الأطلس كمناسج الصوف والسروج في هسكورة والبرانس السود في تادلا مع تقيات الطواكي، وكذلك نوع دقيق من المنسوجات القطنية الصوفية مما يسمى "الشعرة" أو البزيوي "نسبة إلى بزو وهي مدينة في المنطقة" ورغم ازدهار الصناعة بهذه المنطقة فإنها كانت تجلب من فاس مختلف أصناف الأنسجة وأدوات الخياطة والسكاكين والجلود بل كانت "تادلا" تفضل سروج فاس على سروج هسكورة.

4- صقع سوس حيث يصاغ الذهب والفضة وتصنع الجلديات والثياب المختلفة ولكن البرتغال نافست المصانع التقليدية بعد احتلال اكادير التي حررها السعديون في القرن العاشر الهجري وكانت حركة القوافل دائبة تنقل ألف جمل يوميا بين الجنوب والشمال حاملة مواد ومصنوعات من منطقة إلى أخرى.

5- الأودية العليا في منطقتي "زيز" و"كير" حيث يسوق السكان مصنوعات فاس عدا الحديديات وأنسجة الصوف التي كانت من فجيج حيث تتوافر أجمل أصناف الصوف" وهو نوع مرنوس Merinos الحريري" ولعل ذلك نسبة إلى بني مرين" الذين انطلقوا من المنطقة وكذلك القطنيات السوداء لإمداد الصحراء الشرقية[4].

---

(2) ماسينيون ص : 88.

(3) النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب رقم 51.

(4) الحسن الوزان ص : 96 إلى 99.

وهكذا ازدهرت الصناعة التقليدية في مختلف أنحاء المغرب فضمنت في العصور الوسطى نوعا من الاكتفاء الذاتي بتعاون المناطق حسب الاستعدادات الطبيعية لكل منطقة.

فبخصوص السكر مثلا ذكر البكري[5] "القرن الخامس" أن قصبا كان موجودا في "إيجلي" قاعدة بلد سوس ومنها كان يحمل إلى جميع أنحاء المغرب ويصنع منه الشيء الكثير حتى يباع القنطار منه بمثقالين وذكر "كامبو Campou" أن مياه وادي سوس تجمع كلها لسقي مزارع قصب السكر الذي كان يشكل أهم مادة في الأسواق السوسية تمد بها باقي أنحاء المغرب وكذلك السودان.

على أن الروح الصناعية وكذلك التجارية كانت تذكي أهل سوس والجنوب عموما منذ القديم وقد لاحظ "البكري" أن أهل السوس وأغمات كانوا أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب" وذكر صاحب المعجم أن مدينة أغمات كان يدبغ بها جلد تفوق جودة صنعه جلود الدنيا وذكر "الإدريسي[6]" في القرن السادس "أن أهل أغمات" أملياء تجار مياسير يدخلون إلى بلد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاويه والعطور وآلات الحديد" وقد لاحظ "كامبو"[7] أن المغرب كان يصدر إلى السنغال الأحذية من نوع "البلغة" وإلى الجزائر زرابي الرباط والدار البيضاء وكذلك "الحياك" (جمع حايك وهو رداء شتوي) وبلاغي فاس علاوة على البغال وأفراس وزرابي الرباط كانت ولا تزال مشهورة باستقرار ألوانها يصنع منها نحو "أربعة آلاف" زربية في السنة تصدر ثلاثة أرباعها إلى أوربا وكانت زرابي الدار البيضاء أقل قيمة منها من حيث اللون، وذكر كامبو[8] أن عدد مصانع الزرابي في كل من سلا والرباط بلغ الخمسين ودور الدبغ أربعين ومعامل البلغة "وهي دكاكين فردية" "350" وقد ذكر ياقوت في معجمه "القرن السابع" أن لنساء سجلماسة يدا صناعا في غزل الصوف "فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع

---

(5) البكري ص : 161.

(6) وصف إفريقيا المنقول عن نزهة المشتاق ص : 43.

(7) مملكة تنهار ص : 123.

(8) كامبو (ص : 236).

من الأزر تفوق الذي بمصر يبلغ ثمن الإزار "35" دينارا وأكثر ويعملن منه غفارات يبلغ ثمنها مثل كل ذلك ويصبغنها بأنواع الأصباغ[9].

وكانت الصنائع المختلفة تؤدي القبالات "أي الضرائب"، فقد لاحظ الإدريسي[10] أنه" كانت أكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان "السفنج" والصابون والصفر والمغازل وكانت القبالة على كل شيء يباع فلما ولي المصامدة "أي الموحدون" قطعوا القبالات.

وإذا ركزنا في هذه العجالة على الصناعة التقليدية بفاس فلأنها كانت تصدر مصنوعاتها إلى الخارج من مرسى العرائش قبل تأسيس مرسى القنيطرة بعد الاحتلال الاسباني لمنطقة الهبط. وتعتبر فاس عاصمة الصناعة التقليدية منذ العصور الوسطى الأولى وقد وصف الحسن الوزان مصانعها في القرن العاشر الهجري فلاحظ أن بالضفة اليمنى لوادي فاس كانت تقوم مصانع التغذية باستثناء المجزرة واللباس والبناء بينما كانت صناعة الجلود والمعادن تعالج خارج عدوة الأندلس وتجلب للضفة اليسرى المواد المصنوعة بفاس أو خارج فاس لتباع في أهراء أو بالمزاد لتفصيل التجار ولكن منافذ بعض هذه المواد إلى الخارج كانت تمر عن طريق بلاد الهبط.

ولقد لاحظ ياقوت "المتوفى عام 626هـ"[11] في المعجم أنه كان آنذاك بفاس (600) رحى "لا تبطل ليلا ونهارا" أي لا تتوقف عن العمل "وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها" إلا غرناطة.

وذكر (الجزنائي) أن في زمن المنصور ومحمد الناصر الموحدين كان عدد الأطرزة بفاس (3091). ودور صنع الصابون - 47 - ودور الدباغة - 86 - والصباغة - 16 - وتسكيك الحديد والنحاس - 12 والزجاج -11 - وكوش "أي أفران" الجير - 135 - وأفران الخبز - 1170 - وأحجار عمل الكاغد - 400 - داخل المدينة ودور الفخارة - 180 - خارج المدينة.

---

(9) ياقوت الحموي في معجمه ج 3 ص : 41.

(10) الإدريسي وصف إفريقيا ص : 45.

(11) ياقوت الحموي في معجمه ج 6 ص : 331.

وقال المراكشي في المعجب "القرن السابع" : "ما أظن أن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أكثر مرافق وأوسع معايش وأخصب جهات وذلك أنها مدينة يحفها الماء" ولعل ذلك راجع لكون فاس كانت مهدا لازدواج الحضارتين الأندلسية والمغربية أعقبتها حواضر أخرى كالرباط وسلا وتطوان التي احتضنت المهاجرين الأندلسيين فقد هاجرت إلى فاس ثمانمائة عائلة من قرطبة إلى فاس بعد (وقعة الربض) آخر القرن الثاني الهجري أي بعد تأسيس المدينة بفترة يسيرة حيث وافت إلى العاصمة الإدريسية جالية قيروانية من ثلاثمائة عائلة وكان العرب القيروانيون عملة وتجارا بينما كان الأندلسيون يشتغلون في الحقول الفلاحية[12]، وينقل المقري[13] عن "ابن غالب" أن أهل البادية من الأندلس مالوا في المغرب الأقصى وإفريقية إلى ما اعتادوه فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأرحي الطاحنة بالماء وعلموا بدويي المغرب أشياء لم يكونوا يعرفونها فكثرت مستغلاتهم وعمت الخيرات ومال أهل الصنائع إلى باقي البلاد فنشروا فيها أجود ما كان عندهم من الحرف في كثير من الجودة والحذق، وقد ذكر "سر فانطيس" مؤلف "دون كيشوط" في بعض رسالته أن الأندلسيين ظلوا يحتكرون حتى بعد سقوط الأندلس تجارة الأغذية ويضعون أيديهم على المحاصيل عند نضجها ومنهم تجار البقالة والماشية والقصابون والخبازون وأصحاب الفنادق وهم لا يشترون العقارات احتفاظا بحرية استعمال أموالهم.

على أن الصناعة التقليدية ازدهرت بالمغرب بجميع أصنافها حتى بلغت اعداد رجالها أكثر من ثلث سكان البلد وقد لاحظ "المقري" أيضا[14] "أن الجاهل الذي لم يفقهه الله للعلم يجهد نفسه أن يتميز بصنعة يربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس لأن هذا عندهم في غاية القبح".

ومعلوم ان المحتسب هو الذي كان يسير دواليب الحياة الاقتصادية في كل مدينة ويشرف على الحناطي ويراقب الأسواق والمكاييل والموازين وهو الحكم الذي يرجع إليه لفصل الدعاوي بين التجار والصناع والمحترفين وكانت له السلطة في ميدان الصناعة والاقتصاد وقد تحدث باليز Pallez في "المجلة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب" عن نظام الحناطي فلاحظ أنه كان يتسم في جميع العصور بطابع الحرية حيث أن المخزن كان يحترم

---

(12) تاريخ مسلمي أوروبا / دوزي ص : 301.

(13) النفح ج 1 ص : 764.

(14) النفح ج 1 ص : 104.

مبدأ الحرية التجارية قبل صدور ظهير 1917 القاضي بتنظيم البلديات وإنما فسد هذا القطاع - كما يلاحظ باليز - بالاحتكاك بالغربيين.

وفي كل هذه المجالات كان العرب - كما يقول الدكتور لين بول في كتابه[15] - من أهم عوامل النشاط والرخاء في إسبانيا حيث كانت براعتهم قدوة في الزراعة والصناعة والعلوم والفنون وخلالهم قدوة في المثابرة والزهد والعفة والرفق وكانوا - يقول الدكتور لي- على الجملة من أفضل العناصر التي يمكن ان تضمها دولة متمدنة "فانصب بعض ذلك على المغرب بعد هجرة الأندلسيين إليه ولذلك احتضنهم الخليفة الرشيد الموحدي منذ عام 637هـ وفسح لهم باب الهجرة على رباط الفتح وباقي الحواضر مثل فاس ومراكش وتطوان وكثيرا ما كان ملوك المغرب يهتمون برجال الصناعة ويعملون على تنمية مواردهم وضمان مصادر لمنتجاتهم فقد بعث المولى زيدان أحمد المنصور السعدي عملاء إلى أوروبا للدعاية للمصنوعات التقليدية المغربية في عصره أي القرن الحادي عشر الهجري وعمد في نفس الوقت إلى حماية الصناعة الأهلية من المزاحمة الأجنبية فحظر توريد المنسوجات الإنجليزية.

والواقع ان المغرب كان دائما يتوفر في حواضره وقراه وسهوله وجباله على ما يضمن بعض الاكتفاء الذاتي البسيط نظرا لوجود حرف ومهن تقليدية معظمها يدوي مثل "الدرازات" المختلفة لصنع الزرابي والحنابل ومختلف أصناف الأنسجة بالإضافة إلى الزخرفة وهو فن يشمل كثيرا من فروع الصناعة التقليدية مثل الطرز والنقش على الخشب "وهو الترصيع والتجبيس" أي النقش على الجبس وتتجلى بعض مظاهر هذا الفن في التخاريم الخشبية على الأبواب والنوافذ والسقوف مما كاد يبذ فن الترصيع الدمشقي كما بلغ فن تفضيض الخزف أي صنع الزليجي بدرجة من الدقة والروعة أضفت على هذا الفسيفساء الأندلسي المغربي طابعا خاصا.

وكانت بعض هذه الحناطي تتداخل أو تتشابه مثل الزلايجية "الفسيفسائيين" والطلاية "الدهانين" والدباغين الذين كانوا ينضوون تحت رايات "حنطات" مختلفة وقد كان بفاس وحدها بعد الحرب العالمية الأولى 161 حنطة إلا أن هذه الحنطات التي كانت تقوم بدور اقتصادي هام في البلد لم يكن يجمعها اتحاد خاص أو غرفة تجارية أو صناعية كما هو الحال اليوم بالمغرب ولم يكن عدد "الحنطات" محددا ولا عدد أعضائها بحيث يظل الباب مفتوحا للمزيد حسب التطور الحاصل ولكن بالرغم عن هذه الحرية فإن الإطار

---

(15) الموريسك ص : 7.

العام قد اتسم بكثير من الاستقرار، وكان الانخراط في الحنطة يستلزم نوعا من الضمانة لحماية المستهلك كحنطة الخياطة التي كانت مضطرة إلى الإدلاء بضامن أمام العدول كفالة لمصالح زبنائها وكان في وسع المحترفين الفقراء "تقييد" أسمائهم في سجلات المحتسب وكانت بعض الحناطي تتضامن ماليا بحيث يكفل بعضها ديون بعض مثل البقالة والفحامة بشرط أن لا يندرج فيها إلا الذين ترضى بهم الحنطة غير أن "الحنطات" الأصلية في البلد لم تكن في حاجة إلى ذلك فلم تكن هذه الكفالة الجماعية تخص عدا الأجانب عن البلد الذين يستوطنون المدينة وكان في كل حنطة المعلم "بالنسبة للصناع" أو الحوانتي "أي الدكاكيني بالنسبة للتجار" وهما المسئولان عن المتجر أو المصنع يؤديان أجور المستخدمين وضرائب المخزن كما كان فيها الصناع "أو الأصحاب في خصوص المتاجر" وهم أجراء.

ومن أمثلة المصنوعات المغربية :

- **السباني** : المناديل الصغيرة كان المغرب ينسج منها كميات وافرة وقد صنعت أطرزة العدوتين "سلا والرباط" آخر ايام المولى عبد الرحمان العلوي "460.800" سبنية وهنالك أنواع كبرى لتغطية الرأس تتنافس النساء في تحليتها وكانت تجلب غالبا من الخارج وقد قل استعمالها اليوم إلا في بعض المناطق البدوية وقد ورد في معجم البلدان[16] أن السبنية ثوب يتخذ من مشاقة الكتان منسوب إلى موضع بناحية المغرب يقال له سبن.

- **السكر** : كانت كل الواردات من السكر تتم عن طريق العرائش أو ميناء طنجة من القوافل المتوجهة برا نحو الجزائر والسودان وكان رجال القبائل هم الوسطاء والسماسرة، ولولا الحاجز الرملي في العرائش لاقتصر التجار على هذا الميناء وعدلوا عن طنجة لبعدها عن فاس وكان (فيليب الثاني) يعتبر العرائش ميناء فاس الأول وأهم نقطة من ساحل المحيط، وكان عقد الجزيرة الخضراء قد منح للأجانب[17] تملك عقارات حول الموانئ المغربية وفي ظرف ستة أشهر بتطوان والدار البيضاء والعرائش ثم بالتدريج في المدن الأخرى.

وكان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا : المغرب ومصر، وقد حدثنا المقريزي أنه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب، كما كان بملوى عدة أحجار[18] وكذلك في قايس وجلولا[19].

---

(16) معجم البلدان ج 5 ص : 31.

(17) عقد الجزيرة الخضراء البند 66.

(18) خطط المقريزي ج 1 ص : 203.

(19) البكري في المسالك جزء إفريقية والمغرب ص : 17 و32 (راجع سكر فاس أيام الموحدين).

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الله الغالب - المسلوخ - عن إذن والده إلى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء "فاس الجديد" في رجب 968هـ "مارس 1591" حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة في المائة وكذلك إصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا[20] ومدينة جلولا تبعد عن القيروان بأربعة وعشرين ميلا فتحها عبد الملك بن مروان في جيش معاوية بن حديج وفيها قصب السكر، وكذلك في فاس حيث يتوافر أجود وأرق حرير في افريقية[21]

وقد تذمر الانجليز في عهد السلطان مولاي عبد المالك من احتكار اليهود بيع السكر لا سيما في المراسي القريبة من أوربا فصدر مرسوم ملكي من طرف مولاي عبد المالك عام 985هـ/1577م يسمح للانجليز بالتمتع بنفس الحرية للحصول على السكر[22] وقد اقتطعت مصانع السكر بالمغرب لتاجر انجليزي[23].

- **القشاب** : قميص من صوف او حرير يختص به النساء في الحواضر وقد يلبسه حتى الرجال في البوادي حيث وصفه "هوست"[24] بأنه من صوف بلا كمين يلبس بدلا من القفطان ووصفه "لمبرير Lemprière"[25] في كتابه بأنه ثوب طويل غليظ يشد حول الوسط وتلبسه النساء يؤلفن منه كيسا فوق الظهر يحملن فيه اولادهن ولعل هذا الوصف ينطبق على نوع خاص من القشاب في بعض القبائل وإلا فكل قفطان في البادية قد يستعمل لهذه الغاية.اما القشابة فهي نوع من الفساتين الرقيقة التي تلبس فوق القفطان وتسمى (الفوقية) عند الرجال.

وقد تدخلت فرنسا منذ عام 1898 فصدرت إلى المغرب 844 طنا من السكر عن طريق مينائي العرائش وطنجة وصدرت سنتي 1901-1902 ما قيمته ثلاثمائة ألف فرك وتزايد احتكار فرنسا للتصدير بعد الحماية عام 1912 ولكنها رخصت لباخرة انجليزية بتصدير السكر إلى المغرب في "16 اكتوبر 15/1914 ذي القعدة 1332هـ" ومنذ ذاك نص

---

(20) (السلسلة الأولى) السعديون ج 3 ص : 746.

(21) إفريقية والمغرب في مسالك البكرى ص : 17 - 32.

(22) دوكاستري - س أ. السعديون ج 1 ص : 232 عام 1908.

(23) دوكاستري - ق 1. السعديون / انجلترا ج 1 ص : 230 - 236 .

(24) هوست (اخبار من مراكش ص : 115).

(25) Lemprière في كتابه (رحلة إلى مراكش ص : 39).

قرار صادر من فرنسا على أن كل جلب للسكر يلزم أن يصدق عليه من طرف وزارة الخارجية الفرنسية (وقد وردت الإشارة إلى أن هذا القرار في جريدة السعادة بتاريخ 21 اكتوبر عدد 832) فارتفع الثمن بسبب هذا الاحتكار إلى 87 بسيطة للكيلو الواحد وهو ثمن باهظ نشك في قيمته.

وكان استخدام السكر والشاي قد أثار منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري موجة من الاستنكارات بسبب ما راج آنذاك من استعمال عظام الموتى في صنع السكر ومما صدر من أبحاث "رسالة في السكر والشاي" لمحمد بن الشاذلي الحمومي شيخ الجماعة بفاس "1266هـ/ 1849"[26].

الطلس : يظهر أنه كانت بالمغرب في عهد مولاي زيدان مصانع للطلس Satin حيث ورد في قائمة هدايا السلطان إلى هولندا عام 1612 الإشارة إلى حياطي الطلس "عمل دار السلطان[27] وكانت فاس تصدر الأنسجة إلى مدن المغرب والجزائر إبان الحماية الفرنسية فقد استوردت الجزائر ربع أو خمس منسوجات فاس الصوفية عام 1937[28] وكذلك مصر والسنغال. وقد عرفت صناعة النسيج في المغرب خلال عشر سنوات "1967-1977" تطورا سريعا بفضل تنوع منتجاتها لاسيما الألبسة التي تستجيب لحاجيات السوق الداخلية والخارجية بحيث اصبحت أصنافها النفيسة تغزوا أوروبا والعالم وقد بلغ معدل رواجها عشرات الملايين من الدراهم.

---

(26) توجد نسخة في جع عدد : 590د.

(27) السلسلة الأولى - السعديون - هولندا ج 2 ص : 175.

(28) فاس قبل الحماية - لوتورنو ص : 349.

مراجع إضافيـة

K. Benabdeljelil. Le commerce de tissu à Fés avant le Protectorat. Mémoire de stage pédagogique inédit.

L'industrie textile au Maroc, F.Amérique- Grande –Bretagne n° spécial, 1974 (40p).

النسيج "مناويل" بفاس "مصطلحات النسيج"

J.Lapanne-Joinville, Hesp. XXVII (1940) Le Tourneau et Vicaire, Les tisserands de Fés (inédit)

R.Le Tourneau Noyelle et Vicaire, IVe congrès de féd. des soc,san,d'Afric, du Nord II , 885-893

النسيج بفاس هسبريس 1650 "مجلد 37" "1-2"/ النسيج في الأندلس "اسبانيا المسلمة ص : 56"

E. Cayla, enquête sur la culture du coton en Egypte, Algérie, Tunisie et au Maroc, en 1917, in «Annales de la science agronomique française et étrangère», avril –juin 1919 (p 145-203).

M. Gentelli la culturazione del cotone al Marocco, «moni comme» vol III, 1914, Venezia (18p).

E.Miege ; L'avenir de la culture du cotonnier au Maroc, in (Rev. Int. Bot). Appl. «5, 1952 N° 353-356 (p236).

Iltis : Le coton au Maroc, in «la Terre marocaine», février 1931.

R.Smith : Manchester as a centre for the manufacture and marchanting of cotton goods, 1820-1830, in "university of Birmingham historical journal"1953.

J.L Miège : le Maroc et les premières lignes de navigation à vapeur, in Bulletin de l'enseignement public au Maroc n°236, 1956 (p 37-47).

Flournoy- British politicy towards Morocco in the Palmerston 1830- 1865, Baltimore, 1935 (p 229-230).

E.C. Cruickshank: Marocco at the parting of the ways Philadelphie, 1935 (p14-15).

La culture du cotonnier au Maroc – Rabat – Paris 1951, (15 p)

J.P.Busson, rapport sur la culture des cotons à Mazagan en 1866, in bull, écon.soc. du Maroc» 1951 (p 590).

J.I Miège, coton et cotonnade au Maroc au XIX siècle, Hesperis, 1959 (3-4).

Le coton au Maroc – M 45 n° 14 '1945).

A.Journeaux –Notes sur la culture du cotonnier, la Terre marocaine 1947.

E.Miège –la culture indigène du cotonnier- les Beni amir, 1944.

G – Carles – Rapport sur la culture au Maroc, en 1925- Paris assoc. Cotonnières, col.1925 (84p).

إسبانيا المسلمة ص : 170 القطن القنبي cotonnine

كانت مصانع الرباط تنسج خليطا من خيوط أو ألياف القطن مع القنب

(القطنيات "أو المنسوجات القطنية" صدر المغرب منها 1153 طن عام 1975 و183 طن عام 1976).

العملة والنظام النقدي

الدرهم والدينار : عرف العرب من الدنانير صنفين الهرقلي أي الرومي والكسروي أي الفارسي، وظل العرب يتعاملون بعد الإسلام بالنقود الرومية والفارسية، وعندما ضربوا نقودهم أبقوها على شكلها الرومي والفارسي بكتابتها ونقوشها حتى إن سيدنا خالدا بن الوليد يوم سك نقودا في "طبرستان" عام 15 أو 26هـ جعلها على رسم الدنانير الرومية. ويقول المؤرخ الألماني "ميلر" بأن خالدا أبقى على أحد وجهي هذه الدنانير صورة الصليب والتاج والصولجان، ونقش على الوجه الآخر اسمه باليوناني. ولاحظ "أنستاس الكرملي" ان هذا يتناقض مع ما قاله "المقريزي" من أن سيدنا عمر بن الخطاب هو أول من ضرب النقود في الإسلام ويريد "الكرملي" أن يستنتج من رواية "ميلر" أن ضرب النقود باسمه كان من أهم الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب إلى تنحيته عن قيادة الجيش، وان عزله كان بعد فتح الشام والقدس لا في وقعة "اليرموك".

الدينار : كان وزنه يتراوح في الصدرالأول بين 4.749 غرامات و4.25، ونقص وزنه أيام المرابطين فأصبح 3.960 غرام، ثم ارتفع وزنه أيام الموحدين الذين حاولوا العودة إلى الوزن السلفي وبتقليد الأوائل حتى في وزن النقود، وذلك إلى 4.729 غرم كما كان في العهد العمري. وظل الدينار الموحدي مربعا طوال قرن كامل ثم تغير شكله إلى التدوير أيام المرينين دون أن ينقص وزنه.

وورد[1] أن المنصور الموحدي رأى أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر في المملكة من المنازع العالية، وان جرمه يقل عما عارض من المناظر الجارية، فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف وسومه، فجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السرية جامعا بين الفخامة والنماء والطيب وشرف الانتماء وكانت بباب منصور العلج أيام السعديين بمكناس أربعة عشر مائة مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي[2].

---

(1) البيان المغرب في أخبار المغرب ج 3 ص : 154 ط الرباط 1960.

(2) النزهة ص : 95.

وقد عثر في أبي الجعد على اثنين وثمانين دينارا ذهبيا 28 منها تزن 3.80 جرام ترجع إلى عهد مولاي محمد المسلوخ و55 قطعة من وزن 4.91 في عهد مولاي زيدان، أي أكثر من الوزن الشرعي الذي أوصله البعض إلى 4.414 جرام[3].

وقد أصبح للدينار بعد وقعة وادي المخازن نفاق لدى التجار الانجليز الذين اغتنموا هزيمة البرتغاليين لبيع منسوجاتهم بالذهب ومبادلتها كذلك بالسكر والجلود المدبوغة وملح البارد.

وفي أيام العلويين بلغ وزن الدينار ثلاثة غرامات، ومنذ عهد المولى إسماعيل أبطل التعامل بالدينار الذهبي اللهم إلا ذلك النوع الصغير التابع الذي ضرب بالرباط عام 1202هـ/1787م والذي كانت قيمته تعادل أربعين موزونة وهكذا انتهى عهد المغرب بالمثاقيل الذهبية التي استعيض عنها بمثاقيل قياسية من فضة، فكان الدينار الفضي يزن 28 غراما ما بين سنتي 1174هـ/1202هـ "176-1787" وساوى ريالا عام 1266هـ/1849م ويزن 26 غراما عام 1317هـ / 1899 م وصار وزن المثقال القياسي يتناقص حتى بلغ 1.78 غراما ما بين سنتي 1321هـ / 1323هـ 1903 - وقد أكد الونشريسي[4] ان قيمة الدينار في عصره كانت أربعة وعشرين قيراطا.

أما بالنسبة للدرهم فقد كان الدينار يساوي في الصدر الأول عشرة دراهم وستمائة فلس، وايام المرابطين والموحدين مثقالا وعشرة دراهم، وأيام المرينيين والسعديين والعلويين 15 درهما، ولكن فقهاء المذهب المالكي يشيرون إلى اختلاف قيمة سعر الدينار تبعا لموضوع الصرف ملاحظين أن السعر هو 12 في الديات والعقود والأنكحة والقسم. ويظهر أن اختلاف قيمة الدينار راجع لخلوص هذه العملة أو زيفها.

الدينار اليوسفي : المنسوب إلى الخليفة يوسف الموحدي[5]

الدينار المريني : تتجلى قيمته في قوته الشرائية حيث حج الشيخ زروق بمائة وسبعين دينارا[6].

---

(3) راجع كتاب Scerlkes حول النميات.

(4) الونشريسي المعيار ج 3 ص : 321 - ط. فاس الحجرية.

(5) المن بالإمامة ص : 484 / ابن خلكان / الاستقصا ج 1 ص : 164.

(6) الجذوة ص : 64.

- دينار ابن الطالب هو الدينار الفاسي المنسوب لاحمد بن محمد بن الطالب أمين دار السكة بمراكش المتوفي عام 1011هـ/1602م[7].

وكان الدرهم الصحراوي مربعا في العهد الموحدي يتعامل به في الصحراء ولكن شكله استدار في الغالب حاملا في أحد وجهيه اسم مكان السك وهو تطوان والرباط أو العاصمتين فاس ومراكش وقد تم سكه في عهد المولى الرشيد والمولى سليمان واستمر إلى عهد الحسن الأول.

(7) (الإعلام للمراكشي ج 2 ص : 45). (إثبات ما لا منه بد لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد) لمحمد بن محمد ابن أحمد العزفي السبتي 633هـ/1602م مكتبة محمد المنوني رقم 164 (69 ورقة) قوبلت بأصل المؤلف.

دور سك العملة

يمكن أن نلخص فيما يلي تطور سك العملة المغربية في العهد العلوي طوال ثلاثة قرون والأسباب التي دعت إلى كثير من التغيير في هذا المجال ففي آخر السعديين جرفت بالمغرب أزمة خطيرة سياسية واجتماعية واقتصادية وتمخض الاضطراب السياسي وانحلال الحياة الحضرية والحروب والأوبئة عن تأزم الوضع المالي فتقلص الرصيد المعدني الذي كان في خزائن المخزن السعدي مما أدى إلى انهيار العملة وغياب الدينار الذهبي والدرهم الفضي من السوق نظرا لانعدام المعدنين، وبذلك انهارت الحركة التجارية التي كانت مزدهرة في البحر الأبيض المتوسط وتحللت معها أسباب الرواج في المغرب فاستحالت العملة إلى فلوس نحاسية مزيفة، وأصبحت تركة بيت المال مثقلة بالمشاكل عند ظهور الدولة العلوية فهب المولى الرشيد 1075هـ-1082هـ إلى انعاش الخزينة المالية العامة بسك عملة متماسكة ومراجعة النظام الجبائي وحذف الضرائب الفادحة التي كانت تئن تحت عبئها الطبقات الصغيرة وفي عام 1077هـ/1666م ضرب صنفا جديدا من الدرهم الفضي هو الموزونة تزن 0.70 غرام للقضاء على المقايضات التي أصبحت أداة التبادل في السوق ثم عمد السلطان الشاب إلى مساعدة تجار الحواضر ومن بينها عاصمة فاس بسلف من ماله الخاص بلغ قدره خمسين طنا من الفضة المسكوكة فأسفر هذا الإصلاح الأولي عن نوع من الانطلاق بدل الجمود الذي ساد الحركة التجارية وعم هذا الانطلاق سك العملة الصالحة في مضارب فاس وسجلماسة ومراكش والرباط ضمن لامركزية أعطت لكل إقليم استقلالا في ضرب النقود لتشجيع التجارة الجهوية، وبعد ذلك بأربع سنوات عام 1670م بدأ سك العملة النحاسية الجديدة للاستعاضة عن الفلوس الرائجة وإقرار قيمتها بالقضاء على التغيرات المحلية وبذلك انتعش الرصيد الذهبي المتمثل في الدينار والذي أصبحت تزخر به بيوت المال وانخفضت المعادلة بين الدينار والذهب إلى نصف السدس 1/12 بدل العشر 1/10 كما كان الأمر في عهد السعديين وكانت هذه القيمة مخصصة لبعض المجالات والصفقات هي الدية والعقود والأنكحة والقسم كما يقول شاعر الفقهاء.

الصرف في الدينار يب[12] فاعلم في دية عقد نكـــاح قَسَـــم

ولكنها عممت نحو كل عوامل الفوضى والمضاربة، وبوفاة المولى الرشيد عام 1139 لم يكن المغرب قد استكمل بنيات كيانه فتصدى السلطان الخلف المولى إسماعيل (1139هـ-1082هـ) خلال نصف قرن لتقويم بقايا الخلل الذي كان ينخر دواليب الإدارة المخزنية ووسائل الرواج الاقتصادي حيث شعر بأن إقرار عملة قوية صحيحة خالية من كل زيف هي الذريعة الوحيدة لضمان حيوية التجارة واستقرار مداخيل بيت المال، فسك البندقي كأول دينار علوي مقتبس من البندقية التي كان للمغرب معها منذ قرون صلات تجارية عبر البحر الأبيض المتوسط فأصبح البندقي عملة ذات قيمة في هذا المجال الحيوي من المبادلات المتوسطية، وبدأ سك البندقي الذهبي بمكناس العاصمة ثم فاس ومراكش، بينما بقيت فلوس النحاس ودراهم الفضة تضرب في كل الحواضر مثل الرباط وأسفي فازدهر بذلك الاقتصاد المغربي في رواجه الداخلي وتبادله مع الخارج وبالرغم عن الأزمة السياسية التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل عام 1139هـ بتناحر الأمراء حول العرش فإن الوضع المالي لم يعرف خللا ولا اضطرابا لقوة هيكلته.

وبعد نحو ثلاثين سنة خلع خلالها السلطان المولى عبد الله بن المولى اسماعيل ارتقى أريكة العرش نجله وخليفته بمراكش المولى محمد عبد الله "1171هـ/1204هـ" فتعددت النقود وتوافرت معامل سك العملة، واتجه الأمير الشاب نحو تقليص النقود الأجنبية الرائجة في المغرب وذلك بتقويم جديد للنقد الذهبي وتعزيز عملة "البندقي" دون المساس بالموزونة الذهبية ولكنه اعاد للدرهم الفضي وزنه الشرعي وهو 2.93 غرام، أي ما يقارب ثلاثة غرامات والمثقال الذي أصبح يساوي نصف البندقي، غير أن الرواج لم ينتعش لأن الأثرياء عمدوا إلى خزن الذهب والفضة نظرا لقيمتها فاضطر السلطان إلى توفير كميات المسكوكات استعانة بمعامل السك في مدريد، ولكنه عاد إلى الاقتصار على السك المحلي لمواجهة تيار المبادلات الخارجية المتصاعدة والتي نتجت عن المعاهدات الاقتصادية التي أبرمها محمد الثالث مع الكثير من دول أوربا ومع الولايات المتحدة الأمريكية التي كان أول من اعترف باستقلالها وعقد معها أول اتفاقية تتجدد كل نصف قرن، وكان العدول إلى الاقتصار على معامل الضرب المغربي راجعا إلى ثقل وطأة الريال الإسباني على اقتصاديات البلاد.

والواقع أن الاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله بدأ يتقلص بسبب الاضطرابات التي جرفت بمختلف القبائل التي شجعها تناحر الأمراء

على العرش والتمرد ضد السلطة المخزنية فاضطر المولى سليمان بن المولى محمد بن عبد الله خلال نحو ثلاثين سنة من قبضه على زمام الأمر (1206هـ/1238) إلى بذل جهد كبير لإقرار الأمن وتطوير التجارة والمبادلات فسك صنفا جديدا من (البندقي) مع درهم أقل وزنا وظل معدن الذهب والفضة المسكوك مخزونا في الصناديق الخاصة ولم تكن تروج في الأسواق سوى الفلوس غير المسكوكة وما لبثت التجارة المغربية بعد وفاة المولى اسماعيل أن أصبحت ضحية لتهالك العملات الأجنبية على المراسي المغربية وخصوصا منها الريال الاسباني والدينار الفرنسي "écu" اللذين ما لبثا أن غمرا السوق في طليعة عملات المبادلة المغربية.

وهنا تجرأت دول أوربا لا سيما بعد (وقعة إيسلي) وسطو فرنسا على الجزائر على اختلاق دواعي الخلاف والمناوشات في حدود ما بين المغرب والجزائر خاصة بوجدة ومدن وقرى الصحراء الشرقية المغربية، فانشغل المغرب في الدفاع عن كيانه لاسيما بعد إجباره على التخلي عن أسطوله في العهد السليماني، ومع ذلك فإن المغرب عرف استقرارا في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي قام باصلاحات جذرية وجدد نظام الجيش وأنعش الزراعة والصناعة بآلات عصرية وقد بلغ عدد رؤوس الأغنام والأبقار في آخر عهده 48 مليون رأس، في حين لا يتجاوز هذا العدد اليوم في مجموع الشمال الافريقي 25 مليونا.

وقد اصطدم المولى محمد بن عبد الرحمن (1276هـ-1290هـ) بعراقيل مختلفة داخلا وخارجا فتت في عضده لا سيما بعد حرب تطوان "1276هـ-1859م" التي لم تنفرج بانسحاب العدو منها إلا بعد الالتزام بما سمي آنذاك بنفقات الحرب قدرها مائة مليون بسيطة اضطر السلطان معها إلى الاقتراض من انجلترا وإفراغ بيت المال لمواجهة نهم الأسبان وأطماعهم، فكان في ذلك انهيار محقق لاقتصاديات المغرب الذي كف عن سك النقود عدا فلوس النحاس التي ظلت نحوا من عشرين سنة هي عملة المبادلات الوحيدة، فقيض الله للمغرب أميرا شابا عرف كيف يدافع بين الدول ظل عرشه فوق صهوة جواده نحو العقدين من السنين ضمن "حركات" لتمهيد البلاد وإعادة الطمانينة والأمن وهذا الشاب هو المولى الحسن الأول (1290هـ-1311هـ) فغير العملة وخلق الريال الحسني أكثر وزنا من الريال الاسباني فكان وزن هذا الأخير 27 غراما بينما بلغ وزن المثقال المغربي 29.11 غراما، وقد سك الصنف الأول من الريال المغربي بباريس عام 1299هـ/1882م

بنقود فرعية تبلغ نصف الريال وربعه وعشره ونصف عشره ثم توالت التفريعات في العهد العزيزي، إلى أول القرن العشرين (1318هـ-1900) وكان القصد من رفع وزن الريال المغربي بالنسبة للريال الاسباني الفضي أن ينافسه بسهولة وأن تستعيد العملة المغربية ما كان لها من ثقل ونفوذ بين العملات الأجنبية.

ولكن الوضع السياسي المتردي في المغرب جعل الريالين يروجان في مستوى واحد قبل أن يتفوق الريال الأجنبي على العملة الوطنية فكثرت المضاربات وبيع الريال المغربي بأبخس الأثمان ليذوب ويسك من جديد في اسبانيا قبل أن يعود إلى المغرب وقد خفف وزنه ببضعة من الغرامات، وهنا اضطر (باحماد) الذي كان وصيا على العرش إلى التفكير في وسيلة لإصلاح هذا الخلل فتم خفض وزن الريال المغربي إلى 25 غرام على نسق الوحدة التي كانت أساس العملة اللاتينية بين دول البحر الأبيض المتوسط، فظهر الريال العزيزي بفلوسه الفرعية التي سكت بباريس وبرلين وبيرما نغام وهنا سيطرت الدسائس الاستعمارية على الوضع الاقتصادي في المغرب الذي ازداد انهيارا بالاتفاقيات السرية التي أبرمت بين الدول الاستعمارية لتقسيم افريقيا الشمالية "وفي ضمنها مصر" ومع ذلك ظل الريال الحسني رائجا إبان الحماية إلى أن ألغي عام 1920 ليقوم مقامه الفرنك الفرنسي، وبعد فترة قصيرة ظهر فيها الريال اليوسفي وموزونات النحاس فبلغ عدد النقود المسكوكة بين الحسن الأول والمولى يوسف سبعة وثمانين.

النظام الجبائي

فرض العرب بعد الفتح الاسلامي كلا من الجزية والخراج على من لم يدخل إلى الإسلام من سكان المغرب وكانت الجزية عبارة عن مقابل لما يؤديه المسلمون للدولة من زكوات أما الخراج فإنه كناية عن ثمن الأرض التي تنازلت الدولة عنها للفلاح بعدما تملكتها بحق الفتح.

ولكن بعد ما اعتنق البرابرة الإسلام لم يعودوا يؤدون عدا الأعشار والزكوات الشرعية، وكانت الدولة تتقاضى إلى جانب ذلك الخمس من استغلال المعادن التي توجد في مناجمها في أرض مملكة للرعايا وتعتبرها كركاز فتطبق عليه الحديث الشريف "في الركاز الخمس" وفي أوائل المائة الثانية انتشر في المغرب مذهب الخوارج وأدى إلى ثورات ضد ولاة الأمويين بسبب محاولة تخميس البربر وقد أشار الشريف الإدريسي إلى جبايات فرضت على المواد الضرورية في أغمات.

وفي العهد المرابطي ألغيت جميع هذه الضرائب وحاول المخزن كفالة التوازن انطلاقا من الزكوات وجزية أهل الذمة والخمس المستخلص من غنائم الجهاد في بلاد الأندلس، وقد لاحظ الإدريسي أن المرابطين فرضوا ضرائب ورسوما على معظم البضائع والسلع في عاصمتهم[1].

وقد مسح عبد المومن الموحدي أراضي الشمال الإفريقي بالفراسخ والأميال وأسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والأنهار والطرق وفرض على الباقي الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع بدعوى أن البلاد فتحت عنوة ثم فرض علاوة على الأعشار الشرعية زكوات الفطر ومكوسا على المبيعات وربما ضريبة المباني وواجبات الأبواب والرتبة التي كانت تتقاضاها المراكز المسلحة في مقابل تأمين الطرق.

وفي أيام يوسف بن يعقوب وأبي سعيد عثمان بن يعقوب المرينيين وضع نظام جبائي جديد اقتصر على الزكوات والأعشار الدينية علاوة على الجزية، وكانت المدن

---

(1) وصف افريقيا واسبانيا ص 70.

تؤدي ضرائب غير مباشرة تعرف بالمستفاد استعاض أبو سعيد المريني عن جميعها بالمكس والقبالة وكانت المكوس تدر اثنين في المائة وتفرض على كل البضائع عدا الأبقار والدجاج والخشب "واحيانا الجمال والاغنام" وكانت النسبة تصل في بعض الأحايين إلى 25% كما أن المخزن كان يتقاضى نسبة معلومة عن مستوردات النسيج وذلك بالأضافة إلى الضرائب المفروضة على بائعي اللحوم المشوية في الشارع أو على الخضر أو المكاييل في أسواق الحبوب كرحبة الزرع. وقد فرض أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني الخراج على القبائل كما فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول وذلك "عام 620هـ/1223م"[2] وذكر الناصري أنه لما بويع أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني عام 710هـ/1310م رفع عن أهل فاس ما فرض على رباعهم من وظائف مخزنية كل سنة وهي الضريبة العقارية[3] وقد أشار "ماسينيون" في كتابه[4] إلى وجود جبايات فرضت على الفنادق والمساجين "دوكا ورُبع" علاوة على الهدايا التي تقدمها الرعية للسلطان وكان أهل البادية يؤدون زيادة على ذلك الخراج وهو ما يسمى ب "الزويجة" أي عبارة عن مساحة من الأرض يمكن لزوج من البقر أن يفلحها في يوم واحد، لكن هذه الجبايات تغيرت منذ عهد السعديين خلال القرن العاشر الهجري حيث نظمت جباية "النائبة" عام 960هـ/1552م في عهد محمد المهدي كما أعيد نظام الخراج أيام المنصور وتطورت الجبايات فشملت السكر والفضة والذهب واحتكر المخزن بيع الكبريت والفولاذ والتبغ إلى أن استعيض عن الزكوات الدينية عام 1319هـ/1901م بضريبة "الترتيب". وقد أقام المنصور السعدي تمهيدا للطرق على المسافرين منازل وخياما على الطريق بين المترلة والمترلة ما يقرب من أربعة عشر ميلا يسكنها أهل البادية وأجرى لهم ما يكفيهم ثوابا على سكناهم وأمرهم ببيع الشعير والطعام واللحم والعسل وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافر وإن باتت لهم قافلة يحرسونها ليلا ونهارا وإن ضاع شيء ضمنوه لربه وإن كان ضياعه بين المنـــزلتين ضمنه أقربهما منه ويعطى المسافر على ذلك ربع دينار على كل حمل بباب المدينة[5]، كما تحدث الناصري عن هذه الضرائب فلاحظ أن الجبايات

---

(2) الاستقصا ج 2 ص : 5.

(3) الاستقصا ج 2 ص : 50.

(4) ماسينون "المغرب أوائل القرن السادس عشر" ص 179 وهو تعليق على جغرافية "الحسن الوزان".

(5) الاعلام للمراكشي ج 2 ص : 255 ط 1975.

كانت في عهد المنصور السعدي مرهقة حيث كان على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها وزاد الأمر على ما كان عليه في عهد أبيه، وكانت الرعية تشتكي ذلك منه ونالها إجحاف منه ومن عماله وكان غير متوقف في الدماء ولا هياب للوقيعة فيها وقد أشار إلى ذلك "اليفرني" بتحفظ[6]، وبلغت مداخيل الجبايات في إحدى السنوات أيام السعديين "300.000" دوكة أي ما يعادل أربعة ملايين و350 ألف فرنك بتقويم القرن العاشر أو 26 مليون فرنك حسب قيمة الصرف أول القرن العشرين والذي يؤكد لنا صحة هذه الأرقام التي أوردها الحسن الوزان أن المداخيل الجبائية بالمغرب لم تتغير خلال ثلاثة القرون التالية حسبما أورده الأستاذ "هوسط" عن السنوات المتراوحة بين 1760م. م ك "1174هـ/ و1768م و"1182هـ" حيث ذكر أن واجبات الجزية على الذميين بلغت مائة ألف "مارك " ورسوم الجمارك 320.000 "بياستر" والزكوات والأعشار 270.000 "بياستر" والزكوات والأعشار 270.000 "بياستر" والمكس "من قبالات وذعائر واحتكارات 857.000 "بياستر" والهدايا 250.000 فيكون المجموع 865.000 "مارك" و932.000 "بياستر"، ومعلوم ان البياسترالاسبانية كانت تعادل خمسة فرنكات و43 سنتيما والمارك يعادل الفرنك بحيث يقدر المجموع بستة ملايين "مارك" وبما أن "المارك" كان يساوي 1/15 "دوكا" مغربية ذهبية حسب "هوسط"[7] فإن ستة ملايين المذكورة تعادل 400.000 دوكا أي ما يقارب الرقم الذي أدلى به ليون الإفريقي.

أما في خصوص رسوم الديوانة فقد ورد في مذكرات القنصل الفرنسي شينيي Chénier عن سنة 1767 بالضبط أن البواخر الفرنسية وحدها صدرت إلى المغرب بضائع قيمتها 647.000 ليرة واستوردت منه نحو نصف هذه القيمة وفي عام 1773م/1187هـ بلغت قيمة الواردات 400.000 والصادرات من المغرب 760.000 وقد حددت معاهدة 28 مايه 1767م/1181هـ التعريفة الجمركية بعشر قيمة البضاعة الواردة ونص "عقد الجزيرة" على أن الرسوم الجمركية المفروضة على الصادرات تتجاوز العشر حيث تتغير تبعا لنوع البضاعة وحاجات الدولة ويكفي أن تعلم ان مجموع مداخيل الديوانة عن عام 1707م/1119هـ بلغت و241.000 "البيرة" أديت عن بضائع لا تتجاوز قيمتها 647.000 لبيرة.

---

(6) الاستقصا ج 3 ص : 95.

(7) كتاب هوست حول مملكتي مراكش وفاس ص : 171 كوبنهكن 1781.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله بلغت قيمة الضرائب المؤجرة لليهود 40.000 مارك بالرباط و158.000 مارك لفاس و145.000 مارك لمراكش و80.000 مارك لكل من مكناس وتطوان و55.000 مارك لسلا و25.000 مارك بأسفي و20.000 بأكادير و10.000 مارك بتارودانت. وقد تضخمت هذه الرسوم تضخما مطردا بالإضافة إلى تزايد احتكارات الدولة لفائدة بيت المال حيث بلغت الموارد الجمركية أيام المولى الحسن الأول نحو عشرة ملايين فرنك، ولم تذكر هنا كل من العرائش والقصر الكبير والرباط لدخولها في إحصاءات مدينة سلا.

وقد فكر السلطان محمد الثالث في فرض ضريبة على المباني تقدر بمستفاد أو كراء شهر واحد في السنة وتؤخذ حتى على الأملاك المخزنية المكراة[8]، وكانت الجبايات مضروبة في عهد المولى سليمان على السلع والغلل والجلود والتبغ أي عشبة الدخان وكانت تدر نحو نصف مليون مثقال أي ما يكفي لتسديد نفقال الجيش واللائحة المدنية السلطانية[9] ويظهر أن التخفيف من الجبايات ساعد على نمو النشاط الفلاحي فقوي الإنتاج وتضخمت الماشية، أما ضريبة الذكاة أو ضريبة الكرجومة (معناها الحلقوم وهو كناية عن التذكية) فقد وظفها السلطان المولى عبد العزيز لصالح النفقات البلدية فكان الجزارون يدفعون بعد الحماية بقليل 7.5 بسيطة حسنية عن البقرة والعجل وبسيطتين عن الضأن وبسيطة ونصفا عن التيس وأربع بسيطات عن النعجة وثلاثا عن الماعز.

- **القرض :**

عرف المغرب قبل الحماية نوعا من القرض حتى قبل تطور علاقاته مع أوربا فقد كان الناس يقرضون بدون فائدة وكان بفاس رصيد معلوم مخصص للسلف بشرط أن يكون المدين مليا إلا أن بعض المؤرخين مثل روني لوكلير "René-Leclerc" في كتابه التجارة والصناعة بفاس[10] أشار إلى عادة تجارية قديمة كان يجري بها العمل وهي أن التاجر غير الملي يجب أن يؤدي عند انتهاء أجل "لطره" "أي سفتجة" فائدة سنوية قدرها

---

(8) راجع كناشة الوزير محمد الطيب أبي عشرين حول إحصاء هذه الأملاك في فاس وتازة وأزمور وشفشاون والدار البيضاء ومكناس.

(9) الاستقصا ج 4 ص 16.

(10) René-Leclerc (1905 ص : 305).

ستة في المائة (6%) أو أكثر حسب شروط العقد وكانت خطابات الاعتماد Lettres de crédit معروفة أيضا وخاصة بين فاس وتافيلالت والتخوم المغربية الجزائرية فقد كانت الطريق غير مامونة أحيانا، فكان التجار يعمدون إلى استعمال هذه الخطابات أو الحوالات اتقاء للخطر لا سيما وأن مراكز تجارية كانت في ملك أهل فاس بواحات تافلالت وبوذنيب وغيرهما فكان الفيلاليون بائعوا التمر مثلا بفاس يودعون أموالهم عند تاجر فاسي أمين على أساس دفعه لحامل الخطاب من طرف مراسل التاجر الفاسي بتافلالت إلا أن هذه الصفقة لم تكن بالمجان بل كان ثمن الخدمة يرتفع من عشر إلى خمسين بسيطة لكل مائة دورو وكان المراسل يدفع المال بحضور عدلين يحرران وثيقة الإبراء، وكان المخزن نفسه يستخدم هذه الطريقة لدفع أجور عماله في التخوم الصحراوية فكان تجار فاس يقومون بنفس الدور الذي تقوم به البنوك والمصارف[11].

---

(11) سندات لأمر وسفتجات (Billets à ordre et traites) يحرر فيها الدين كثمن لمبيعات يؤدى بعد انتهاء أجل قدره أربعة أشهر مثلا وكان تجار فاس في علاقاتهم باوربا عبر العرائش يستعملون السندات غير أن بعض اليهود أسسوا أواخر العهد الحسني مؤسسات للقرض بطنجة أصبح الفاسيون زبناء لها.

Mosès et Isaac Nahon, correspondants de la Banque d'Espagne -

Mosès Pariente, Hain Benchimal, agent consulaire français et représentent de la Compagnie de Navigation Paquet. Abraham S. Nahon et Compagnie

الزراعة وسياسة التركيز الجهوي

عرفت الزراعة في منطقة الهبط ازدهارا بسبب وفرة الأنهار والأمطار وفي غالب الأحيان قبل توافر السدود وقد شملت المحصولات كل أصناف الحبوب "قمح، شعير، ذرة، خرطال الخ" والفواكه، بل كان لكل فاكهة أنواع اشتهرت بلذة طعمها نظرا لقلة استعمال الأسمدة قبل الحماية الأجنبية، وقد بلغت بعض الأصناف من كل فاكهة الخمسة الى العشرة، وعرفت المنطقة مزروعات جديدة مثل الكاوكاو وتوت الأرض والبطيخ الأصفر الذي يقابله بطيخ (السويهلة) في ضواحي فاس والجنوب وذلك في البحائر وهي السهول المزروعة. (البحيرة جمعها بحائر تطلق على السهول المزروعة)[1] وتطلق خاصة على السهول المنبسطة[2] وتخص غالبا حقول البطيخ والدلاع، ومعناها في الأصل البستان الكبير وكثيرا ما تستعمل بمعنى الضيعة خاصة لغراسة الزيتون[3]، وقد وجدت البحيرة في عهد الموحدين حتى في إشبلية أمام القصر الخليفي والضيع التجريبية لزراعة الشاي منذ نحو ربع قرن وكذلك زراعة قصب السكر والشمندر وتوسيع الغابات بنوع جديد هو الأوكاليبتوس وهو شجر يسمى غلطا الكافور بمصر والكينا بالشام ويوجد خاصة في الغابات يالف الاراضي الرطبة ولا يحتمل برد السهول العالية والجبال.

وتمتاز أصناف البرتقال والليمون بالجودة انطلاقا من وزان وقد احتفظ المغرب بمصطلحاته لتسمية هذه الفواكه فالإجاص مثلا هو غير الكمثري في الاصطلاح المغربي والاندلسي حسب ابن صاحب الصلاة[4] وفيه أنواع منها الكمثري والعبقرة والازرة "عند أهل بلنسية" وذكر ابن الحشاء[5] أن الإجاص هو المعروف في المغرب بعين البقرة "عبقر" وهو يشمل البرقوق[6].

---

(1) Richardson Morocco II 118 Renou, Description geog.de l'Emp. du Maroc, p : 33.

(2) مارمول م 2 ص : 234.

(3) راجع الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون لابن غازي.

(4) المن بالإمامة ص : 141-322.

(5) ابن الحشاء مفيد العلوم ومبيد الهموم ص : 4.

(6) ابن العوام كتاب الفلاحة ج 1 ص : 260 مدريد 1802.

والتفاح : من الفصيلة الوردية فيه نحو اثني عشر نوعا حسب الأمير "الشهابي" منها التفاح الذي كثر بعدوة الأندلسيين بفاس[7] غير أن الأصناف الموجودة بالمغرب تزيد على ما ذكره الشهابي في معجم الالفاظ الزراعية، خاصة في مدينة "سبتة".

والنيورة أو الفليفلة الحمراء وهي كثيرة منها الفليفلة المعروفة بهذا الاسم في الشام "Agalloch في المفردات" وتسمى الفلفل الحلو بمصر[8].

والنعناع : أو نعنع Menthe توجد منه أنواع بالمغرب وأجوده الحار المتوافر في مناطق جافة كمكناس والقصر الكبير وذكر الجوهري والزبيدي أن كلمة نعناع عربية صحيحة وأنواعها "الحبق" أو نعناع الماء و"الفوتنيج أو الفوتنج البري" في الشرق وهو "فليو" بالمغرب وربما جاءت الكلمة من اسم نباتي فرنسي غرسه بالمغرب وهو Pouliot وعربيته الغبيراء[9].

أما التبغ فقد امتازت المنطقة بزراعته وخاصة مقدمة الريف وقد صدرت في شأنه ظهائر ومراسيم حرمت زراعته تارة ثم رفعت عنها الحجر تارة أخرى لأن بيت المال كان يستفيد من تصديرها أو من الضرائب المفروضة عليها وقد جرؤ بعض العلماء على تحليل شرب الدخان المحصل من التبغ وصدرت في ذلك دراسات تعارضت فيها الآراء[10].

---

(7) معجم البلدان ج 6 ص 329.

(8) E.Miège la culture de la noria-Bulletin de la chambre d'agric. de Casabl. (7-10) 1945

(9) (رسالة في النعناع وما يتعلق به) لابن المرابط السملالي محمد بن ابراهيم (خع 2106 د)م : 247-251.

(10) "غاية البيان من حل شرب ما لا يغيب من الدخان " لعلي بن محمد الأجهوري المالكي "1066هـ/1655" (خع 1884 د). (كشف الظنون ج 2 ص : 1190 / الإعلام للزركلي ج 5 ص 168 / تاريخ بروكلمان ج 2 ص : 317 .

- "محدد السنان في نحور إخوان الدخان" لعبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني "1073هـ/1663م" "نسخة كاملة في خح 6929./ رحلة العياشي ج 2 ص : 206 / شجرة النور ص: 39 رقم 1203 / الصفوة ص : 141 / تعريف الخلف ج 1 ص : 162).

- رسالة في تحريم الدخان لعبد القادر الراشدي قاضي قسنطينة ومفتيها "1112هـ/1700م"./ تعريف الخلف ج 2 ص: 219).

- القهوة والدخان للتافيلالتي محمد بن محمد المغربي "من المغرب الأقصى" "1191هـ/1777م" سلك الدرر ج 4 ص : 102 / تاريخ بروكلمان ج 2 ص : 463 .

- رسالة في تحريم شرب الدخان لعبد الملك العصامي المدني "كان حيا عام "1205هـ/1790م" (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب (18376)).

- نصيحة الإخوان باجتناب الدخان لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني "خح 7579 / خع 1220د".

- رسالة في شرب الدخان لسليمان اليوراري (دار الكتب الوطنية بتونس (ق.8 - س.15)

- عشبة الدخان لأحمد بن علي السالمي الذي يرى التوقف عن التحليل والتحريم لتعارض الأدلة (الإعلام ج 2 ص: 105 - الطبعة الأولى".

= =

وقد توافرت الغابات وكانت رعايتها من طرف السكان أكبر وأجدى رغم قلة الحراسة، وكانت المملكة تستغل أخشاب الغابات لصنع الفحم الخشبي وإن كانت تضطر في الغالب لاستيراد أخشاب البناء الرفيعة.

وقد عرف المغرب العصر الفحمي وهو فترة من العصر الأولي Primaire Carbonifère تكونت خلاله مناجم فحمية كبرى في مناطق مغربية مختلفة "عين العودة وكريفلة وتيفلت والرماني وتيداس ومشرع ابن عبو وبوعشوش وسيدي قاسم وزحيلكة وخنيفرة" والغرانيت "زعير والماس الرحامنة الجبيلات" كما برزت شرقي المغرب "مقام جرادة الملوية" فحوم مع ظواهر بركانية في حين لوحظ في الأطلس الكبير وجود فحيمات بين "وادي نفيس" و"زات" و"إيدا أوزال" و"تيشكة" كما برزت كذلك في الأطلس الصغير درعة تافيلالت جبل تازورت - بنطانة - واركزيز - تيندوف - القنادسة - طوس إيرفود الريف إلى جنوب تطوان وادي نكور....إلخ.

والواقع ان بعض الاستقرار في البوادي قد لوحظ خلال فترات من تاريخ المغرب فنتج عنه نوع من الاطمئنان في نفوس الفلاحين قضى عليه المعمرون إبان الحماية باستيلائهم قهرا وبمختلف الوسائل على أراضي فلاحية خصبة، وإلا فالقرى كانت عبارة عن تجمعات خاضعة لمجالس حسب العرف "المسمى" قانون عند القبائلية أي دويلات اتحادية صغرى متكونة للدفاع والهجوم "حسب كريل" وحتى الأسر في القبيلة كانت تحتفظ باستقلالها الداخلي وتمثل في المجالس المشتركة ولكن إذا قامت الحرب اختارت القبيلة رئيسا يحاول إذا انتصرت أن يضمن لنفسه حكما وراثيا، وكانت القبائل تنهار وتقوم حسب مصير الحروب قد ينحرها التحالف الداخلي "الصف أو اللف" فتقوم الواحدة ضد الأخرى وتتحالف أحيانا مع صف آخر لقبائل أخرى لهذا كانت القبائل

- رسالة في شرب الدخان لسعيد بن منصور السالمي المالكي أوضح ما في الدخان من رذائل لا تفارقه "ح 1218 د" (8 ورقات".

- رسالة للشيخ خالد مفتي مكة حول تحريم الدخان.

- A.Charnot, la toxicologie au Maroc , 1945 يتحدث عن أنواع تسممات النبات والحيوان.

Le genêt, plante textile, Louis Emberger. Les arbres du Maroc, Terre Marocaine, 1947 Paris, 1938.

- لمحة عامة عن نبات المغرب عام 1939/ الثورة الزراعية بالمغرب A.Montagne (المطبعة الفرنسية الدار البيضاء) 1925.

G.Salmon – Sur quelques noms de plantes en arabe et en berbère (Arch . Mar. VIII (1-98). 1906

عبارة عن تجمعات غير قارة لم يعرف لها دائما تقسيم جغرافي وربما تجمعت قبائل وأمرت عليها Aguellid "أكليد"، ولعل إمارات بربرية قد تكونت قبل الدويلات التي كانت لها صلة بروما وقرطاج وكان الأمير يستعين بافراد عائلته وخدمه ويستشير رؤساء القبائل لا سيما الأقوياء فإذا غضبت عليه القبائل مزقت أشلاؤه ولهذا كانت دبلوماسيته تهدف إلى تفرقة الخصوم والمعارضين وكان الأمير خاصة رجل حرب له جند دائم من قبيلته وخاصة من الفرسان وعند الخطر من الكوم المعبئين في قبائل أخرى وكانت السلطات المحلية تفرض ضرائب على المحاصيل والماشية في القبائل وأخرى نقدا في الحواضر وكثيرا ما كانت "الأخماس" وهي فرق تضم قرى مختلفة من انتماء واحد تختلف بين الشمال والجنوب فكلمة أفوس مثلا تطلق على خمس كان في جنوب المغرب ليس على غرار أخماس الشمال وكانت له حياة ذاتية مستقلة ومجلس للأعيان فهو أكبر من القرية وأصغر من القبيلة ويتكون الخمس غالبا من خمس أو ست قرى بنسبة عضوين عن كل قرية في مجلس الأعيان وللخمس علمه الرسمي يعرف به[11] ولكن المحنة السياسية والعسكرية الناتجة عن احتلال فرنسا للجزائر وانتشار جواسيس الاستعمار في ربوع المغرب حمل المخزن على الإهتمام بتوفير وسائل الدفاع عن حوزة البلاد أكثر من عنايته بالفلاحة والاقتصاد[12] وهنالك تطورت دراسات فقهية بسبب تشعب المشاكل الفلاحية فظهرت مصنفات مثل كتاب (التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصيير أو التعريج والتبريج لسيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الراشدي المجاجي لا عبد الرحمان الفاسي الفهري[13] ومن الوسائل التي تطورت وانتشر العمل بها اليومية الفلاحية التي عرفت قبل ذلك في قرطبة[14] وقد نشأت منذ ذاك (القرية) المغربية في مدلولها القانوني وهي تجمع بدوي يضم أفواجا من السكان يعيشون من استثمار الأرض وهي مرحلة في تاريخ العمران انتقل إليها البدو والرحل عندما ارتبطوا بالأرض واستقروا بها وأقاموا مجموعات سكنية من الخيام ثم من الأخصاص الثابتة وفي ظل هذه القرية نشأت مجموعات أوسع في نطاق الفخذة أو القبيلة عززت بمجلس القرية تبلورت أحيانا في شكل جماعة قروية شبهها الكثير غلطا بالنظام الجمهوري.

---

(11) البربر والمخزن – مونطاي ص 133.

(12) راجع الإصلاح الزراعي في عهد محمد بن عبد الرحمان في الاستقصا ج 4 ص 234.

(13) خع 562-765-2318 / خح : 25 نسخ منها 8991.

(14) Le Calendrier de cordone de l'année 961, publié par Dozy, Leyde, 1873 Joly, Un calendrier agricole marocain, Archives marocaines T.III, 1905, (p.300).

وقد عززت المملكة بعد الاستقلال وحدة القرى اجتماعيا واقتصاديا فأصدرت في ثالث عشر يونيو 1960 ظهيرا شريفا لتنظيم واختصاصات الجماعات الحضرية والقروية، وفي 30 شتنبر 1976 صدر ظهير شريف حول ميثاق الجماعات يحدد دور المجالس الجماعية الحضرية والقروية ومنحها اختصاصات وسلطات واسعة خاصة منها الاختصاصات الاقتصادية والاجتماعية.

ظهير ثان في نفس التاريخ يخصص للجماعات 30% من الضريبة على القيمة المضافة T.V.A والضريبة الحضرية وضريبة النظافة ومجموع ضريبة المعاملات وفي 19 يونيو 1986 صدر ظهير شريف لدعم هذه الجماعات بإحداث بنك تنمية الجماعات تقوم الدولة بتخصيص إمدادات للتسيير والتجهيز في حالة قصور الموارد المحلية وللجماعات المحلية حق طلب قروض لتمويل تجهيزاتها من صندوق التجهيز الجماعي أو الاتجاه إلى السوق المالي الدولي.

السـدود

السد حاجز يقام على نهر يجتمع الماء وراءه وتتجلى فائدة السدود لا في ضمان سقي الحقول الواقعة أسفل المجرى فحسب بل في ضبط صبيب الأودية والقضاء عمليا على أخطار الفيضان فقد ساعد سد إدريس الأول المقام على وادي إيناون على ضبط مجرى وادي سبو الأوسط وإن كان نهر ورغة وهو أحد روافده ما زال صعب المراس يهدد بالفيضان مما حدا المخزن إلى بناء سد المجرة.

ولعل أول سد عرفته الأندلس هو سد بلنسية Huerta de Valence الذي حجز مياه نهر تومة Toma حيث حفرت سبع قنوات على ضفتيه ثم تفرعت لسقي السهول المجاورة فكانت كل قناة تفتح خلال يوم واحد من أيام الأسبوع وتفتح فروعها الثانوية لساعات معلومة[1] وقد لاحظ البتاني في رحلته "عناية العرب بالري" في منطقة بلنسية حيث كانت دورة الزراعة ثلاثية في السنة[2].

وقد حمل فعلا اسم سد = barrage" وإن كان لا يعدو في الحقيقة خزان ماء، وقد لاحظ الشريف الإدريسي أن العرب بنوا في صقلية خزانا عظيما لتنظيم الري في البلاد وتوزيع المياه على المزارع والبساتين. وهذا النوع من الري في الأندلس يختلف مع أساليب الري في الشمال الإفريقي[3].

ونظام الري الذي عرفه المغرب منذ عهد المرابطين هو نظام الخطاطير وتسمى الفقاقير بلهجة أهل مراكش وهو أنسب لأنها في الحقيقة آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى الآخر فيبرز ماؤه[4] وقد عرفت الخطارات عند المقري[5]، أما مشاريع الري التي

---

(1) إسبانيا المسلمة ص : 225.

(2) La Marche du Monde-Christian Samné, Rev Déc. 1952

(3) Ribera, Disertaciones y Opusculas, Madrid p309. 1928

(4) الاعلام للمراكشي ج 2 ص 118 الطبعة الأولى.

G.Deverdun, Marrakech p.15,85, 1959

(5) المقري النفح ج 5 ص 6 وهي عبارة عن دواليب جفاف للسقي من الأودية استعملت من قرطبة إلى حدود السودان.

Irrigation par khettaras de la palmeraie de Marrakech -le Sud Mar, 14 avril 1949.

أربعة قرون في تاريخ المغرب مارتان ص 290.

أقامها الاستعمار لأراضي المعمرين فقد أقيمت وسائل لاستغلال موارد القنصرة لسقي 30.000 هكتار في ناحية سبو مع إقامة خزان وادي الملاح لضمان الري في ناحية الدار البيضاء وخزان وادي نفيس لسقي 20.000 هكتار بناحية مراكش وذلك علاوة على مشارع أم الربيع والملوية "مشرع قليلة" وطريفة. وفي عام 1967 أعلن جلالة الملك الحسن الثاني انطلاقة سياسة السدود باتخاذ قراره السامي لبناء ستة سدود تشكل المرحلة الأولى من برنامج واسع يستهدف بالإضافة إلى آلاف البحيرات أو السدود التلية (b.collinaires) سقي مليون هكتار قبل عام 2000 وقد تم بناء سد محمد الخامس عام 1967 وتلية سد القنصرة عام 1969 وسد مولاي يوسف وسد الحسن الداخل عام 1968 ثم سدود كرو والمنصور الذهبي وإدريس الأول ويوسف بن تاشفين عام 1969.

ولم يكن المغرب يتوفر قبل هذا التاريخ على أكثر من أربعة سدود أهمها (سد بين الويدان) بناحية بني ملال وسد لالة تاكركوست بوادي نفيس الحوز الأوسط عام 1935 وسد إيمفوت عام 1950 وسد مشرع قليلة لاستخدام مياه وادي الملوية 1951 تم توالى بناء السدود حتى غمرت نحو المائة منها معظم مناطق المغرب وقد حللنا هذه السدود في مختلف معلماتنا الصادرة لحد الآن مع بيان مفعولها وآثارها في دعم الزراعة والماشية في أقاليم كان الجفاف يحول دون ازدهارها.

أصناف الأسماك في مياه العرائش

قامت المنظمة الدولية للتغذية والزراعة في عامي 1982-1983 بدراسة المياه المغربية بين طنجة وأكادير للبحث عن أصناف الأسماك بها، وهاكم الأنواع الموجودة في العرائش :

السردين = sardine / الشابل = alose / الشطون = بوقرن anchois /

نون = Anguille d' Europe / يولونيزى = "اللوزى " = اللويزات

راب = "باربوز" = بودروا / .فانكا = (طاكو) = كابيلا Tacaud commun

ميرلوزا = "ميرلان" merlu / بومكيات = orphie = aiguille

شطرا = "موسى = بوحاتم" = كابو saint-pièrre

لحرش = "دارو" = لو loup / لوبيرة = bar européen "بونفطة = نويرة "

لَبْشية = "أوراغ" leche lirio / بوك = boga en esp. تازغزلت = bogue

باغار= بريكة derite à gros yeux / شجوه = "كارفولى = وسارغو"

وگريل = كفيفي sparaillon africain

بوبردعة = "سرغو" sar à grosses lèvres (sargo en esp)

يَرْملو= (تكبة = رامولي = حنيل marbré / زوكاح = (باجو) .dorade goraz(en esp)

باغار= "باجو= بريشة = أمزوغ" كاشلو pageot commun (breca en esp)

محرقصة = "زريقة" = عمون .dorade royale / باجو = (زوكاح) pagre rayé

باغار = pagre commun (pargo en es)

شوبا = "زكراك " = أناناز = كريزت dorade grise (pargo chopa en esp)

قربينة" = معزة = فرب" corb-commun (carvallo en esp)

معزة = ombrine fuseca , ombrine cotière

ساليمونت = "سلطان الحوت = بولحية rouget-barbet de roche

أكراب = "بيلم" vive araignée بونيطو = "ساردا " bonito à dos rayé

بوخبالا = "سباد = بوسيف" voilier de l'Atlantique, makaire

حوت موسى = "نعيلة = صول = لانك" sole-langue canarienne

حلوف = "بغلة = فار= لبحار= ديب" baliste cabri

كلب البحر = squde, squale, requin perlan / الرايا = raie

كامبا = crevette rose du large / يوطا = (باسامار) encomet rouge

شوكد = سيبيا = سيش seiche commune شوليطو = seiche rosée

المراجـــع :

السمك في المغرب J.A Gruvel Ed. Je sais tout, 1921

صناعة السمك بالمغرب : الصيد والصناعات المنبثقة عنهما.

J. Lovergne, Ed Cleder, Toulouse, 1926

- Sources ined. De Castries T. 1 France (p 515) : الحوت و الضرائب

- J.Leouville – les recherches océanographiques au Maroc , C.R du 8è congrés nat. des pêches et industries maritimes, Orléans, 1923 (220p).

- Sources ined. De Castries, serie 1, T. I p 106 T.2 p 383 / T.3 Introduction.

حول "مراكب الصيد في عهد السعديين"

عبد القادر بن علي الفاسي رسالة في مسألة الصيد برصاص المدافع (دار الكتب الوطنية بتونس ق.6 س 21)

Larose-les poissons des eaux douces de l'Afrique du Nord et Sahara, Paris, Larose, 1921 (p 216).

- السمك بالمغرب "عشر مرات أرخص من فرنسا" J.A Gruvel Ed, Je sais tout, 1921

- صناعة السمك بالمغرب J.Lovergne, Ed. Cleder , Toulouse, 1926

- صناعة تربية الأسماك و الصيد في مياه المغرب القارية الرباط 1960

الحوت و الضرائب (وثائق دوكاستري ج1/ ق 2 – فرنسا ص 15)

مراكب الصيد في عهد السعديين (وثائق دوكاستري السعديون– س. أ م ص 166/ م 2 ص 383 – م.3 المقدمة).

الأسطـــول

لم تقم مرسى العرائش بدور مهم في حياة الأسطول المغربي عبر العصور نظرا لوجود الحاجز الرملي barre في مياهها ولكن الجنويين عثروا على ممر سري بين أجزاء الحاجز عرف بممر جنوة وكانت الأساطيل ترابط بعيدا عن الساحل عدا المراكب التجارية الصغرى التي تقرب أكثر فأكثر من الشاطئ لأن المرسى كان منفذا لترويج البضائع المغربية المستوردة من فاس وفي عهد الاحتلال الإسباني انقطعت الصلة مع فاس وتولت مرسى القنيطرة الجديدة منذ العشرينات ربط الصلة مع فاس في حين خضعت العرائش للإسبان فانخفض نشاطها التجاري وأهم مرسى موحدية في المحيط الأطلنطي كانت هي المهدية.

وقد أنشأ عبد المومن القطائع عام 557هـ/1161م في سواحل العدوة والأندلس فصنع منها زهاء مائتي قطعة أعد منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على وادي سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة وقد بلغت هذه القطع 400 حسب ابن أبي زرع[1] ومن قادة البحر :

عبد الله بن سليمان التينمللي المسكالي والي سبتة من أهل الخمسين وقد وصفه ابن القطان بصاحب إمارة البحر[2]

- أحمد الصقلي قائد الأسطول الموحدي أسره النصارى واستخلصه صاحب صقيلة ثم لحق بتونس وأجاز إلى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المومن بالمبرة والكرامة وأحزل الصلة وقلده أمر أساطيله[3]. وكان أبو العباس الصقلي أيضا رئيس أسطول اشبيلية[4].

- غانم بن محمد بن مردنيش عينه الخليفة يوسف عام 575هـ/1179م قائدا لأسطوله[5].

---

(1) ابن أبي زرع ج 2 ص 164 والاستقصا ج 1 ص 158 و ج 2 ص 128.
(2) ابن القطان (نظم الجمان) ص 148 - تحقيق محمود مكي / ابن عذاري ج 3 ص 32.
(3) العبر المجلد الأول - القسم الثاني ص 457.
(4) ابن عذاري ج 3 ص 117.
(5) الاستقصا ج 1 ص 161.

- يحيى بن أبي زكرياء الهزرجي قائد الأسطول الموحدي عام 600هـ/1203م الذي ذهب لقتال ابن غانية وكان على رأس الجيش أبو محمد عبد الله بن أبي حفص الهنتاتي فلقيه بجبل تاجورة من نواحي قابس وأوقع به[6].

- أبو العلاء الكبير قائد أساطيل البحرين في عهد الناصر الموحدي وكانت تحتوي على جميع أجفان العدوة والأندلس[7].

وذكر أندري جوليان[8] أن يوسف البربري الذي استخدمه (روجير الثاني) ملك صقلية على سفنه قد عين أميرالا من طرف الأمير أبي يعقوب يوسف الموحدي فجعل من أسطول الخليفة الموحدي أعظم اسطول في البحر المتوسط.

أما أسطول سبتة فكان قائده عام 720هـ/1320م هو محمد بن علي ابن الفقيه أبي القاسم شيخ ءال العزفي وذلك بعد أن أشرف على الأسطول قائد البحر يحيى الرنداحي[9]، وقبله أبو العباس الرنداحي الذي أعان أبا القاسم على تملك سبتة عام 647هـ/1249م[10]، على أن عليا بن خلاص صاحب سبتة هو الذي أنشأ أسطولا عام 643هـ/1245م فغرق عند خروجه من سبتة في طريقه إلى البيعة لأبي زكريا الحفصي[11].

- عبد الله بن جامع قائد أسطول سبتة[12] وقد خلف ابن جامع هذا غانم بن محمد ابن مردنيش قائد الأسطول الموحدي المرابط في سبتة الذي أسره النصارى عام 576هـ/1180 ففداه يعقوب الموحدي[13] وكان ابن عبد السلام ابو عبد الله الكومي هو ايضا قائد أسطول سبتة[14]، وعندما عاد أبو الحسن المريني عام 705هـ/1349م من تونس بعد مقام طال عاما ونصف عام، وبعد أن عقد لابنه أبي الفضل نزل اسطوله بمرسى بجاية بعد خمس ليال من إقلاعه من تونس ثم أبحروا من جديد فتكسرت أجفانهم وقذف الموج بالسلطان على

---

(6) الاستقصا ج 1 ص 189.

(7) ابن عذاري ج 3 ص 234 طبعة الرباط.

(8) تاريخ افريقيا الشمالية ص 412.

(9) الاستقصا ج 2 ص 55.

(10) ابن عذاري ج 3 ص 400 طبعة الرباط.

(11) الاستقصا ج 1 ص 203.

(12) ابن عذارى ج 3 ص : 117 ط الرباط.

(13) ابن عذارى ج 3 ص : 117 ط الرباط. البيان المغرب ج 1 ص : 105/. المن بالإمامة ص: 516. / الاستقصا ج 2 ص : 136 / Melchor : Companas p : 43

(14) البيان المغرب ج 4 ص : 203.

حجر قرب الساحل من بلاد زواوة حيث تداركه جفن من بقية الأساطيل وكانت الأساطيل حسب (نفح الطيب) نحو الستمائة غرقت كلها وهلك من أعلام المغرب نحو أربعمائة عالم منهم محمد بن سليمان السطي شارح الحوفى ومحمد بن الصباغ المكناسي وأبو العباس الزواوي

- ابن فرحون زيد هو قائد أسطول بجابة أيام الحفصيين الذي شارك بست عشرة قطعة بحرية في (وقعة طريف) عام 740هـ/1339م[15] وكان رئيس الأسطول المريني عام 757هـ/1356م هو محمد بن يوسف المعروف بالأبكم من أمراء بني الأحمر[16] وقد ورد وصف هذا الأسطول في رحلة أبي عنان المريني المسماة (فيض العباب) لإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج مع ذكر أسماء بعض رؤسائه وشاراته وأعلامها وموسيقاهم.

ومن قواد الأسطول المريني أبو إسحاق البطروجي نور الدين الإشبيلي Alpetragius تلميذ ابن طفيل[17] وابن شلطور محمد قائد أسطول المنكب والمزوار بمراكش[18].

أما الأسطول السعدي فلم يكن له دور كبير في الحروب ولكنه استفاد ماديا من هجمات القراصنة على شواطئ الأندلس وكان وجوده يشكل وسيلة ضغط على اسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تدركان ما قام به الأسطول في عهود المرابطين والموحدين والمرينيين، وكان قد مر قرنان اثنان على انهيار الأسطول المريني في عهد أبي الحسن فكانت المحاولة الجديدة (عام 956هـ موافق 1549م) جديرة بإثارة الانتباه، وقد أصبح القراصنة يعيثون في البحار ومراسي المغرب فرابط القراصنة من أتراك الجزائر في العرائش، كما امتدت أوكار قرصانية في موانئ أخرى كتطوان وبادس، بل إن القرن الخامس عشر شهد استيلاء البرتغاليين على معظم المراسي في مصبات الأنهار المغربية الأمر الذي حال دون قيام أسطول مغربي. وقد بدأ ذلك باحتلال سبتة عام 818هـ/1415م فلهذا حاول محمد الشيخ السعدي تكوين أسطول بحري بالإضافة إلى وحدات كانت في ملك رؤساء تطوان وبادس فأقيم ورش بحري في بادس بالريف قرب غابات البلوط والأرز والصنوبر، وورش آخر في سلا وقد بنيت أربع في بادس وأربع أخرى في سلا عام 956هـ/1549م بالإضافة إلى مركبين مجدافيين أو شراعيين وثلاثة مراكب مجدافية، وطلب محمد الشيخ من أبي حسون الوطاسي

---

(15) الاستقصا ج 2 ص 66.

(16) الاستقصا ج 2 ص 99.

(17) Melanges : S. Munk – p : 492. / الاستقصا ج : 2 ص 124. راجع إبراهيم البطروجي.

(18) الدرر الكامنة ج 4 ص : 278. راجع ابن شلطور.

أمير بادس التعاون معه على صنع مائة مركب ومائة أخرى مسطحة لنقل الجند ولكن أبا حسون لم يكن يثق بالسلطان السعدي ففر إلى مليلية في نفس السنة ولعل السعديين كانوا يستهدفون من أسطولهم تحرير الجيوب البرتغالية الثلاثة التي كانت تقاوم خلال الحصار نظرا لما يتوارد عليها من امدادات من جهة البحر ولكن الحرب التي نشبت بين المغرب والجزائر عام 959هـ/1551م وتمديد الأتراك للمغرب حال دون استمرار السعديين في تعزيز أسطولهم فاضطروا إلى مساعدة الاسبان ضد الأتراك.

ففي عهد عبد الله الغالب بالله كان الأسطول الحربي يتوفر على نحو ثلاثين مركبا بلغت الأربعين عند بداية ثورة الأندلسيين في جبال غرناطة عام 976هـ/1568م ومهما يكن فإن الأسطول احتفظ بهذا العدد من القطع عام 985هـ/1577م في عهد المولى عبد المالك ولم يكن أسطول دايات الجزائر أكثر عددا ولكنه كان أجود نظرا لتقلص التقاليد البحرية بالمغرب خلال قرنين ومع ذلك فالمهم هو شعور الملوك السعديين بأن تعزيز وضعهم في افريقيا والبحر المتوسط لا يمكن أن يتم بدون أسطول، إذ بفضل هذا الأسطول اضطر البرتغاليون إلى الجلاء عام 957هـ/1550م عن مراكز قوية في الساحل المغربي مثل أصيلا والقصر الصغير ويظهر أن المنصور السعدي استعاض عن سياسة التوسع عبر المتوسط في الأندلس بالتوسع جنوبا نحو الصحراء والسودان. لهذا لم يعد للأسطول وجود بالمغرب في القرن السابع عشر الميلادي إذا استثنينا أسطول القراصنة بمنطقة سلا والرباط في الفترة المتراوحة بين 1040هـ/1630م و1050هـ/1640م حيث بلغت وحداته الحربية نحو الثلاثين امتد نشاطها القرصني إلى تيرنوف Terre Neuve وايرلندا والجزر الخالدات[19].

ولم يكن لأحمد المنصور في سلا عدا ثمانية مراكب لمحاربة الاسبان[20]، وقد أشار صاحب تاريخ الدولة السعدية (ص 53) إلى الأسطول السعدي في العرائش وسلا.

وكان محمد زرقون قائد اسطول المنصور السعدي في النيل بالسودان[21].

وحاول مولاي زيدان بعد معاهدة 1610م/1019هـ بين المغرب وهولندا تكوين أسطول يجلب ربابينه من هولندا وقد صنعت بالفعل قطع أولى لهذا الأسطول هي ثلاث سفن وقيل خمس[22].

---

(19) مجلة هسبريس - تامودة عام 1972م 13.

(20) دوكاستري 5 ق 1 انجلترا م 1 ص 504.

(21) درة الحجال ج 1 ص 313.

(22) Cabrera, Relac. de las cosas,p : 449.

كما وصل إلى اسفي أربعة مراكب[23] وقد هاجم الاسبان هذا الأسطول فأغرقوا بأخرتين في سلا[24].

نعم في عام 1019هـ/1610م توجه القائد أحمد بن عبد الله الى روتردام في نفس المركب الذي نقل إلى المغرب سفير مولاي زيدان حمو بن بشير وقد رافقه ساموبل بالاش وكذلك الترجمان موشي بالاش وقد استقبل السفير من طرف مجلس الولايات العامة بحضر الأمير أورانج Prince d'Orange وقدم أوراق اعتماده إلى المجلس وطلب تزويد السلطان بعدة سفن حربية فوافق المجلس على ذلك وقرر إنشاء ثلاثة أو أربعة مراكب من حمولة مائتي طن مع تجهيزها بالملاحين والمدافع وعين لها قائدا أعلى هو Martin Van Risbergen وقد اقترح السفير إقراض هولندا مبلغ مليون ونصف كما فعل قبله حمو بن بشير دون تحديد العملة "الدوكا أو الفلوران أو الأوقية" والواقع أن الهدف الأساسي من السفارة هو إمضاء معاهدة تحالف وتجارة تضمن حرية الدخول للحانبين في مراسي البلدين مع إمكان تزويد المغرب بالربابين والسفن والعتاد وقد أمضيت في 24 دجنبر 1610م/1019هـ من طرف السفير ساموبل بالاش من جهة وثلاثة مندوبين عن الولايات المتحدة من جهة أخرى ولعل هذه السفارة هي أعظم سفارة مغربية لهولندا في عهد السعديين لأنها أسفرت عن توقيع أول معاهدة بين البلدين ضمنت عدم تصادم مراكب البلدين في البحر وعدم بيع نهب القراصنة ضد السفن الهولندية في أسواق المغرب وقد أصدر مولاي زيدان أوامره بتسريح الأسرى الهولنديين بالمغرب وكانت هذه أول مرة توقع معاهدة حقيقية بين المغرب ودولة مسيحية لذلك شكلت هذه المعاهدة حدثا عظيما في الأوساط الأوربية[25].

ويظهر أنه بعد أن طلب السلطان مولاي زيدان من هولندا أن تصنع له أربعة سفن عاد فطلب منها عام 1621م/1031هـ بناء فرقاطتين أي حراقتين[26] وقد وجهتا إلى المغرب

---

(23) دوكاستري – س.أ – هولندا م 2 عام 1612/ فرنسا م.2 عام 1611.

(24) م 2 ص 534 فرنسا.

(25) مجلة هسبريس – تامودة عام 1963م .4 فصلة 1. دوكاستري ج 1 ص 521- 526.

(26) دوكاستري – س.أ. – السعديون ج 3 ص 188.

بخفارة بارجة حربية عام 1622م ولكنهما وصلتا إلى مياه انجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة أمواج عرض المحيط[27].

أما الأسطول العلوي فأول من وضع الأسس لبناء أسطول وطني قوي هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان للمغرب في عهده حسب الناصري خمسون سفينة منها ثلاثون حراقة أو فرقاطة بإمرة ستين رئيسا أو ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار وألفين من الرماة إلا أن الرحالة هوست أوصل عدد هذه المراكب إلى اثنى عشر فقط وقد انحدرت عام 1180هـ/1766م إلى عشرة حسب شيني Chénier[28].

ويظهر أن الأسطول العلوي ارتفع بعد بضع سنوات أي 1185هـ/1771م إلى عشرين قطعة وهكذا شرع السلطان سيدي محمد بن عبد الله منذ بداية عهده في صنع مراكب في دار الصناعة بأبي رقراق جهز كل واحد منها ببطريات يبلغ عدد مدافعها ما بين 26 و36 على أن بعض المراكب مثل الحراقة التي كانت تحت إمرة الرايس الطرابلسي بلغ عدد مدافعها خمسة وأربعين، وكانت بتطوان أيضا دور لصناعة السفن في العهد العلوي.

وقد وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى كل من السويد وانجلترا شبانا من مدينة الرباط للتدريب على بناء السفن والمراكب[29] كما وجه ستمائة رجل من آية عطا بالصحراء وأربعمائة من تافلالت إلى طنجة للتمرن على المناورات البحرية.

وفي نفس الفترة كانت بعثة من الخبراء الأتراك تقوم بتكوين رماة في الجيش المغربي، وفي عام 1204هـ/1789م أواخر أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت البحرية المغربية تتكون من 6 إلى 8 فركاطات تحتوي على مائتي فجوة للمدافع بالإضافة إلى 14 أو 18 مدفعا و12 غليونة وهي مراكب شراعية صغيرة وفي أول عهد مولاي سليمان عام 1208هـ/1793م بلغت عشر فراكيط وأربع قلعية شراعية وأربعة عشر غليونا وتسعة عشر مركبا مدفعيا مجهزة بستة ألاف بحار ممتاز وفي عام 1299هـ/1820م ثلاث قلعيات وأربعين مدفعا وثلاثة عشر مركبا مدفعيا[30].

---

(27) دوكاستري- س.ا. - السعديون ج 3ص 371/ دوكاستري - ج.ا. - ق اص: 519. ص هولندا و.م 3 ص : 198.

(28) مذكرة القنصلية الفرنسية العامة - الدار البيضاء عام 1943 ص 103.

(29) توريخ الرباط - كايي Caillé ص 132.

(30) وصف وتاريخ المغرب - كودار ج 1 ص 156.

قطع من الأسطول المغربي في العرائش

كانت العرائش مع سلا أهم المراسي المغربية تترابط فيهما قطع بحرية وتنطلق من ميناء العرائش خاصة السفن المغربية المتجهة نحو الشرق.

وورد في تاريخ الدولة السعدية[1] أن السلطان مولاي عبد المالك السعدي هو أول من اتخذ الجيش من فاس وأمر بإنشاء السفن في العرائش وبسلا وهو واهم في ذلك لأن دار الصناعة بسلا عرفت قبل ذلك.

وذكر منويل في تاريخه أن الدون سيبستيان كان يرى أن العرائش تعدل سائر مراسي المغرب ولذلك استنجد بأساطيل خاله ملك إسبانيا فيليب الثاني للتغلب على العرائش وحوزها.

وعندما استولى الاسبان على العرائش وجه (فيليب الثالث) من جزيرة قادس 90 مركبا حربيا استولت على المهدية وهي مرسى حلق الوادي عام 1023هـ وقد أراد العدو ضمها إلى العرائش لينضبط له ما بينهما من السواحل فهب المجاهد العياشي بأمر من المولى زيدان وكان مقدما بوكالته على الجهاد بدكالة وهاجم المعمورة، فاضطر الاسبان إلى الخروج إلى الغابة وكان حصار العياشي للمعمورة والتحام رجاله في (عين السبع) في حين توجه هو إلى الانتقام من نصارى طنجة بسبب فعلتهم المنكرة يوم المسامير[2].

وفي عام 1202هـ أمر المولى محمد بن عبد الله للرياس "جمع رئيس" وهم قباطنة السفن بالتوجه إلى العرائش وكانوا مرابطين بسلا لتشحيم السفن وإكسائها لبعثها هدية للخليفة العثماني وقد وجه قائد الرباط المكي بركاش للوقوف على ذلك، ومن هذه السفن سفينة الرايس محمد السبيع الرباطي وسفينة الرايس العنق الرباطي وسفينة يوسف الطرابلسي والسفينة الرابعة للرايس تركي فأرسوا بميناء سلا حيث وجدوا سفينة الرايس لبريس والرايس عاشور.

---

(1) تاريخ الدولة السعدية ص : 53.

(2) الاستقصا ج 3 ص : 119.

وفي عام 1218هـ خرج الرايس ابراهيم من العرائش إلى البحر بأمر من المولى سليمان لأسر المريكان إن وجدهم في البحر والإتيان بهم إلى طنجة فسارت سفينة إبراهيم قاطعة بهم البوغاز ناحية الجزائر فأخذ سفينة للمريكان وقبض على نحو "2188" متهم فاعترضت سفينة الرايس المغربي سفينة أمركانية تحمل 40 مدفعا ونحو 400 جندي فأخذوا سفينة الرايس وأسروه مع 100 من بحارة الرباط مفرقين في نحو أربع سفن أمريكية فقدم السلطان بنفسه إلى طنجة لافتكاكهم[3] بعد أن بقوا في قبضة المريكان نحو ثلاثة أشهر إلى أن جدد السلطان الصلح مع المريكان بطنجة فردوا السفينة وأطلقوا الأسرى وفوض السلطان للانجليز بجبل طارق كوسيط بينه وبين النصارى .

وكان السلطان يأمر رياس السفن بالتحرك في المتوسط والمحيط ففي عام 1219هـ وصلت إلى مرسى سلا من العرائش سفينة الرايس الطاهر عواد السلاوي وسفينة الرايس ابراهيم لبريس الرباطي وجاءت من الصويرة سفينة الرايس السبيع الرباطي فأمرهم المولى سليمان أن يمشوا في البحر نحو الشهر للدخول في لشبونة[4]، ومما يدل على أهمية قطع الأسطول المغربي وقدرتما على خوض أمواج المتوسط أنه في عام 1226هـ ربيع الأول خرجت من الرباط بحرية فلوريش وبحرية المزيمزي ومعه العباس غنام باشا رايس والرايس ولعلو السلاوي للعرائش يحملون الزاد لنحل السلطان مولاي ابراهيم بالاسكندرية وينقلونه إلى المغرب وقد خرجوا من العرائش للاسكندرية في نفس السنة جمادى الثانية[5].

وقد تبرأ الرايس ولعلو السلاوي من سفينته لأنها كانت "راشية" وتعمل الماء أي عتيقة مهلهلة يتسرب إليها الماء فقام "محمد باردا" السلاوي والتزم أن يذهب بالسفينة إلى الاسكندرية فتوقفت قرب أشقار فهرب منها مع البحرية وتركوها فأمر قائد سلا باعتقالهم ففروا إلى الغرب فغضب السلطان وألزم أهل سلا غرم السفينة ومدح السلطان رياس الرباط ثم اعتقل الرايس ولعلو بالعرائش وتشفع أهل سلا فعفا عنهم ولم يؤدوا غرامة 10.000 ريال ذعيرة.

وفي عام 1227هـ أمر المولى سليمان القائد محمد السويسي أن يركب في كل سفينة عدلا من عدول طلبة الرباط وكان يعني سفينة خرجت من العرائش مع الرايس المعطي

---

(3) تاريخ الضعيف 328.

(4) تاريخ الضعيف 334.

(5) تاريخ الضعيف 356.

فلوريش والرايس الجيلاني المزميزي فامتنعت وكانت السفن ذاهبة من العرائش للاسكندرية لتأتي بولد السلطان المولى إبراهيم.

وقد خرجت سفن مولاي سليمان من الإسكندرية (عام 1227هـ 20 شعبان) مع قراصنة الانجليز يحرسون السفينة للإتيان بها إلى طنجة وكان البحر مملوءا بسفن الفرنسيين وكانت صلتهم سيئة بالإنجليز وهي حسنة مع المغرب فرفض القرصان الانجليزي السماح لمولى ابراهيم بالركوب معه في سفينته شفقة عليه فركب الأمير معه خفية فنصب القرصان نحو 20 قلاعا وسلك البحر كانه طائر حتى دخل طنجة في 10 رمضان 1227 وبقيت سفن المولى سليمان في البحر فعاد إليها القرصان الانجليزي فدخل الرايس المعطي فلوريش لطرابلس ومعه سلامة أخو المولى سليمان وكان بمصر ثم دخل تونس فبقي بها مولاي سلامة وخرج بالحجاج فوصل إلى العرائش في 29 شعبان ثم دخل جبل طارق[6]، وفي 29 شوال دخل المعطي فلوريش للعرائش وقد تواكبت هجمات الغربيين على مراسي المغرب الكبير في رمضان 1231هـ / 1816م هاجمت سفن انجليزية الجزائر فهدمت الجل من العاصمة منها الجامع الكبير ودار السلطان وبرج الفنار[7] وكانت السفن ترفع علما أبيض علامة على السلم، وورد في مصادر أجنبية أن عدد البواخر الإنجليزية 27 مع بواخر هولندية تم بها عدد 33 باخرة وقد أطلق الجانبان على التحصينات الجزائرية نصف مليون كرة حديدية و980 قنبلة.

- وكان عبد الرحمان بركاش رئيسا للبحر عام 1245هـ/1829م وهو الذي هاجم مع الرئيس عبد الرحمن بريطل أسطول النابريال واستاق مراكب منها غنمية لعدم حملها لورقة الجواز ونقلها إلى كل من العدوتين والعرائش فهجم الأسطول الأجنبي على المرسى الأخيرة يوم 3 ذي القعدة 1245هـ.

وكان المحيط الأطلنطيكي مسرحا للأسطول المغربي وهو المعروف ببحرالظلمات أو الأوقيانوس تمتد حدود المغرب الغربية على شواطئه في نحو اثنين من الكيلومترات تجعل من المغرب الأقصى نقطة وصل بين الشرق وما وراء المحيط. وفي مذكرة جان دوبلي J.Doublet المتوفى عام 1728 معلومات حول ساحل الأطلنطيك ومراسيه وهي العرائش والمعمورة

---

(6) تاريخ الضعيف ص 374.

(7) تاريخ الضعيف ص 396.

وسلا والرباط وفضالة وأنفا وازمور والجديدة وأسفي وأكادير وهي مؤرخة ب 28 دجنبر 1959[8] لاحظ روبير مونطاني[9] أن البحارة العرب ساحلوا إلى القرن الثالث عشر الميلادي شواطئ المحيط الأطلنطيكي من طنجة إلى السنغال 182.

البحر المحيط أو بحر أوقيانوس :

المحيط أوقيانوس l'Océan Circulaire des Grecs وسمي المحيط لأنه كان يحيط من جميع الجهات بالعالم المسكون[10] أو على الأقل من جهات ثلاث لأن خط الاستواء كان هو الخط الجنوبي للعالم الآهل بالسكان يسمى أيضا البحر الأخضر ويعتبر مرتبطا بكل البحار عدا بحر قزوين وهو مرتبط في نظر القدماء حتى بالبحر الأسود بحر بنطس كخليج للمحيط وهذه البحار هي بحر المغرب وبحر الروم وبحر ورنك (البلطيك) وبحر الزنج وبحر فارس وبحر الهند وبحر الصين[11] وهو جزء من بحر المغرب[12] كما يسمى بحر الظلمات أو البحر المظلم[13].

البحار المغربية قبل صدور القانون الدولي :

أذن ملك فاس سلطان المغرب في 21 محرم 940هـ/13 غشت 1533م للسفن الفرنسية بمخر عباب البحار الخاضعة للسلطان في أمن وأمان، وكانت وضعية المغرب آنذاك ذات أهمية استراتيجية حيث كان فرانسوا الأول ملك فرنسا يبحث عن تأييدات ضد إسبانيا

---

(8) الوثائق ص. 2 - الفلاليون - فرنسا م 5 ص 513. الساحل الأطلسي للمغرب كما عرفه القدماء R.Thouvenot الساحل الأطلنطي للمغرب في العهود الرباعية للأرض جيكو M.Gigout عام 1947.

(9) روبير مونطاني البربر و المخزن ص : 22.

(10) المسعودي التنبيه ص 26.

(11) ياقوت ج 1 ص 504.

(12) القزويني - عجائب ص 23 / ابن خلدون ج 6 ص 98.

(13) معجم البلدان ج 3 ص 344 / عجائب المخلوقات للقزويني ص 123 / النويري - نهاية الارب ج 1 ص 231

P.K. Hitti. History of the Arabs. Princeton. 1956. index

Cosmographie -al- Dimasqi ed. Mehren. P. 137

ياقوت ج 1 ص 504 / الاصطخرى ص 68 / ابن حوقل (طبعة دوكوج ص 128)

Dimasqi éd.Mehren 124. Expédition de khash Rhhch de Cordoue, Lévy Prov, Hist. Esp. Mus.III .34.

(المسعودي - المروج ج 1 ص 258 البحر المحيط ج 2 ص 398 / المغررون أو الفتية المغررون.

(Jaubers. Geog. d'Edissi) وصف صيد البلين في مياه إيرلندا من طرف القزويني- الآثار ج 2 ص 388.

والملك شارل الخامس مع ضمان نقط لمرابطة سفنه في الشواطئ المغربية. وكان ملك فاس مهددا من طرف محمد الشيخ السعدي ملك مراكش، وفي 18 أبريل 1981 صدر ظهير شريف لإحداث منطقة اقتصادية خاصة من 200 ميل بحري ارتفع بمقتضاه المجال البحري الخاضع للملكة إلى أزيد من مليون كيلومتر مربع في سواحل يبلغ طولها حوالي 3.000 كيلومتر على المتوسط والمحيط.

البحرية المغربية :

بظهير "سابع مارس 1917" تأسست البحرية البحارية المغربية رافعة العلم المغربي فقسم المغرب آنذاك إلى ست مناطق ملاحية "الرباط - البيضاء - الجديدة - أسفي- الصويرة - السعيدية" وفي هذا الإطار كانت البحرية المغربية تشكل قوات يتولى قيادتها رئيس البحرية الذي كان يؤمر من طرف السلطان بالاتجاه الى بعض المراكز مثل أزمور وغيرها كالمهدية من حيث ينقلون الشعير وغيره إلى الرباط وناحية الجزائر عن طريق بوغاز جبل طارق بإمرة الرايس ابراهيم لبريس الرباطي، والمغاربة ليسوا "بحريين" فهم لا يهتمون كثيرا بفن الملاحة البحرية حتى في المراسي نفسها كأصيلا والعرائش، ومعظم القراصنة حتى الذين يوصفون بأنهم سلاويون إنما هم أعلاج أجانب، أما سكان العدوتين فالقليل منهم هم الذين تعاطوا هذه المهنة التي اتسع نطاقها نوعا ما بعد توارد الأندلسيين خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين على مصب أبي رقراق وجنوب الساحل. وكان لهذه الملاحة نظامها وقوانينها التي كانت تحاول أن تكفل حرية البحار، ذلك أن حماية الأشخاص وأمتعة التجار مهما تكن جنسياتهم كانت في نظر المغاربة شيئا طبيعيا وضروريا للتجارة إلى حد أنها كانت تخول لجميع الأجانب "حتى ولو كانت المعاهدات تسمح للحكومة العربية بانكارها" ذلك ما أكده "لاطري Latrie" الذي أبرز أن روح العطف والحسنى والنزاهة التي أذكت الحكومة العربية إزاء التجار الأجانب قد تجلت في التشريعات المتعلقة بالتهريب وكذلك في التدابير المنصوص عليها في المعاهدات، فحتى لو لوحظ انتهاك القانون فإن الجمارك تتقاضى رسومها كما لو أن السلع قدمت بصورة عادية إلى الديوانة، ولكن العقوبة تكون آنذاك أدبية كما لاحظ "بيركولوطي" Pergolotti في كتابه Della Mercatura[14] من أن التاجر الذي يدخل سلعته خفية ويكشف عمله "يفقد سمعته وشرفه فلا يحظى بعد ذلك بثقة العرب".

---

(14) Della Mercatura الفصل 27 ص : 123.

ولم تكن هنالك مدرسة لتخريج الربابين بمعنى الكلمة اللهم إلا المدارس التطبيقية وهي "دور الصناعة" التي أسست منذ عهد المرينين أهمها "دار الصناعة" بباب المريسة بسلا ودار الصناعة بتطوان والورش الذي أسسه العلويون قبالة جامع حسان بالرباط.

ولعل أول مدرسة حملت هذا الاسم هي متحف الاودايا الذي كان يتخرج فيه ربابنة البحر، وقد عرفت هذه المدرسة منذ عام 1309هـ/1891م[15] وكان للمغرب أسطول بحري بأميرالاته وقواده منذ عهد المرابطين، وكان لكل مركب أو سفينة ربانها أو رئيسها ويسمى الريس أو الرايس كما كان لبعض الموانئ قائد يشرف على البحرية في نطاق عمالته كما هو الحال بالعرائش، وفي تطوان حيث أشرف على البحرية بها القائد أحمد لوقاش المعروف عند الإسبان بلوكاس Lucas[16].

"التداريب" البحرية

في عام 1202هـ/1787م استقدم المولى محمد بن عبد الله من آيت عطا ستمائة رجل مع أربعمائة من العبيد وجههم لتطوان لأخذ السلاح والكسوة، ثم إلى طنجة للتدريب على ركوب البحر في الغلائط، وكانت لديه منها عشرون كانوا يركبون فيها كل يوم ويخرجون للبوغاز وسواحل إسبانيا ويتطارحون مع بعضهم بعضا بقصد التعليم[17].

- المراجـــع :

- كناش في أمور البحر وهو تقييد ما دخل في يد عبد الهادي العسري من حيث الفشينية ابتداء من عام 1183هـ/1769م، يشتمل على قائمة بحارة الرباط وسلا وأجورهم، وموارد مراسي المغرب المودعة في بيت المال بباب القصبة بالرباط من عام 1183هـ إلى 1227هـ 160 ورقة[18]

- "لواقح الأسرار في حديث البحر والأسفار في توضيح الرسالة الفتحية في صنعة الرياس" لعبد الله ميكاني الرباطي عاش في عهد السلطان مولاي سليمان مخطوط في مكتبة الأستاذ عبد الله الجراري.

---

(15) تاريخ الرباط لكابي ص 393.

(16) هسبريس – تمودة م .9 ص 344 عام 1968 / طنجة بقلم روث Routh ص 221.

(17) الجيش العرمرم ج 1 ص 172 / الاستقصا ج 4 ص 117 / الاتحاف ج 3 ص 262.

(18) خع = 1409 د المكتبة الناصرية بسلا.

- زينة النحر بعلوم البحر لإبراهيم التادلي الرباطي تحدث فيها عن سير سفن الشراع والبواخر[19]

- البحرية والطبجية في الرباط[20].

- عجائب البحر لابن عفيون محمد بن أبي بكر الغافقي الشاطبي 584هـ/1189م تأليف في الملاحة البحرية[21]

- البحر في التقاليد والصناعة الوطنية في الرباط وسلا (برونو - 1921 ملاحظات على قاموس الرباط سلا البحري لورو Leroux باريس 1920)

- المغرب وخطوط الملاحة البخارية الأولى[22]

- القوانين البحرية في المغرب 1900.

---

(19) جع 1747د.

(20) تاريخ الضعيف ص 470-475.

(21) تأليف في الملاحة البحرية. جع 7817.

(22) ميج Miége 1956.

الـــزلازل :

قليلة بالمغرب إذا اعتبرنا ما أشار إليه المؤرخون منها كزلزال "عام 267هـ/880م" حيث تهدمت القصور وانحطت الصخور بالأندلس دون المغرب ولم يمت أحد[1]، ولعل أول رجة أرضية عرفها المغرب ترجع إلى عام 472هـ/1079م[2]، وهو زلزال تعاقب كل يوم وليلة من ربيع الأول إلى آخر جمادى الثانية من تلك السنة[3]. ولعل الأرض قد ارتجت خلال القرون التالية إلا أن ضعفها لم يثر انتباه المؤرخين، إلى أن وقع زلزال عنيف بعد خمسة قرون عام 977هـ/1569م[4] ثم عام "1033هـ/1623م" بفاس وعام "1075هـ/1664م" بفاس حيث لم تبق مدينة إلا دخلتها الفؤوس[5]، وفي عام 1169هـ/1755م في كل من زرهون ومكناس حيث استمر نحو درج زماني "قال عنه المؤرخ لويز ماريه إنه ربع ساعة" مات من جرائه في مكناس وحدها 5.000 وبعد ستة وعشرين يوما وقع زلزال أعظم من الأول بكل من مكناس وفاس[6] شمل سلا وبعض المناطق مثل القصر الكبير والعرائش وجباله[7]، وقد أعقبه بعد خمس سنوات زلزال آخر عام 1174هـ/1761م ولاشك أن المغرب عرف زلازل أخرى لم يسجلها المؤرخون لاسيما وقد لاحظ مؤرخون قابلية المغرب للزلازل وهو اسم كتاب لمؤلف هو (J.Debrach طبعة Carbonel – الجزائر 1939)، ولكنها قابلية نسبية جدا، وقد عرفت أكادير أعنف زلزال ترك آلاف الضحايا في آخر أيام جلالة المرحوم محمد الخامس فأشرف صاحب السمو الملكي آنذاك جلالة الحسن الثاني طوال عدة شهور على الترميم وإعادة البناء.

---

(1) الاستقصا ج 1 ص 79.

(2) القرطاس لابن أبي زرع ج 2 ص 96.

(3) الاستقصا ج 1 ص 128.

(4) الاستقصا ج 3 ص 42.

(5) الاستقصا ج 3 ص 147.

(6) الاستقصا ج 4 ص 128.

(7) تاريخ الضعيف خع ص 158.

ومهما يكن فإن آثار الجفاف كانت أقوى وأدهى تؤرخ سنواتها مثل (عام البقول) حيث وقع غلاء فاحش بالمغرب سنة 987هـ/1579م[8]، وقد عرف المغرب قبل ذلك عام 928هـ / 1521م ما سماه "سنة الخلف" امتد بعدها الغلاء إحدى عشرة سنة[9] ولكن كثرة الأمطار أدت إلى فيضانات بعد خمس سنوات عام 933هـ/1526م امتلأت خلالها الآبار وتهدمت الدور.

---

(8) الاستقصا ج 3 ص 96.

(9) الإعلام للمراكشي ج 8 ص 252 – طبعة 1975.

Sidi M'Hamed Ben Aîssa (un des secrétaires du roi Abdelmalek) rédigeait à ce moment l'acte de la beïâ (acte d'allégeance) à Moulay Ahmed. Une fois l'acte établi, moulay Ahmed réunit les chorfa et les caïds aussi bien des archers que des cavaliers.

Il prononça un discours devant eux, annonçant que le roi avait eu, une mort glorieuse, digne d'un vaillant chef, qu'ils savaient que vivant il avait combattu son ennemi Moulay Mohamed, et que s'ils acceptaient de faire acte d'allégeance à sa personne, celle-ci saurait agir, selon ce qu'ils considèrent eux comme le droit chemin . ils crièrent tous en chœur : «Que Dieu te donne la victoire», lui baisèrent la main et lui prêtèrent serment d'allégeance, le reconnaissant, comme leur roi ; il monta à cheval et le crieur circula dans le camp annonçant «Dieu ait l'âme de Moulay Abdelmalek, dans sa miséricorde, et qu'il fasse triompher Moulay Ahmed».

Moulay Ahmed se retire dans sa tente

La cérémonie achevée, Moulay Ahmed se retira dans sa tente et donna l'ordre d'ensevelir son frère, de la façon suivante, tout habillé et chaussé, porté par les Ouléma, Sidi M'Hammed Ben Aïssa, les principaux cadis de Fès et les chorfa . le convoi funèbre était accompagné de tambours et de trompettes, précédé de 3 étendards royaux et cent gardes, parmi les archers à cheval et les jeunes esclaves du palais. Le convoi regna Fès, cette même nuit. Le roi fut enterré aux côtés de son frère Moulay Mohamed Al Harran. Il fut déposé dans sa tombe sur son lit, les étendards sous la tête. Sa mort fut tellement ressentie par le peuple qu'on le considéra comme un saint.

Le recit des pères et des frères des captifs et des morts inspire vraiment la pitié.

La ville de Fès regorgeait d'esclaves, de sorte que chaque homme d'Etat possédait deux ou trois captifs chrétiens. Quant aux habitants, ils avaient sur leurs terres suffisamment de prisonniers chrétiens pour leurs travaux.

Le prix des esclaves variait entre 30 et 100 ou 150 Mouzouna (1 mouzzouna = 1 centime). Le prix de leur rachat variait, quant à lui, entre 300 et 500 Mouzouna.

Le Roi Moulay Ahmed utilisait à son service tout cavalier capturé partout où il le trouvait.

Les Arabes et les habitants des agglomérations d'Acila, de Tétouan et de Chaouen, ne venaient plus à Fès, qu' accompagnés de leurs captifs chrétiens, ainsi que l'argent :

On trouvait également des armes de différentes sortes, des mulets, des chevaux et des taureaux, au point qu'il n'y avait plus de soldat, voulant travailler

chez autrui, ni d'esclave moins riche que son maître. Je ne pourrais vous décrire l'importance de tout cela, car il faut le voir pour le croire .

Après la bataille, Moulay Ahmed vint prendre possession des étendards, après avoir appris la mort du roi. Il me conseilla de n'informer personne de cette mort.

Nous nous sommes dirigés vers notre tente, et y sommes restés deux heures, avant l'heure du coucher, puis nous avons transporté la dépouille mortelle de Moulay Abdelmalek, dans le campement où se trouvait le caïd bou Jmâ. Moulay Ahmed me fit appeler en public et me demanda d'aller voir, si son frère pouvait s'entretenir avec lui, je rentrai sous la tente où je restai un moment avant de sortir lui annoncer que le roi s'était assoupi après avoir pris son repas.

Rédaction de l'acte de la Beiâ

Nous avons trouvé nos hommes en ordre parfait, alors que les chrétiens avaient fait à pied une longue marche. Sur notre droite, Moulay Ahmed, commandant les cavaliers du Gharb, de Fès ; à notre gauche, il y avait, là, les caïds de Marrakech, des Ouled Matta, de Rhamna et plusieurs autres, placés, selon leurs coutumes et leurs origines, afin d'être plus agiles dans le moment.

Les deux armées s'affrontèrent, à l'endroit où il n' y avait pas trace de cailloux ou d'arbre, dans une magnifique et incomparable vallée ; aux premiers coups de fusil des deux parties, le roi ordonna l'intervention de l'artillerie, qui comptait 24 pièces, en très bon état .

SM. Moulay Ahmed, quant à lui, rentra à Fès le 10 août et se mit à organiser les affaires de son royaume. Puisse Dieu lui assurer le succès. Il espère qu'il restera à Fès, jusqu'au mois de Ramadan .

Il convoqua Moulay Daoud, pour en faire son khalifa à Meknès ; quant à son fils Moulay Ech-Cheikh , il fut nommé à la tête de la ville de Fès, et, on assure qu'il aura à ses côtés le fils du caïd Ali Ben Chakra. Moulay Ahmed, du palais de Fès el-Bali au caïd Ali Kannous . c'est tout ce qu'il fit, jusqu'à présent, et je te tiendrai au courant des nouveaux événements.

Quant à Moulay An –Nasser, fils de Moulay Abdellah, il s'enfuit au lendemain même de la bataille à Assilah, accampagné de 4 cavaliers annonçant la défaite.

S'interrogeant sur ses vrais desseins, les habitants d'Assilah voulurent l'expulser de la ville, car il ne restait plus de roi au Portugal, pour le secourir comme son frère Moulay Mohamed El Masloukh.

Ces nouvelles, nous les avions reçues le 3 ème jour de la bataille, avec des missives du capitaine de la garnison et du gouverneur d'Assilah, pour s'informer sur le sort des morts et des vivants. Il revint de suite, porteur de la réponse,

accompagné du chef de la garde du palais Royal qui avait été gardé en captivité et qui était envoyé comme émissaire par les seigneurs et notables portugais captifs.

Nous nous sommes dirigés, alors, vers nos tentes . Quant à Moulay Ahmed, il resta sur le champ de bataille, face à l'ennemi, en compagnie seulement d'une centaine de cavaliers. Sur l'autre rive de la rivière campaient des gens de Béni-Malek, de Béni Soufiane et des Jabala.

Lorsque nos hommes se réunirent, ce soir-là, les deux frères du caid Abdennour Moulay Mansour, le fils de Si Ahmed Ben Daoudi et quelques caïds furent envoyés en éclaireurs. Les ennemis levèrent leur camp, ce soit-là, pour faire croire qu'ils faisaient mouvement ; à ce moment, le Roi sortit de sa tente, il s'étendit sur une litière, puis nous avons quitté le camp, les chrétiens reprirent position de nouveau.

Nous nous sommes groupés sous nos tentes et Moulay Ahmed, avec des sentinelles du Gharb se chargera cette nuit-là de la garde .....

Le lendemain matin, c'était un lundi, le Roi se leva en bonne forme et me demanda, avant le lever du jour, de lui servir son petit déjeuner. Il but une soupe à la mie de pain et trois jaunes d'œufs frais.

Puis, Moulay Ahmed vint l'informer de la situation militaire, puis prit congé de lui avec une joie chaleureuse. A 10 h du matin, le Roi demanda une collation, j'ai alors prescrit qu'on lui serve un poulet rôti et un autre à la vapeur, ainsi que d'autres victuailles et du pain blanc. Avant d'entamer le repas, il but quelques gorgées d'eau de cannelle, puis il mangea peu de chaque met.

Entre temps, des nouvelles nous parvinrent, annonçant que les Portugais avaient repris leur mouvement. Le Roi demanda ses habits de parade, posa sur son chef un petit turban orné d'un médaillon serti de trois pierres précieuses.

Il accrocha son épée, précieux cadeau venu de Turquie, et un poignard ciselé de même facture, incrusté de perles et de pierres précieuses. En un mot, il s'était habillé comme pour un jour de fête, et s'était paré de ses bagues les plus précieuses aux chatons de valeur, Malgré moi, il monta à cheval et nous avons, tous, gagné le champ de bataille.

وصف معركة واد المخازن

- **Moulay Abdelmalek, Héro de la bataille des Trois Rois, Témoignage de son médecin particulier sur le déroulement de la bataille " wadi El Makhazine".**

Il s'agit de la relation faite, treize jours après l'éclatante victoire de nos forces, par le médecin particulier de Moulay Abdelmalek, médecin marocain de

confession juive, qui accompagna son Souverain de Marrakech à Oued El Makhazine et qui assiste au déroulement de la bataille et à la mort de Moulay Abdelmalek.

Le 1er août nous parvint la nouvelle de la sortie hors d'Açila de l'armée portugaise. Nous avons levé, alors, notre camp et nous l'avons installé près d'Al Ksar el Kébir, vers lequel nous nous étions dirigés. Le troisième jour, des nouvelles nous parvinrent, disant que l'ennemi avait l'intention de traverser le pont de la rivière Oued El Makhazine.

Moulay Ahmed s'avança et le Roi resta en arrière, jusqu'à ce que le camp fut dressé. Le Roi pensait que l'ennemi allait engager la bataille, l'après-midi de ce jour. Il ordonna de mettre en rang les fusillers. Il demanda (que Dieu lui pardonne) alors qu'il était presque mourrant, son cheval qu'il monte contre mon gré et laissa derrière lui des cavaliers, qui l'accompagnaient pour mettre, lui-même, en place les arches. Je sentis qu'il s'était évanoui, alors qu'il était à cheval. Je l'approchais et le priais de rejoindre sa litière, d'où il pouvait continuer à donner ses ordres. Mais, il ne se contenta pas de faire fi de mes supplications. Il brandit son épée qu'il tournoya au-dessus des têtes de sa suite, pour qu'ils le laissent achever sa tâche.

Entre temps, arriva un émissaire de Moulay Ahmed, pour informer que les ennemis avaient pris position. Sa Majesté pouvait, donc, retourner à son P. C, pour se reposer et prendre une collation et descendit de cheval et s'allita.

Léon l'Africain, éd. Schefer II Paris , 1897 (p.215)

Leon Galindo y de la Vera, Historia, vicisitudes y politica tradicional de Espana respecto de sus posesiones en las costas de Africa Madrid 1884 (224-284).

القبائل العربية في وادي لوكوس

Michaux- Bellaire et G. Salmon, les tribus arabes de la vallée du Lekkous, in Arch. M. T IV, 1905.

دوكاستري – السعديون " س. ا." م. 1 ص 542- 659 م.2 ص 115- 641

Real Sociedad Española de Historia Natural, Yebala y el bajo de Lucus, Madrid 1914 "p. 44, 287"

Tomas Garcia Figueras, miscelanea de estudios africanos- Larache 1947-1948 (p. 109-147)

Vademecum ,1947

Intervencion del Territorio del Lucus, Larache Artes Graficas Bosca, 214 p.

المراجع

- نزهة الحادي "طبعة فاس ص 168"
- الاسقصا ج 3 ص 105 / ج 2 ص 15
- نشر المثاني ج 1 ص 108
- تاريخ الدولة السعدية ص 96
- تاريخ الضعيف طبعة الرباط
- تاريخ تطوان ج 1 ص 182
- دوكاستري الوثائق الغميسة : السعديون س.أ - م . 1 ص: 2 - 675 / م 2 ص: 1 - 578، م.3 المقدمة ص 32-751 ج 1 ف 1 ص : 50 "هوالندا "

Bidé de Maurville, l'affaire de Larache, Amsterdam. 1775.

Relato de la expedicion de Larache (1765) por Bidé de Maurville, Traduccion de la edicion francesa, Amsterdam, 1775, Tanger

Larache, 1940 (sur l'expédition du chaffault).

العرائش في عهد فيليب الثاني

Dario Cabanelas, O.F.M. El problema de Larache en tiempos de Felipe II , in Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos, vol IX (1960), fasc. 1e –"19-53"

من الموسوعة المغربية

T.C.A. Domenech Lafuente

Algo sobre Rio de Oro- Madrid 1946(271 p.)

Maximiliano Alarcon y Santon, Textos arabes en dialecto vulgar de Larache Madrid. 1913.

Encyclopédie de l'Islam T I p 624 (1960).

Eugène Aubin, le Maroc d'aujourd'hui, 6 e éd , Paris 1910 (p.89)

كلمة المؤسسة

مساهمة من مؤسسة القصر الكبير في التعريف ببلاد الهبط، وبالخصوص التعريف بمسار المدينتين القصر الكبير والعرائش تاريخيا، وحرصا منها على إبراز المعالم التاريخية والتراثية خاصة المدينة العتيقة التي أصبحت موردا في حد ذاتها وفضاء للصناعة السياحية والسينمائية، والتي أصبحت تعتبر منتوجا أساسيا في التنمية البشرية، التي يحياها المغرب طبقا لمبادرة صاحب الجلالة مولانا محمد السادس نصره الله في خطابه بتاريخ 18 ماي 2005.

وبعد إذن الفاضل المحترم الأستاذ الباحث عبد العزيز بنعبد الله عضو أكاديمية المملكة المغربية، الأستاذ الموسوعي، وصاحب المؤلفات والمنشورات والمطبوعات الكثيرة والمتنوعة، والمشارك والمحاضر في عدة جامعات.

وبعد شكره الجزيل على هذه المكرمة التي قدمها الأستاذ المؤلف للمؤسسة ولهذه المنطقة وللمدينة عن طريق اليد البيضاء للابنين البارين لهذه المدينة الأستاذ الدكتور إدريس الضحاك، والبرفسور المصطفى العزوزي.

والمؤسسة، إذ تعتز بهذه الموافقة من صديق هذه المدينة، الذي كثيرا ما تردد عليها، وكثيرا ما دافع عنها بقولته المشهورة "القصر الكبير أول حاضرة في المغرب مازالت قائمة" لتعتبر موافقته على الطبع تشريفا لها، وتشريفا للمدينتين بالإقليم.

ودعما لما لهذا البحث القيم الذي جاء بقيمة مضافة في ميدان البحث التاريخي لهذا الإقليم.

تقوم المؤسسة بإخراج هذا المؤلف "المعلمة" الذي يمكن إجمال مميزاته في النقطتين الأساسيتين التاليتين :

1 - المؤلف عبارة عن خزانة علمية متنقلة

2 - المؤلف إضافة إلى ما أبرزه من تاريخ لبلاد الهبط وللمدينتين من سير وتراجم ومعالم، هو مرجع على الصعيد الوطني للجوانب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية والمذهبية والعسكرية والجهادية وغيرها من الجوانب.

ولا يفوت المؤسسة أن تشكر اللجنة الثقافية التي ساهمت في هذا الإنجاز.

والسلام

2006 المؤسسة

الرمـوز

خع : الخزانة العامة بالرباط

خم : (الخزانة الملكية) وتسمى اليوم الخزانة الحسنية (خح)

خق : خزانة جامعة القرويين

خس : الخزانة السودية بفاس

د.م : دليل المؤرخ للأستاذ عبد السلام بنسودة

الفهرس

القسم الأول :
القصر الكبير عاصمة الهبط

- تمهيد 3
- تقديم 7
- القصر الكبير عبر التاريخ 35
- صراع موصول طوال ألف عام 42
- القبائل والمعالم 53
- أعلام القصر الكبير 61
- قضاة ومفتو القصر 105
- ولاة القصر الكبير 107
- مراحل الاحتلال البرتغالي 109
- معركة وادي المخازن 112
- معدات المغرب الحربية 120
- الجيش 122
- قواد الجيش 129
- القضاء 132
- الملكية 134
- المذهب المالكي 136
- الزاوية 139
- الموسيقى الإشبيلية أو الآلة الأندلسية 147
- المولد النبوي 155

القسم الثاني :
العرائش أعرق مرسى مغربية في المحيط الأطلسي

- مسار العرائش 171
- الإنسان الأول لم يمر بالعرائش 175
- معالم العرائش 177
- رجالات العرائش 182
- السكان 193
- الاقتصاد 196
- الصناعة 198
- العملة والنظام النقدي 209
- دور سك العملة 212
- النظام الجبائي والقرض 216
- الزراعة وسياسة التركيز الجهوي 221
- السدود 226
- أصناف السماك في مياه العرائش 228
- الأسطول: مرابطة قسط منه بالعرائش 231
- الزلازل 244
- المراجع 250
- الفهرس 253

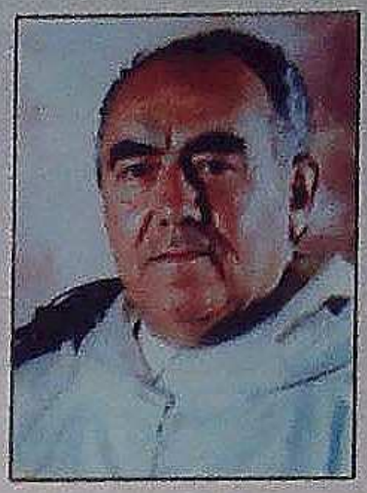

عبد العزيز بنعبدالله

- ولد عام 1923/1342 بالرباط ؛
- حصل على الإجازة في كل من الحقوق والآداب من جامعة الجزائر عام 1946 ؛
- أستاذ التاريخ والحضارة في جامعة محمد الخامس بالرباط والعلوم الإسلامية في جامعة القرويين ودار الحديث الحسنية بالرباط (من 1961 إلى 1980) ؛
- أستاذ زائر في عشرين جامعة في ثلاث قارات (إفريقيا وآسيا وأوربا) بالإضافة إلى كندا ونيويورك ؛
- عضو في أكاديمية المملكة المغربية والمجامع العربية (القاهرة ودمشق وعمان وبغداد) والمجمع العربي الهندي ؛
- عضو في نحو ثلاثين مؤتمرا دوليا في مختلف القارات ؛
- صحافي وطني منذ عام 1945 إلى 1947 في (العلم والاستقلال) (بالفرنسية) ؛

وبعد الاستقلال شغل المناصب الآتية :

- مدير عام للمحافظة العقارية والمصالح الطوبوغرافية (1951) ؛
- مدير التعليم العالي والبحث العلمي (1958-1961) ؛
- مدير عام مكتب التعريب في الوطن العربي التابع لجامعة الدول العربية (من 1962 إلى 1983) ؛
- انتخب رجلا علميا دوليا طوال عدة سنوات (منذ عام 1999 إلى الآن) من طرف المعهد البيوغرافي الإنجليزي في كامبريدج Cambridge
- انتخب عام 2001 عضوا خبيرا وباحثا في المعهد البيوغرافي بالولايات المتحدة الأمريكية ؛
- رشح عام 2003 للأمانة العامة لما يعرف في أمريكا (بالاتفاق الثقافي الموحد) Convention Culturelle Unifiée aux U.S.A فاعتذر عن القبول لأسباب صحية.
- له أزيد من مائة كتاب طبع معظمها باللغتين العربية والفرنسية مع نحو أربعين مخطوطا جاهزا للطبع ومعظم هذه المصنفات هي معلمات مدن وقبائل مغربية ودراسات حول الحضارة المغربية والإسلامية مع نحو أربعين معجما بثلاث لغات.